السبت 25 شباط 2023
العدد 4858 السنة السابعة عشرة
Samedi 25 Février 2023 no 4858 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

مصطفى النيسابوري:
القصيدة في صلب الكفاح ضد الكولونيالية

هل رفض سلامة طلب رئيس الحكومة التدخل للجم سعر الدولار؟
السعودية ترفض فرنجية وميقاتي [4]

اطلب القوس مع الأخبار

تحقيقات الأمم المتحدة
حادثة العاقبية غير مدبرة
[2 ـ 3]

(أ ف ب)

تقرير

ديوان المحاسبة يدقّق حسابات الدولة على «ضوّ التلفون»

5

الحدث

الصين تعْرض خطّتها للسلام
روسيا ـ أوكرانيا: لا صوت يعلو الحرب

8

البلاد

صلاح الحموري: لا أستبعد معركة على الطريقة الإيرلندية

[12]

الله، السجائر، التيك توك
[15]

الأشباك الجنرالات... يوني خائف
[15]

على الغلاف

تحقيقات اليونيفل بحادثة العاقبية... تساؤلات ضرورية

غسان سعود

وجدت سيارة الجنود الإيرلنديين التي «أضاعت» الطريق ثلاثة رجال يقطعون عليها الطريق؛ لم يجب التحقيق لماذا لم يترجلوا من السيارة ليشرحوا لهؤلاء أنهم أضاعوا الطريق ويريدون مساعدتهم للعودة إلى الطريق العام؟ لاحقاً في ظل المطاردة المزعومة صادفوا جمعاً كبيراً من المواطنين يخرجون من مقهى عقب انتهاء مباراة في كرة القدم في كأس العالم؛ لماذا لم يتوقفوا وسط هؤلاء وينزلوا من سيارتهم ويخففوا الاحتقان الحاصل؟ هذه أيضاً لم يسأل تحقيق اليونيفيل عنها أو يتوقف عندها؟ يتحدث التحقيق عن خروج السيارتين باتجاه مطار بيروت لإيصال جنديين مسافرين إلى بلادهما، لكن يؤتى على ذكر تفاصيل كثيرة في هذا التحقيق الطويل من دون أية إشارة إلى حقائب السفر الخاصة بهؤلاء. أيضاً في الصور المرفقة، لا تظهر الحقائب. يشير تحقيق اليونيفيل نفسه إلى مطالبة من أوقفوا السيارة ركابها بالنزول منها، وقد كان عدد المدنيين كبيراً جداً بحكم حصول هذا كله بجوار مقهى يعرض مباريات كرة القدم وقد كانت المباراة بين فرنسا والمغرب يومها؛ لكن مرة أخرى لا يشرح أحد لماذا لم ينزلوا من السيارة؟ يقول التحقيق إن المدنيين كانوا يحيطون بسيارة اليونيفيل من جميع الجهات، ومع ذلك أمر قائد المجموعة سائقها بالانطلاق بأكبر سرعة ممكنة، وهو حين انطلق صدم إحدى السيارات. هنا، لو لم ينطلق بهذه الطريقة، هل كان من أطلق النار على السيارة ليطلق النار؟ كان أمامه أكثر من فرصة سابقة لكنه لم يفعل إلا بعد محاولة سيارة اليونيفيل «الفرار». لماذا يفترض بسيارة يونيفيل «الفرار» من أساسه. هنا قطبة مخفية أخرى؛ أطلق مجهول الرصاص من مسدسه على السيارة بعد تحركها، أصيب سائق السيارة بأربع رصاصات أو شظايا رصاص برأسه من الخلف، لكنه واصل القيادة مع نزيف في الرأس نحو 800 متر؛ نزيف في الرأس ودولاب مثقوب ورعب حقيقيّ، ثم اصطدم في الجدار؛ هل كان على قيد الحياة حين حصل الاصطدام؟ يقول تحقيق اليونيفيل: سبب الوفاة هو الإصابة في الرأس، لا حادث السير. الاصطدام سبق الوفاة أو تبعه؟ لا جواب. الوفاة نتيجة الرصاص، الرصاص نتيجة تنفيذ السائق أوامر مرؤوسه الانطلاق بأكبر سرعة ممكنة معرضاً أرواح مدنيين معظمهم كانوا يشاهدون مباراة لكرة القدم كما يقول تحقيق اليونيفيل نفسه؛ لكن بينت التحقيقات أن ما من إهمال أو قرارات خاطئة من جهة اليونيفيل؛ قرار الفرار بدل التعريف عن النفس والتعامل بندية هو قرار صائب إذاً. مواجهة إقفال الطريق عبر فتحها بالقوة هو قرار صائب أيضاً. تعريض قائد السيارة الثانية حياة مواطنين لبنانيين وجنوداً في سيارته للخطر لا يستوجب التوقف عنده كما يبين التحقيق. يبدو هذا كله مربكاً فعلاً، ويزداد الإرباك عند الوصول إلى رواية السيارة الثانية؛ كل ما صادفته السيارة الثانية كان سيارة أخرى تعمل على تصويرهم: لماذا أصيبوا بالرعب، وتركوا سيارتهم بجانب الطريق، وهرعوا يهيمون في الحقول بذعر، بدل أن يعرفوا عن أنفسهم ويتعاملوا بندية مع من يراقبهم أو يطاردهم؟ إنهم قوات أممية «مهمتها حفظ السلام» يفاخرون دائماً بعلاقاتهم الطيبة بأهالي الجنوب؛ كيف يعقل أن يتركوا سيارتهم بجانب الطرقات ويهيموا في الحقول، مرعوبين من صوت دراجة نارية من هنا وكاميرا تصورهم من هناك؟ لماذا هذا الإرباك كله، لا يجيب التحقيق أو يسأل حتى. ثغر فوق ثغر: كيف يمكن التصديق أن أربعة جنود إيرلنديين، لا يملك أي منهم، رقم هاتف لواحد أقله من الجنود الإيرلنديين الأربعة الآخرين في السيارة الثانية؟ لماذا لا يوصل اتصال لاسلكي بين هذه السيارات العسكرية بامتياز؟ وما هي وظيفة الأجهزة اللاسلكية التي تظهرها صور الحادثة؟ كيف يمكن التصديق أنه عند الساعة العاشرة ليلاً لم تلاحظ السيارة الأولى أن السيارة الثانية لم تعد خلفها، حتى بعد انقضاء أكثر من عشر دقائق؟ كيف يمكن التصديق أن جنوداً يتنقلون بسياراتهم منذ أكثر من خمسة عشر عاماً طوال النهار والليل ما زالوا لا يعرفون مفارق الطرق ويخطئون تقاطعات أساسية؟ كيف يمكن التصديق أن سائق السيارة الثانية أضاع المفتاح الإلكتروني للسيارة فتوقفت عن العمل ثم دارت مجدداً من دون المفتاح؟

تخيلوا هذا كله بساعة واحدة: أضاعت سيارة سيارة أخرى، وأضاعت سيارة مفتاح السيارة لكنها استمرت في العمل، ولم يجد أربعة جنود وسيلة سريعة للاتصال بأربعة جنود آخرين من الوحدة نفسها، وأضاعت سيارة الطريق الرئيسي الذي تسلكه يومياً عشرات المرات، إلى ما لا نهاية من الصدف. كيف يمكن التصديق أن هذا كله كان يحصل على مرمى حجر من عشرات النقاط الخاصة باليونيفيل، وقد استغرق حصوله أكثر من ساعة، ولم يتم الاستنجاد بالقوة المركزية لليونيفيل من أجل التدخل سواء مع الجيش أو مع حزب الله، في ظل خطوط الاتصال المباشرة السريعة؟ وكيف في النهاية يمكن بناء تحقيق على شهادة الجنود في اليونيفيل فقط، ما يحوله من «تحقيق مفترض» إلى رواية اليونيفيل عن الواقعة.

خارطة حركة السيارات كما وردت في تقرير اليونيفل

وقائع التحقيق الأممي بحادثة مقتل الجندي الإيرلندي في الجنوب

الشهود حصراً من اليونيفل والحادث لم يكن مدبراً

بعيد مقتل الجندي الإيرلندي شون روناي في 14 كانون الأول 2022 في العاقبية، تألفت لجنة تحقيق من عشرة أشخاص، إضافة إلى مراقب إيرلندي، قدمت تقريرها للأمم المتحدة قبل بضعة أيام، وقد حصلت قوات اليونيفيل في لبنان على نسخة من التحقيق «السري للغاية» تبين التالي: عند الساعة التاسعة والنصف، انطلقت سيارتان من الوحدة الإيرلندية باتجاه مطار رفيق الحريري الدولي، لإيصال اثنين من الجنود اللذين كانا مسافرين إلى إيرلندا. كان في كل سيارة أربعة جنود إيرلنديين يتفاوتون في الرتب (مرفق كيف كانوا يجلسون في السيارتين). السيارتان مزودتان بالأسلحة وبأجهزة اتصال، لم يتم استخدامها في الحادثة. لكن سرعان ما توقفت المركبتان عند نهر

> التقرير لا يشرح سبب الافتراق بين سيارات الدورية ويبرر انفعال السائق بجمهرة الأهالي

الليطاني، في النقطة التي تطلق عليها اليونيفيل اسم EP28 على جانب الطريق لنزع أعلام اليونيفيل عن السيارتين، وتشغيل جهاز «التدابير الإلكترونية المضادة». وعلى رغم أن هذين الأمرين لا يحتاجان أكثر من دقيقة واحدة أو دقيقتين، قال تحقيق اليونيفيل إنهم أمضوا هناك عشر دقائق بداعي التدخين. حين انطلقت السيارتان لاحقاً، أشارت الشاشة الإلكترونية في السيارة الثانية إلى فقدان الاتصال بالمفتاح الإلكتروني عن بعد، الخاص بالسيارات الحديثة، فتوقف سائقها للبحث عنه. وفجأة، يكمل تحقيق اليونيفيل، توقف محرك السيارة من تلقاء نفسه لكن بعد قليل، نجح الجندي الذي يقود السيارة في تشغيلها من جديد والتحرك بها. يتابع التحقيق: فقدت السيارة الثانية، نتيجة إضاعة الوقت في البحث عن المفتاح، الاتصال المرئي المباشر بالسيارة الأولى. وعلى رغم عدم معرفتهما الكبيرة بالطريق، فإن السيارة الثانية حاولت أن تزيد من سرعتها لتلحق بالسيارة الأولى، من دون أن يعرفوا أن الأخيرة انعطفت عند أحد التقاطعات. مع تأكيد التحقيق أن سائق السيارة الأولى كان مقتنعاً أن السيارة الثانية تسير خلفه حين انعطف على اليمين، لكن حين عاد وانعطف يساراً تيقن أن السيارة الثانية ليست خلفه، فتوقف بجانب الطريق لينتظر السيارة الثانية التي لم تأتِ. انطلقوا من مركزهم عند التاسعة والنصف؛ ولا يحتاج وصولهم إلى مدينة صيدا الكثير. لكن التحقيق يقول إنهم عند الساعة 10,45 كانوا ما زالوا قريبين من مكان انطلاقهم. ولما كان جنود السيارة الأولى لا يملكون رقم الجنود في السيارة الثانية، طلب الضابط في السيارة الأولى من سائقها العودة إلى الطريق الرئيسي لانتظار السيارة الثانية، مقتنعين أن السيارة الثانية قد أخطأت المفرق فقط. لكن مع مرور كثير من الوقت، آثرت السيارة الأولى تطبيق ما ينص عليه نظام اليونيفيل لجهة العودة إلى آخر نقطة معروفة كانت المجموعة فيها مع بعضها البعض، تحديداً عند نقطة EP28. وعند العاشرة وخمسين دقيقة تمكنت السيارة الأولى (Capt Kelly) من الاتصال عبر الواتساب بالسيارة الثانية (Cpt Phelan) بعد أن حصل على رقمه من وحدته، فأعلمه أنهم أضاعوا المفرق، واتفق الاثنان على اللقاء حيث افترقا عند النقطة EP28. وبناء على ذلك استدارت السيارة الأولى عائدة نحو النقطة السابقة مروراً بالبلدة التي مروا بها قبل بضع دقائق فقط، فيما أرسلت السيارة الثانية عبر الواتساب «سكرين شوت للغوغل ماب» للسيارة الأولى، بينت أنهم جنوب بلدة العاقبية، وكانت المسافة بين السيارتين في تلك اللحظة 12,6 كلم. في «الحافة الجنوبية» للبلدة، وقف ثلاثة رجال في وسط الطريق لإلزام السيارة الثانية بالتوقف. وفوراً توقفت سيارة خضراء من نوع Kangoo خلف الرجال الثلاثة وقطعت الطريق أمام السيارة الثانية. ويقول التقرير إن الرجال أظهروا فوراً عدائية عبر الاقتراب من السيارة الثانية للكم مقدمتها وركلها. وهكذا عمد سائق السيارة الثانية إلى الاستدارة مباشرة والعودة شمالاً من الطريق الذي كانوا قد جاؤوا منه في وقت كانت سيارة «الكونغو» الخضراء تتبعهم. يكمل التحقيق: عند الحادية عشرة وخمس دقائق كانت السيارة الثانية تنطلق بسرعة كبيرة على طريق العاقبية – الصرفند، مقابل أحد المطاعم. السيارة كانت ملاحقة أو مطاردة من سيارتين. وكان الطريق مزدحماً في محيط المطعم بحكم تزامن مرور السيارة مع انتهاء مباراة كرة القدم في كأس العالم بين المغرب وفرنسا. وبعد دقائق، وجد سائق السيارة الثانية نفسه أمام سيارة تعترض طريقه وتلزمه بالعودة U-turn باتجاه جنوب العاقبية مجدداً، فيما سيارة أخرى تعترض الطريق من الجانب الآخر، فالتف عائداً مجدداً باتجاه الشمال. عند الحادية عشرة وست دقائق، اتصل قائد السيارة الثانية بقائد السيارة الأولى ليعلمه أنهم يقيّدون عبر السيارات حريتهم في الحركة في طريقهم إلى نقطة الالتقاء المتفق عليها، فسارعت السيارة الأولى إلى إعلام مرجعيتها في المركز الإيرلندي الرئيسي. تماماً كما اتجهت السيارة الأولى شمالاً نحو العاقبية. وعند الحادية عشرة وتسع دقائق، أرسلت السيارة الثانية موقعها عبر الواتساب للسيارة الأولى، قبل أن تجبر للمرة الثالثة على تغيير وجهتها مجدداً، قبل أن يتم إيقافها للمرة الأخيرة ومحاصرتها عبر ثلاث سيارات من الأمام وسيارتين من الخلف، بموازاة حشد من المواطنين أحاطوا بالسيارة، مانعين حركتها بشكل كامل. «بعض هؤلاء كانوا يحملون عصياً وحجارة، وكان هناك اثنان على الأقل يحملان مسدسات، فيما آخرون كانوا يقفون ببساطة لمشاهدة ما يحصل». و«بعدائية» على حد وصف تحقيق اليونيفيل، بدأ الحشد ضرب السيارة بالعصي والحجارة وأشياء ثقيلة أخرى. يقول التحقيق: أشار أحد المواطنين لركاب السيارة بخفض زجاج نوافذهم، فأشاروا لهم أنهم لا يستطيعون ذلك، وحاولوا أن يشرحوا لهم أن السيارة مدرعة لا يمكن إنزال شبابيكها. ثم بدأوا الإشارة لهم لفتح الأبواب، وهو ما رفضوه. وحين رفضت مجموعة اليونيفيل فتح الأبواب، ازدادت عدائية الحشد، وتقدم الرجل المسلح إلى أمام السيارة وأطلق النار عليها (في الشهادات يوصف هذا الرجل بأنه سمين وزنه نحو مئة كيلوغرام) لحيته كثيفة لكن قصيرة، مسدسه نصف أوتوماتيك، فيما التف الرجل الثاني حول السيارة ليحاول فتح الباب الخلفي. وهو كسر بداية الشباك الزجاجي الأول، باعتباره الجزء الوحيد غير المصفح من السيارة ويمكن كسره، ليتمكن بسرعة من فتح صندوق السيارة، فيما بدأ الحشد إخراج ما في الصندوق من عتاد (خوذات وجاكيتات وغيره). وانتقل الرجل مع المسدس من الأمام إلى الخلف أيضاً. عند الحادية عشرة وعشر دقائق، اتصل قائد السيارة الثانية (Cpl Phelan) بقائد السيارة الأولى (Cap Kelly) ليعلمه أن سيارتهم حوصرت وهناك أكثر من خمسين شخصاً مع عصي وحجارة ومسدسات. «كيلي» أمر «فيلان» بالتحرك من مكانه، لكن الأخير أجابه أنهم لا يستطيعون ذلك، طالباً في الوقت نفسه من زميله في السيارة الأولى أن لا يأتوا صوبهم. ففي وقت كان التوتر يتصاعد، أمر قائد السيارة الثانية «ريفلان» سائقها «روناي» بتحريك السيارة للخروج، فحاول الأخير أن يؤمن المساحة اللازمة لذلك ثم انطلق بسرعة مصطدماً بواحدة من السيارات التي أمامهم، ومع التصادم كما يقول تحقيق اليونيفيل، بدأ الرجل الذي يحمل مسدساً بإطلاق النار على السيارة وهي تبتعد عنهم، فتعامل الجنود داخلها مع وضعية إطلاق النار لجهة الانخفاض فلم يشاهدوا بالتالي ما يحصل حولهم، فيما حاول سائق السيارة الاستمرار في القيادة.

(أ ف ب)

سمع الإيرلنديون وفق شهادتهم أكثر من ثلاث عشرة طلقة أصابت السيارة، بينها أقل من أربع اخترقت السيارة. وبعد نجاحه في التقدم بالسيارة بين 80 و90 متراً، فقد سائق السيارة السيطرة عليها فاصطدمت بحائط كاراج، على بعد نحو مئة متر من النقطة التي حوصرت فيها، وقد تبين لاحقاً أن رصاصة قد مزقت أحد دواليب السيارة، الأمر الذي ضاعف من صعوبة السيطرة عليها في ظل محاولة الهرب بأكبر سرعة ممكنة.

هنا يتداخل الرعب مع إصابة السائق في رأسه مع السرعة الهائلة في طريق ضيق مع الدولاب المثقوب، ويقع الحادث.

يقول تحقيق اليونيفيل إنه عند الساعة الحادية عشرة و45 دقيقة كان هناك خمس سيارات إسعاف (تتبع لجمعية خاصة بحزب الله وأخرى بحركة أمل، بحسب التحقيق دائماً) موجودة في مكان اصطدام السيارة الثانية. في إحدى السيارات – يتابع تحقيق اليونيفيل – كان هناك رجل كبير في السن مع ضمادات على رجله. وبعد وقت قصير، وصلت سيارة بيضاء اللون نوع «رابيد» بسرعة كبيرة، خرج من بابيها الأماميين رجلان، ورجلان إضافيان من الخلف. ثلاثة منهم يحملون سلاحاً أوتوماتيكياً، كانوا يصرخون أن سيارة اليونيفيل صدمت واحداً منهم. لقموا أسلحتهم وهددوا بقتل جنود اليونيفيل. لكن بسرعة تدخل بعض الأشخاص في الحشد ليأخذوا سلاحهم منهم.

يتابع التحقيق: «كيلي» كان قد اتصل عبر الهاتف بالمسؤول في الجيش اللبناني، الذي أبلغه بدوره أن النقطة التي تتواجد فيها السيارة الثانية ليست ضمن نطاق صلاحية وحدته، مؤكداً انه سيرسل «someone» في الدقائق العشرين المقبلة. ولا يشرح التحقيق سبب اتصال «كيلي» المطارد هو الآخر بالجيش، بدل أن تفعل وحدات اليونيفيل المركزية هذا كله، بل وتستنفر قواتها لإنقاذ زملائهم. وهكذا – يتابع التحقيق – قرر «كيلي» أن يعود بدوره إلى العاقبية من طريق آخر، ظن أنه سيكون أقل مراقبة، لكن دولابه ثقب... (يا له من حادث إضافي طارئ في هذه الليلة المشؤومة!)

وعند الساعة 12:10 دقائق بعيد منتصف الليل، فيما كان الجنود يحاولون تغيير الدولاب، كان «كيلي» ما زال يحاول الاتصال بالسيارة الثانية، ليسمع الأربعة صوت رصاص سلاح أوتوماتيكي خلفهم. وبعد وقت قصير، مرت بهم سيارة تقل رجلين، أحدهما كان يصورهم. فما كان من الجنود الإيرلنديين سوى ترك سيارتهم للتوجه نحو العاقبية سيراً! فيما انعطفت السيارة المدنية وعادت باتجاههم ليعرض السائق عليهم المساعدة، فيما يواصل زميله تصويرهم. لكن «كيلي» أرسل «مكانهم» لمركزه، وبدأوا الركض

> الاوصاف التي قدمها الشهود تبقي هوية الجناة مجهولة والرصاص أصاب السائق بالرأس

بأكثر من اتجاه، حائرين في ما يمكنهم فعله، في واقعة يكتبها «كيلي» بطريقة سينمائية جداً، قبل أن ينتهي «الرعب» بوصول سيارة خاصة بمديرية المخابرات في الجيش اللبناني، صعد الأربعة بها من الخلف، وكانت الساعة 01:12 بعيد منتصف الليل.

تحقيق اليونيفيل يقول إن موكب الإيرلنديين كان قد استحصل على clearance للحركة. سبب الحركة كان إيصال جنديين إلى المطار للمغادرة إلى إيرلندا. الموكب كان في الطريق الرسمي، لكن السيارة الثانية «فوتت» مدخلاً خاصاً بالطريق الرسميّ، وقبل نصف ساعة من الحادث لم تكن على الطريق الرسميّ. عملاً بالنظام المتبع، السيارتان كانتا قد اتخذتا الإجراءات الأمنية اللازمة خلال اجتماعهما عند الساعة الثامنة قبل الانطلاق لمناقشة الطريق وأمور أخرى، ولم يتم وضعهم في أجواء أي تهديدات أو مخاطر أمنية محتملة. السيارتان استخدمتا طرقات عامة، ولم تستخدما أية طرقات خاصة أو تقتربا من ملكيات خاصة. مع التأكيد بأن السيارة الثانية اصطدمت طبعاً بملكية خاصة «كنتيجة للاعتداء المسلح». و«ربما» – يتابع التحقيق – قد يكون جنود السيارة الأولى قد دخلوا إلى أراض هي ملكيات خاصة حين كانوا يحَاولون «التهرب» سيراً من الأهالي الذين كانوا يبحثون عنهم. وهم لم يتسببوا بأي ضرر كما لم يتفاعلوا مع أحد خلال هذا كله.

وعما إذا كان هناك إطلاق نار على الجنود، بين تحقيق اليونيفيل التالي:

1. 4 رصاصات أو شظايا طلقات أصابت الجندي روناي في رأسه، اثنتان منها ثقبتا جمجمته.

2. 15 أثر رصاصة وجدت في السيارة.

أشار تحقيق اليونيفيل إلى قيام الجيش اللبناني بالوصول إلى مكان الاصطدام بعد عشرين دقيقة، تماماً كما ذكر المسؤول العسكري عند اتصال القائد الإيرلندي به، كما ساعد الجيش جنود السيارة المعطلة الأولى، وبموازاة مساعدته في كل متطلبات التحقيق لاحقاً، أمن استعادة الإيرلنديين لكل أشيائهم الخاصة والتجهيزات، كما فتح الجيش تحقيقاً محلياً بالموضوع.

يتابع التقرير: على رغم الأوصاف التي قدمها الشهود لمشاركين محتملين في ما حصل، هويات وخلفيات «الجناة» تبقى مجهولة. وإذا كانت السيارة الثانية قد خرجت عن الطريق، عن طريق الخطأ، وإذا كانت السيارة الأولى لم تخطط للعودة والتوقف وغيره وغيره مما صادفهم في الطريق، فإنه لا يمكن القول إن «الحادثة» كانت محضرة، مسبقاً. التحقيق لم يكتشف أي دليل على تحضير، مسبق. مع إشارة التحقيق إلى أن الشهود الوحيدين الذين توفروا للجنة تحقيق اليونيفيل هم الجنود الإيرلنديون أنفسهم. ولم يتبين أن هناك أية سرقة لمعدات أو غيره تعود لليونيفيل، مع العلم أن قوات اليونيفيل لم تدخل «مسرح الحادث» حتى ظهر اليوم التالي، بعد أن أجرى الجيش اللبناني مسحاً وحمل السيارة، وفعل الأهالي كل ما يريدونه. وقد أعاد الجيش مقتنيات اليونيفيل بعد ستة أيام من الحادثة، من دون أن تتمكن اليونيفيل من تحديد من حصل عليها أولاً وماذا فعل بها قبل إعادتها للجيش ليعيدها بدوره إلى الوحدة الإيرلندية. كما لم يتبين للجنة التحقيق وجود أي إهمال من جهة اليونيفيل أنفسهم.

غ. س

المشهد السياسي

استئناف المشاورات السياسية والقانونية لحل قضية التمديد لإبراهيم

السعودية ترفض فرنجية وميقاتي

(هيثم الموسوي)

الملفات اللبنانية العالقة لا تزال متشعبة لتشمل إلى جانب الصراعات السياسية ملفات تتعلق بالانتخابات الرئاسية وعمل الحكومة والوضع النقدي في ظل تدهور سعر العملة الوطنية.

في الملف الرئاسي، بينما لا يزال كثيرون يراهنون على تدخل خارجي حاسم، ظهرت المزيد من التفاصيل عن لقاء باريس الخماسي الذي انعقد بداية الشهر الجاري. وقالت مصادر متابعة إن هناك إشارات لدى هذه الدول لعقد تسوية ليست بعيدة المنال لكنها تحتاج إلى وقت وجهد ونقاش أكبر. وقد نقلت المصادر أن الجانب السعودي بدأ الحديث عن رئاسة الجمهورية لناحية المواصفات من دون الدخول بأسماء محددة»، قائلاً إن «المملكة مع رئيس حيادي غير كيدي ولا ينتمي إلى أي حزب، وقادر على أن يتواصل مع جميع الأطراف». وبينما اعتبر الجانب المصري بأن «من الصعوبة إيجاد مرشح في لبنان لا ينتمي إلى حزب أو جهة، ولا بأس في أن يكون المرشح سياسياً ومنهم من يستطيع أن يكون على تواصل مع جميع الأطراف». عبر السعوديون عن رفضهم لرئيس تيار المردة سليمان فرنجية. وقال ممثلهم في اللقاء «بما أننا صرنا نتحدث بصراحة فنحن نرفض سليمان فرنجية». فردّ المصري «إذاً نحن أمام جوادين رئاسيين سليمان فرنجية وجوزيف عون، ونحن لا نستطيع أن نفرض على اللبنانيين رئيساً بالقوة»، لكن السعودي كرر رفضه قائلاً إن «فرنجية خارج السباق، ونحن نعتبر أن هناك مرشحاً وحيداً هو قائد الجيش جوزيف عون وإذا لم يكن هناك مجال لانتخابه فنحن نعتبر أن هناك الكثير من الأسماء المسيحية المستقلة والمثقفة والجيدة يمكن دعمها». وبينما لم يبد الجانب الأميركي اعتراضاً على فرنجية اعتبر خلال اللقاء أن «الدور الذي تقوم به حكومة تصريف الأعمال في ظل الفراغ جيد ويُمكن الإشادة به»، إلا أن السعوديين رفضوا الأمر بشكل حاسم لأنه «يغطي حكومة نجيب ميقاتي الذي تعتبره المملكة من ضمن الطبقة الفاسدة».

من جهة ثانية، توجّهت الأنظار نهاية الأسبوع في بيروت مجدداً إلى أروقة السلطة السياسية والنقدية، ترقباً لحركة سعر صرف الدولار، حيث يروج لتراجع نتيجة مساعي رئيس الحكومة نجيب ميقاتي مع مصرف لبنان ومع جمعية المصارف التي اعلنت أمس تعليق إضرابها لمدة أسبوع. ونقل أن رئيس الحكومة طالب حاكم مصرف لبنان رياض سلامة التدخل للجم سعر الدولار، لكن الأخير رفض متذرعاً بأن نوابه يرفضون إنفاق نصف مليار دولار إضافي من دون نتيجة. علماً أن الصراع حول الصلاحيات استمر على خلفية تدخل ميقاتي لمنع تنفيذ أي طلب قضائي صادر عن القاضية غادة عون، فضلاً عن إطلاق سراح عدد من الصرافين.

وفي الملف الحكومي وزّعت الأمانة العامة لمجلس الوزراء جدول أعمال الجلسة الحكومية الرابعة التي ستُعقد يوم الاثنين في السراي الكبير وعلى جدول أعمالها 8 بنود بينها مراسيم تتعلق باعتماد مبدأ الصرف على أساس القاعدة الإثني عشرية، المقدم من وزير المال يوسف خليل، إضافة إلى مشروع مرسوم يقضي بتحديد تعويض بدل النقل للعاملين في القطاع العام، وإقرار مرسوم تعويض بدل إنتاجية لموظفي الإدارات العامة وتعاونية الموظفين، وتعديل تعويض بدل النقل الشهري للعسكريين في مختلف الأسلاك العسكرية والأمنية وشرطة مجلس النواب، وتخفيض الرسوم الجمركية على أنواع مختلفة من الأدوية، ومنح سلفة خزينة لهيئة أوجيرو للدفع للموظفين، وطلب الهيئة العليا للإغاثة بالحصول على سلفة خزينة لاستكمال مسح الأبنية المتصدعة، وتأمين بدلات إيواء لقاطني المباني المتصدعة.

من جهة ثانية، عادت الاتصالات الخاصة بالتمديد للمدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم لتنشط خلال الساعات الماضية. وقالت مصادر مطلعة انه بعدما نقل عن رئاسة الحكومة تعذر وجود مخرج قانوني، عاد الفريق القانوني في السراي إلى الاجتماع مجدداً، ويجري التباحث في صيغة قد تكون مقبولة، وغير قابلة للطعن، وتسمح للرئيس ميقاتي اتخاذ قرار يبقي إبراهيم في منصبه لفترة زمنية إضافية.

وعلمت «الأخبار» أن ميقاتي «لم يقفل الباب نهائياً، وهو طلب مهلة يومين أو ثلاثة بانتظار سماع رأي القانونيين الأخير في هذا المجال». واستبعدت مصادر بارزة أن «يُصار إلى طرح موضوع التمديد لإبراهيم من خارج جدول الأعمال في الجلسة الحكومية المقبلة لأن ميقاتي يرفض ذلك، وهو قد أعلن قبل يومين أن التمديد هو من صلاحيات مجلس النواب لإبعاد الكأس عن الحكومة مستعيضاً عن ذلك باللجنة القانونية».

(الأخبار)

اميركا تختطف لبنانياً في رومانيا

اختطفت الاستخبارات الأميركية رجل الأعمال محمد بزي من رومانيا أمس، ونقلته إلى جهة مجهولة. وسبق للولايات المتحدة الأميركية أن وضعته في أيار 2018 على قائمة العقوبات الأميركية بتهمة تمويل حزب الله، ثم وضعت في أيار عام 2021 جائزة لمن يدلي بمعلومات عنه.

وكان بزي وصل إلى رومانيا برفقة محاميه اللبناني لأجل توقيع عقود عمل مع رجال أعمال من جنسيات أجنبية. وليتبين أنه كان ضحية عملية استدراج، إذ ما إن وصلت الطائرة التي تقله إلى مطار بوخاريست، وجد رجال أمن أميركيين في انتظاره، بينما أطلق سراح المحامي وهو من آل فرنجية.

يشار إلى أن الولايات المتحدة فعلت الأمر نفسه قبل سنوات مع رجل الأعمال قاسم تاج الدين قبل أن تفرج عنه بعد محاكمة وتدفيعه غرامة مالية كبيرة، وحصول جهود وساطة تولاها المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم في حينه.

تقرير

نظرية «بيت العنكبوت»... تضرب إسرائيل من جديد

يحيى دبوق

الإسرائيلي المقسم إلى مجتمعات فرعية، لديها من التنافر والتجاذب أكثر مما لديها لتتحد خلفه، وهو ما يجري إثباته حالياً في الأسابيع الأخيرة، في شوارع تل أبيب والقدس المحتلة، على خلفية الانقسام السياسي والاجتماعي، الذي لا يجد حداً أو أفقاً له.

اللافت أنه بعد أيام على تجهيل الإسرائيليين لخطاب نصرالله في ذكرى القادة الشهداء، عادت وسائل الإعلام العبرية أمس لتركز على هذا الخطاب، ولتعيد إنتاجه ضمن مقاربة ترتبط بالأزمة الداخلية في إسرائيل، وما تسببه من توسيع الهوة بين فئات الإسرائيليين. اللافت كذلك، هو تسمية خطاب القادة الشهداء بخطاب «بيت العنكبوت-2».

في عام 2000، تعامل الجيش الإسرائيلي وأركانه العامة، ولا مبالغة في ذلك أبداً، مع بيت العنكبوت الأول على أنه تهديد في ذاته، في مستويين اثنين: إنه يكشف هشاشة الجمهور الإسرائيلي في مستوى أول، وأنه يتيح للعدو أن يبني مقاومته وربما أيضاً مبادرته، وفقاً لهذه الهشاشة. وكان انشغال القادة الأمنيين في تل أبيب، منصباً على كيفية مواجهة الخطاب، الذي أطلقوا عليه «نظرية الشهداء بخطاب «بيت العنكبوت- 2».

وإذا كان إنكار إسرائيل هشاشة مجتمعها المكون من «قبائل» كما يرد في التعبيرات العبرية، متاحاً في عام 2000، كون الأزمات الداخلية غير ظاهرة وغير مفعلة، إلا أن إنكار الهشاشة الداخلية عام 2023، بخاصة في ظل التعبير العملي المباشر في شوارع المدن الإسرائيلية عن الانقسام والهشاشة، هي مهمة شبه مستحيلة. صحيفة «هآرتس» التي وصفت أمس، أيضاً خطاب القادة الشهداء بخطاب «بيت العنكبوت-2»، كان تركيزها دائماً في أي حرب أو مواجهة تقودها أو تكون رداً على مبادرة الآخرين. هذا ما تجلى بشكل كبير في معركة بنت جبيل عام 2006، وخطة رئيس أركان الجيش الإسرائيلي دان حالوتس المسماة خطاب «بيت الفولاذ»، بعد أن فشل الجيش الإسرائيلي في تنفيذها، نتيجة ضراوة مقاومة حزب الله في المدينة.

بالأمس، سلكت نظرية بيت العنكبوت-2 طريقها على لسان قادة إسرائيل وإعلامها، وليس صدفةً أنها جاءت بالحرف، في عدد من التعليقات.

وإذا كان أمين عام حزب الله «يشخّص ضعفاً داخلياً في إسرائيل، على خلفية الأزمة التشريعية والسياسية الواسعة، ولذلك بدأ بالتهديد»، لتسال نفسها والإسرائيليين، قادة وجمهوراً، إن كان سيعقّب التهديد حراك ميداني، إذ إن «خطوات على الأرض رافقت وسبقت الخطاب، ومن بينها «تهريب» منظومات دفاع جوي إيرانية إلى لبنان، من شأنها أن تقوّض التفوق الجوي لسلاح الجو الإسرائيلي، إضافة إلى نشر عشرات الأسلحة على إفهام الإسرائيليين أن أمين عام حزب الله «يشخّص ضعفاً داخلياً في إسرائيل، على خلفية الأزمة التشريعية والسياسية الواسعة، ولذلك بدأ بالتهديد»، لتسال نفسها والإسرائيليين، قادة وجمهوراً، إن كان سيعقّب التهديد حراك ميداني، إذ إن «خطوات على الأرض رافقت وسبقت الخطاب، ومن بينها «تهريب» منظومات دفاع جوي إيرانية إلى لبنان، من شأنها أن تقوّض التفوق الجوي لسلاح الجو الإسرائيلي، إضافة إلى نشر عشرات نقاط الرصد لحزب الله على طول الحدود مع لبنان».

بدورها، تطرقت صحيفة «معاريف» لخطاب نصرالله، الذي قالت إنه «انقضّ» على الأزمة العميقة التي تعصف بالمجتمع الإسرائيلي، إلى أنه إحياء لنظرية «بيت العنكبوت» لعام 2000، إذ إنه «يهدد الإجماع الضروري للخدمة في الجيش الإسرائيلي، عبر تعرية التضامن بين غالبية المجموعات السكانية في إسرائيل، في أي مواجهات عسكرية مستقبلية».

تقرير

هل تسحب جلسة مجلس الوزراء فتيل تفجير العام الدراسي؟

فؤاد بزي

صدر مساء أمس جدول أعمال جلسة مجلس الوزراء متضمناً ثمانية بنود، أحدها «مشروع مرسوم يحدّد مقدار تعويض النقل اليومي للعاملين في القطاع العام»، من دون تحديد موعد للجلسة. وفيما يتردّد أن الجلسة ستكون يوم الاثنين المقبل، لكن «حتماً لا تعليم يوم الاثنين»، يقول حيدر إسماعيل نائب رئيس رابطة الثانوي، فـ«العودة ليست بهذه البساطة، بل ترتبط بمعرفة مقرّرات مجلس الوزراء، ومساواة الأساتذة بالموظفين بما يتعلّق ببدلات الإنتاجية بالليرة، وعدم ربطها بالحوافز من وزارة التربية، ومن بعدها يأتي قرار الأساتذة والهيئات الإدارية».

رغم مرور ثمانية أسابيع على توقف العملية التعليميّة عن ما يقارب 400 ألف تلميذ، تستمر وزارة التربية، وعلى رأسها الوزير عباس الحلبي، بمحاولة إعادة 50 ألف أستاذ إلى الصفوف، وتسيير العام الدراسي بالترقيع، بالوعود، بالتهديد أو بالترغيب، لا يهمّ تطلب من المعلّمين العودة من دون أيّ مكتسبات تغيّر من واقعهم بعدما تدهور أساس راتبهم لحدود 32 دولاراً شهرياً، وكُشفوا صحياً بشكل تام على إثر اقتصار تغطية تعاونية الموظفين على 15% فقط كاقصى حدّ من الفاتورة الاستشفائية.

الوزير يعاطله

لا يتقدّم وزير التربية بأيّ مبادرة للحلحلة، حتى بما يمكنه تنفيذه ولا يحتاج إلى اجتماعات وزارية، مثل دفع بدلات الإنتاجية عن الفصل الدراسي الأول كمبلغ مقطوع يساوي 300 دولار، ولا يضع آلية لصرف 125 دولاراً شهرياً كبدلات إنتاجية عن الفترة المتبقية من العام الدراسي. تلفت مصادر في روابط التعليم إلى أنه «لتجنّب الدفع، تتذرع الوزارة دائماً بإعادة تجميع بيانات الأساتذة (أسماء وأرقام مالية)، على الرغم من قيامها بهذه العملية 3 مرّات منذ العام الدراسي الماضي»، وهناك تسريبات من الدوائر المقرّبة من الحلبي عن نيته «إقامة امتحانات رسمية للتعليم الخاص في حال استمرار الإضراب في القطاع الرسمي» إمعاناً في ضرب الأساتذة من جهة، واستجابة لضغط المدارس الخاصة التي تريد حضور لكلّ موظفي القطاع العام»، مع تخوّف كبير لدى المتابعين، من أن الحلول لن تجد طريقها إلى الحلّ، فالمطروح سيتطلّب كمّاً كبيراً من الأموال، وبالتالي قد يحتاج إلى تشريع نيابي لتغطيته، ما يعني تأخيراً غير منظور النهاية. يشار إلى أنّ الأساتذة غير مشمولين ببدلات الإنتاجية المقرّر إعطاؤها للإداريين في القطاع العام، بالإضافة إلى أنّ كلّ الحلول المطروحة لا تقارب سوى فترة عمل الأستاذ في المدرسة، ولا تقترب نهائياً من العطلة الصيفية، فالزيادات، إن صدقت، غير موجودة سوى في روزنامة الأشهر التعليميّة، أمّا لاحقاً «يدبّر راسه الأستاذ».

> تسريبات عن نية الحلبي إقامة امتحانات رسمية للتعليم الخاص من دون الرسمي

تحصيل كلّ ليرة من أقساطها.

والحكومة تجتمع

لذا تتعلّق الآمال مرّة أخرى على انعقاد جلسة لمجلس الوزراء لإقرار «الـ 5 ليترات من البنزين عن كلّ يوم الأساتذة، وتسعى بكلّ قوتها منذ مطلع الأسبوع الفائت إلى «خردقة الإضراب» في مناطق سيطرتها، ولهذه الغاية تعتمد سياسات وزارة التربية نفسها، مثل الترغيب والترهيب، إذ تستعين بالبلديات والفعاليات في القرى لـ«تأمين بدلات نقل للأساتذة، واختصار المطالب المعيشية بهذه النقطة فقط»، وسحب هذه الذريعة من الأساتذة بغية إعادة فتح المدارس، و«كأنّ المعلّم لا يأكل ولا يمرض ولا يصرف على عائلته، بل عليه الوصول إلى مركز عمله، وكفى»، بحسب أستاذة من منطقة بنت جبيل.

كما تمارس الضغوط المعنويّة على المعلّمين بواسطة المحازبين، ووسط مشاركة بعض رجال الدين، الذين يستخدمون المنابر للتحريض على المضربين، وتحميلهم مسؤولية العام الدراسي، من دون النظر إلى الحالة المعيشية للموظفين في القطاع العام، ومنهم الأساتذة. ويضاف إلى التصرّفات الحزبية الـ«لا نقابية»، ما يجري اليوم في بعض مناطق الجنوب والشمال والمتن، من محاولة مصادرة قرار الأساتذة النقابي عبر «دعوة المديرين لإعادة فتح المدارس وتعليم بمن حضر من الأساتذة». في المواجهة، يرفع الأساتذة على الأرض من سقف التحدّي، ويتوجّهون لأول مرّة ببياناتهم صوب مسؤولي هذه الأحزاب بسؤالهم عن « كيفية عيش إنسان براتب لا تصل قيمته إلى 40 دولاراً، وقبولهم تصوير المعلّم بصورة متسوّل يبحث عن عطاءات من هنا وهناك؟».

المكتسبات أولاً

«الروابط قلبها على التربية، وقلب الدولة على حجر»، بحسب سايد بوفرنسيس، رئيس رابطة المهني، الذي يرى في تصرّفات الحكومة «تواطؤاً على إقفال المدرسة الرسمية»، رافضاً في الوقت نفسه أيّ كلام عن العودة إلى التعليم «ما لم تدفع بدلات الإنتاجية عن الفصل الأول من دون شروط صعبة، وإقرار بدل النقل الجديد، ووضع آلية لصرف بدلات الإنتاجية للمدّة المتبقية من العام الدراسي». يضيف بوفرنسيس «بعد تحقّق هذه الشروط، نتكلّم مع الأساتذة للعودة، ونفتح معركة تثبيت سعر صيرفة، ودعم الاستشفاء».

تقرير

ديوان المحاسبة يدقّق حسابات الدولة على «ضوّ التلفون»

ندى أيوب

لن تُبقي الأزمة من «الدولة» شيئاً. تستفحل فيتزايد الانهيار الكامل لمؤسسات الدولة وأجهزتها المدنيّة والعسكرية. وفيما يجري ترقيع أحوال قصور العدل بعد اعتكافٍ قضائي هو الأطول، تخرج صرخة من ديوان المحاسبة حيث يتجاوز الشغور الوظيفي النصف. أما التدقيق في حسابات الدولة فعلى «ضوّ التلفون»، واستمراريته غير محسومة.

هكذا يُوضع على المحك عمل الجهاز الرقابي المسؤول عن مراقبة تنفيذ الموازنة وإدارة الأموال العامة والتدقيق في حسابات الدولة ومؤسساتها و55 بلدية. حال الديوان من حال مؤسسات الدولة عامةً، وهي في الأصل مهترئة يختلط فيها السياسي بالطائفي بالمحسوبيات والرشوة، إلّا أن ذلك لا يعني أنها لم تكن تقوم بأيّ جُهدٍ أو لم يكن فيها كوادر بشرية مؤهّلة لقيادتها قبل أن تستنزف الأزمة خيراتها.

في ديوان المحاسبة اليوم 115 مركزاً شاغراً، ويتولى تسيير الأعمال 112 موظفاً في الملاك من أصل 227 لحظهم قانون إنشاء الديوان. ويقتصر العمل في الغرفة الرابعة المولجة بالتدقيق في حسابات الدولة كافة على 8 مدققين فقط، فيما يضمّ الديوان 19 مدققاً من أصل 50 ينجزون ما تيسّر من مهام.

في التحديات اللوجستيّة أيضاً، غياب الطاقة، فحين تنفد مادة المازوت من مولّد ديوان المحاسبة، تُدقّق حسابات الدولة على «ضوّ التلفون» في الغرفة الرابعة، في انتظار نجاح الجهود لتأمين كميات جديدة من المازوت تقدّمها جهة داخلية بالمجان كمساعدة. جولة في مكاتب الديوان وأروقته تجسّد صورة الإدارة المنهارة، حيث تتحكّم أربعة عناصر بالعمل والإنتاج: مدة تشغيل المولدات ربطاً بكميات المازوت المتوفرة، قبل أن تسود الظلمة حتى في ساعات النهار، توفّر القرطاسية من أقلام وأوراق (وهذه يقدّمها متبرّعون)، مدى تعاون أصحاب المطابع مع الديوان، إذ إن التقارير الصادرة عنه في الفترة الأخيرة طُبعت بالمجان تحت مسمّى «تقدِمَة». وأخيراً، أتى الإضراب المستمر لموظفي الإدارة العامة احتجاجاً على فقدان الرواتب قيمتها الشرائيّة مقابل ارتفاع مستمرّ في كلفة النقل لينعكس على انتظام العمل، بعدما فقد الموظفون القدرة على تحمل كلفة الوصول إلى مكاتبهم، ليداوموا راهناً يومين فقط في الأسبوع.

> نسبة الشغور 50% والمازوت يتحكّم بساعات العمل والقرطاسيّة يقدّمها متبرعون

واقع انعكس صعوبة في التدقيق في حسابات المؤسسات العامة، يضاف إليها 55 بلدية تخضع لرقابة الديوان المسبقة. ويتمحور العمل حالياً على دراسة الحسابات العائدة إلى الأعوام العشرين التي أودعتها وزارة المالية لديه (1997 – 2017)، وهو انتهى من حسابات أربعة أعوام من 1997 حتى 2000 ضمناً. كما أصدر قطع حساب للأعوام 2017، 2018 و2019. وأصدر تقارير خاصة طال آخرها قطاع الاتصالات حيث وثّق عشر سنوات من الهدر. ويلفت معنيون في الديوان إلى أن «وزارة المالية تتخلّف عن إيداع الديوان حسابات عامين 2020 و2021 منذ ما يزيد على سنتين، لتدقيقها ومن ثم إصدار قطع الحساب بشأنها». وما إقرار المجلس النيابي موازنة عام 2022 قبل التصديق على قطع حساب عام 2021 إلا مخالفة دستورية تضاف إلى مخالفاته المتراكمة أساساً. وذريعة «المالية» وفق المعنيين في الديوان «الإضراب المستمر للموظفين، وحال العمل في الإدارة بشكلٍ عام». هذا الاختلال في تلبية خدمات العموم يضع مؤسسات الدولة أمام خيارين لا ثالث لهما: الشلل التام أو العمل بالحد الأدنى على ما يتيسّر من مساعدات.

وفي نقاش تأثير الأزمة في سياق إعادة شرعية السلطة العامة والتحديات المتصلة بها، ثمة فكرة تشير إلى أن تفادي الوصول إلى انهيار المؤسسات العامة بشكلٍ كامل يحتاج إلى تأمين مصادر تمويل، إذ لا يفترض أن يحل دعم الجهات الداخلية أو المانحة الدولية مكان عمل الدولة. وتجدر الاشارة هنا إلى استطلاع أعدّه معهد باسل فليحان، قبل عام، أظهر أنّ 41,5% من المؤسسات العامة كانت عاجزة عن التكيف مع الأزمة، وأن 62% من المديرين العامين أشاروا إلى أن فقدان الحافز وانخفاض مستوى الأداء هما تحدّيان رئيسيّان في وجه التغيير وتطوير القطاع العام. والمشكلة الأبرز التي تواجه القطاع أن السلطة السياسية امتنعت عن تصحيح أجور موظفيها ودفعتهم نحو الهجرة. وتبيّن أن 54% من المؤسّسات العامة عانت من خفض في موازناتها تراوحت بين 10% و20% عام 2021، وتمكنّت 17% فقط من المؤسّسات من تعديل خطط عملها بما يتناسب مع تعقيدات الوضع الراهن، ووضع بدائل تهدف إلى ضمان الحد الأدنى من الأداء.

قصّة أوّل صهيوني عربي مُجاهر في أميركا: عن فؤاد عجمي [2]

أسعد أبو خليك *

هذه مراجعة نقديّة لكتاب صدر لفؤاد عجمي بعد وفاته، بعنوان «عندما فشل السحر: مذكرات لطفولة لبنانيّة، عالقة بين الشرق والغرب»، والصادرة عن دار نشر «بومباردير» (لم أسمع بها من قبل).

لماذا الحديث عن فؤاد عجمي وهو ماتَ قبل نحو عقد من الزمن؟ الجواب ببساطة: هو جزء من مدرسة في الثقافة السياسيّة "العربيّة، وكان مؤسّسها أنور السادات. هي مدرسة في الاحتقار الذاتي للذات العربيّة، وهي مدرسة في الخضوع للصهيونية وتبجيل دولة إسرائيل. كل من أتى بعد السادات وتصالح مع إسرائيل اعتنق مقولاته بصورة أو أخرى.

هي لازمات متكرّرة في المسار الساداتي: (العرب أضعف من مواجهة إسرائيل، وتخلّف العرب هو المشكلة، لا احتلال فلسطين. لوم الشعب الفلسطيني على نكبته، أن مشكلتنا مع إسرائيل تنحصر بعقدة نفسيّة تنتابنا وتمنعنا من الجلوس والرضوخ لإسرائيل). فؤاد عجمي مدرسة أنتجت عدداً من الشيعة اللبنانيّين الذين يعملون في إعلام الخليج وإعلام حكومات الغرب: أي الذين يتخصّصون في ذم الطائفة التي وُلدوا فيها والذين يحتاجون لتوكيد نفورهم من الحركة السياسيّة المقاومة ضد إسرائيل. عجمي يمثّل مرحلة من العداء الجنوبي الشيعي ضد احتقار العنصر العربي. وهذه السخرية من العرب، كشعب، هي من نتاج فؤاد عجمي، الذي نهل، كما سبق، من الاستشراق الإسرائيلي العنصري، كل مقولات وليد جنبلاط عن العرب وفي ذمّ مقاومة إسرائيل هي تقليد لمقولات عجمي. تذكرون عندما ترحّم جنبلاط على ديكارت وأننا متخلّفون لأننا لم نحتضن ديكارت؟ وأوّل من جاهر بتأييد مواقف عجمي بين العرب في واشنطن كان بعض الطلاب الخليجيّين من مؤيّدي حكوماتهم. أذكر طالباً سعودياً قال لي مرّة: يجب أن نؤيّد عجمي لسبب بسيط. قلتُ له ما هو

> **أذكر ذلك جيّداً، أن إدوارد سعيد وصف عجمي (بالإنكليزية) أمام تجمّع للعرب الأميركيّين بـ«العم عبده»، على نسق «الانكل توم»، أي الأسود المُطيع الخانع**

> **يقول عجمي إنه كان عنده حس الحشرية نحو إسرائيل منذ أن كان يشاهد المطلّة من قريته أرنون في جنوب لبنان**

السبب؟ قال: إن عجمي يصعد باستمرار في المؤسّسة الحاكمة وعلينا أن ننتظر كي يصل إلى القمّة. سألته: وماذا بعد أن يصل؟ هل سيحرّر فلسطين لنا؟ وليس العراقي كنعان مكيّة (الذي هلّل لغزو العراق ووعد بوش بأن الشعب العراقي سيرحّب بجنود الاحتلال بـ«الورود والحلوى») إلا تقليداً لظاهرة فؤاد عجمي (ومثل عجمي نال مكيّة تقديراً ومكافأة على مواقفه. حصل مكيّة على دكتوراه فخرية من الجامعة العبرية، وضمن مؤيّدون صهيانة له حصوله على منصب تعليمي في جامعة برنداييس الصهيونيّة، مع أن الرجل متخصّص في الهندسة المعماريّة—هو درس لكنه لم يتخرّج من جامعة أم آي تي). وتعرّض عجمي بعد موت إدوارد سعيد إلى إنعاش من قبل الإعلام السعودي. كان عجمي، الذي تخصّص في ذم العرب، يشيد ببعض العرب، وكان يذكر بالاسم عبد الرحمن الراشد، الذي تأثّر به.

لم يكن عجمي يظهر في الإعلام التقدّمي أو الإعلام الحرّ الذي كان يمكن أن يوجّه نقداً له. كان يظهر في الشبكات الأميركيّة التي تطلّبت منه ذمّ الفلسطينيّين والعرب، وكان يفعل ذلك بحماسة وعداء شديدَين. لم يكن يمنح مقابلات لصحافيّين يُعدّون مقالات نقديّة عنه، مثل مقالة أدم شاتز في مجلة «ذا نيشن». أخطأ عجمي الحسبان مرّة واحدة. كان مدعواً إلى مؤتمر في دبي (كانت الإمارات والسعوديّة تقدّره حقّ تقدير في آخر حياته، خصوصاً لأنه كان قريباً جداً من أجهزة الحكم في إسرائيل ومن قادة الحزب الجمهوري في واشنطن) وطلبت محطة سعوديّة إجراء مقابلة معه، فظنّ أن المقابلة ستكون على نسق مقالات صديقه عبد الرحمن الراشد. لكن المحاور لم يكن إلا الإعلامي السعودي البارع والتقدّمي، داود الشريان (الذي نُعاني ذات يوم في جريدة «الحياة» بعنوان «نهاية رجل شجاع»، لأنني انتقدتُ خالد بن سلطان). داود الشريان أبدع في محاورة عجمي لم يسمع عجمي هذا الكلام من قبل من أي مُحاور. سأله الشريان عن سبب كراهيته للشعب الفلسطيني وعدم إبدائه أي تعاطف معه، كما سأله عن الوحشيّة الأميركيّة في العراق. كان عجمي مرتبكاً ولم تسعفْه لغته العربيّة الضعيفة في الردّ، خصوصاً أنه معتاد على الأسئلة السهلة في الإعلام الأميركي. لكن عجمي كان صريحاً عندما أخبر الشريان أنه دائماً يعتبر نفسه أميركيّاً وليس عربيّاً. وهذا كان واضحاً في كل مقابلاته على الشاشات الأميركيّة، أن يستهلّ إجاباته بالقول: إنني كأميركي، كذا وكذا. وهذا ديدن عدد من المتحدّثين العرب في أميركا. يناشدون الرجل الأبيض كي يقبلهم واحداً منهم، مع أن الرجل الأبيض لن يقبلهم في صفوفه لأنه يعتبرهم، مهما نطقوا بالصهيونيّة، رجلاً ملوّناً خارج العرق السائد. وأوضح عجمي أن معاناة الشعب الفلسطيني لا تعنيه، كما ظلّ يكرّر أن مشروعه هو مشروع ليبرالي علماني. لكن عجمي تحالف مع اليمين المسيحي ومع المحافظين الجدد الذين روّجوا له. أين الليبراليّة العلمانيّة في الحزب الجمهوري الذي إيّده؟

تحدّثتُ في الحلقة الماضية عن غربة حصول عجمي على مركز أكاديمي في جامعة برنستون بعد تخرّجه من «كليّة شرق أوريغون» ثم «جامعة واشنطن في سياتل»، لأن جامعة برنستون في قسم العلوم السياسيّة عادة تعيّن فقط خرّيجي خمس أو ست جامعات فقط. لكن البروفسور ريتشارد فولك يوضّح الأمر في مدوّنته في 9 تموز، 2014. ريتشارد فولك هو أستاذ شرف في القانون والعلاقات الدوليّة في جامعة برنستون وهو من القلّة المُجاهرة بتأييد الحق الفلسطيني في أميركا (تعرّفتُ عليه للمرّة الأولى في منزل سري مقدسي، أستاذ الأدب المقارن في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجليس، وكنا مشاركين جميعاً في مؤتمر عن فلسطين). وفولك عمل مقرّراً لمجلس حقوق الإنسان في الأمم المتحدة، واعترض اللوبي الإسرائيلي على تعيينه. يعترف فولك أنه كان مسؤولاً عن تعيين عجمي في جامعة برونستون. يقول إنه تشارك مع عجمي في نفس الرؤية للعلاقات الدوليّة وأنه هو الذي عرّف عجمي على إدوارد سعيد وإقبال أحمد (إقبال أحمد مثقّف باكستاني يساري وكان صديقاً قريباً من سعيد ومن أصحاب الأصوات المطالبة بالحق الفلسطيني في الغرب، وكان خطيباً في معظم المنتديات والمؤتمرات العربيّة في أميركا، قبل أن تقضي الأنظمة الخليجيّة على كل المنظمات العربيّة-الأميركيّة لأن الجمهور كان معارضاً للحرب الأميركيّة في العراق في 1990). نفر فولك من كتابات عجمي ومن التوجّه السجالي «الموالي لإسرائيل». ويلاحظ فولك أن مرائي عجمي اختلفت: إطراء وتبجيل من جريدة «وول ستريت جورنال» الصهيونية ودمّ وتقريع من جريدة «الصباح» التركيّة التي اتهمت عجمي بالانتهازيّة وقالت إننا سنتذكره فقط لاعتذاريّته عن الجرائم الإسرائيليّة (كان من مؤيّدي الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في 1982، مثله مثل الكثير من أهل الجنوب، للأسف—وهذه الحقيقة ستقبّح تاريخ جبل عامل إلى الأبد). هلّل عجمي للغزو الأميركي للعراق وزها في مقابلة في الشريان أن ديفيد بتريوس، القائد العام للقوات الاحتلاليّة في العراق، كان يطلب مشورته. كان ضيفاً دائماً في جلسات الكونغرس ولم يخبّئ توقعاته الشرق في ذم الشعب الفلسطيني والسخرية من العرب. قالت عنه جريدة «الصباح» التركيّة إنه مثال «المسلم الجيّد»، بحسب تعبير محمود ممداني في كتابه «مسلم جيّد، مسلم سيّء: أميركا والحرب الباردة وجذور الإرهاب». وانقطعت الصداقة بين فولك وبين عجمي باستثناء لقاء عابر في التسعينيّات في العاصمة الأميركيّة. يقول فولك إن عجمي كان قلقاً من كلام عجمي صدر عن إدوارد سعيد واعتبره عجمي بمثابة «حكم إعدام». ولم يكن ما قاله عجمي لفولك صحيحاً أبداً. كلّ ما في الأمر، وأنا أذكر ذلك جيّداً، أن سعيد وصف عجمي (بالإنكليزيّة) أمام تجمّع للعرب الأميركيّين بـ«العم عبده»، على نسق «الأنكل توم»، أي الأسود المُطيع الخانع (أنا للأمانة قلتُ لسعيد يومها إن العبارة يمكن أن تستعمل لقمع الأفكار الحرّة مع أنها تصلح في حالة عجمي).

ويتناول فولك حالة التحوّل من موقف تقدّمي إلى موقف يميني رجعي (مع أنني أشكّك في مطابقة حالة عجمي مع الظاهرة لأنه لم يكن تقدميّاً في حياته، بل لبس الرداء عندما كان ذلك ملائماً لحصوله على وظيفة من خلال علاقة مع الأكاديمي التقدّمي، فولك). والتأمّل في الظاهرة مفيد لأننا، خصوصاً في لبنان، شهدنا حالات عديدة من التحوّل من اليسار إلى اليمين الرجعي. يُشكّك فولك في صوابية تحليل التحوّل بناء على لحظة تأمّل عميق. يتساءل فولك: هل هي صدفة أن التحوّل يكون نحو الجهة الرابحة والثريّة؟ من هنا، أنا لا أؤمن بنظريّة التحوّل: إن هناك مثلاً مَن كان يسارياً عروبياً ثم اشتراه رفيق الحريري. أقول إن هذا الشخص لم يكن وطنيّاً أو يساريّاً من قبل بل كان في الأصل انتهازياً. كان هناك انتفاع في الماضي من الانضواء في صف المقاومة الفلسطينيّة والحركة الوطنية، وعندما أفلست الحركتان هجرها معظم مؤيّديها. والصحافي اللبناني الذي كان في صف المقاومة ثم انتقل إلى العداء لها: هذا لم يكن إلا منتفعاً في الحالة الأولى ووجد أن الانتقال أنفع. هذا يصلح في حالة عجمي. تقزّز من الأكاديمي ريتشارد فولك عندما وجد في الصلة دفعاً لطموحاته الأكاديميّة في بداية عمله، ثم وجد أن المنفعة أكبر في الصف الصهيوني. وقسم دراسات الشرق الأوسط في جامعة برنستون من أعرق المراكز الصهيونيّة في الجامعات (وترأسه برنارد لويس لسنوات، وهناك تعرّف لويس على عجمي. ونفر فيليب حتي من المركز في آخر سنواته وعاقب جامعة برنستون بأن أوصى بنقل مكتبته إلى جامعة مينسوتا). أمّا عن علاقة عجمي اللاحقة بإسرائيل (وهو لم يتناولها في الكتاب لأن الكتاب يتطرّق لسنواته الأولى في بيروت، من الطفولة إلى الصبا حتى مجيئه إلى أميركا بعد تخرّجه من الثانويّة) فهي موضوع فصل في كتاب المؤرّخ الإسرائيلي، مارتن كريمر، «فؤاد عجمي يذهب إلى إسرائيل» في كتاب، «الحرب على الإرهاب: إسرائيل والإسلام والشرق الأوسط». وكريمر كان تلميذاً لعجمي في جامعة برنستون في عام 1974. يقول عجمي إنه كان عنده حس الحشرية نحو إسرائيل منذ أن كان يشاهد المطلّة من قريته أرنون في جنوب لبنان. بعضنا نرى فلسطين المحتلّة والمستوطنات من الحدود الجنوبيّة وينتابنا غضب شديد لمشهد فلسطين وهي مُحتلّة، والبعض الآخر تنتابه حشريّة عن العدوّ. كان يقول فرنسي واقعٌ تحت الاحتلال النازي إن حس الحشرية نحو النازية نمى عنده تحت الاحتلال. يعترف كريمر أن عجمي لم يكن في عام 1974 ثائراً من أجل فلسطين والعروبة (عندما كان يفترض أنه كان قومياً عربيّاً متحمّساً لفلسطين). على العكس، يروي أن كان هناك في صفّه ضابط مدفعيّة إسرائيلي (شارك في حرب تشرين) وأن عجمي كان مهتماً جداً به، وفي مقابلة مع جريدة الجامعة قال الضابط الإسرائيلي عن عجمي إنه «يتفاهم معه جيداً». هذا في عام 1974.

ويروي مايكل كريمر أن عجمي أخبر تلاميذه في عام 1979 أن ياسر عرفات وجّه له دعوة لزيارته برفقة عدد من تلاميذه. من المؤكد أن عجمي، المعروف بعدم احترامه للحقيقة، اختلق القصّة كي يبهر السامعين. وهذا ديدنه في المهنة التي أوجدها لنفسها: المخبر المحلّي الذي يستطيع أن يروي بأسلوب جذّاب أخبار تدغدغ المخيّلة العنصريّة للسامعين في الغرب. لم يكن عرفات قد سمع بعجمي (ومن المستغرب أن نبيه بزي كتب مقدّمة الترجمة العربيّة لكتاب عجمي عن موسى الصدر، أو ربما هو لم يعرف عن علاقات ودور عجمي في الولايات المتحدة على حقيقته).

يرصد كريمر بدايات تحوّل عجمي، إذا كان هناك من تحوّل، إلى مرحلة انتقاله لوظيفته الجديدة في مركز الدراسات الشرق الأوسطيّة في كليّة الدراسات الدوليّة المتقدّمة التابعة لجامعة جونز هوبكنز، وتعرّفه على مارتن بيريتز، ناشر المجلّة الصهيونيّة المتطرّفة، «ذا نيو ريببلك» (للأمانة، لم تعد المجلّة مملوكة منه وتغيّر خطها التحريري كثيراً في السنوات الماضية، وابتعدت عن الهوس بالمصلحة الإسرائيليّة). وكان عجمي قريباً من محرر الشؤون الثقافيّة في المجلّة، ليون فيزلتير، وهو الذي أشرف مع زوجته على تجميع أوراق مذكرات عجمي ودفعها للنشر. وتقرّب عجمي أيضاً من مورت زاكرمان، ناشر مجلّة «ذا اتلنتك» (هي أصبحت مملوكة من أرملة ستيف جوبز، ويحرّرها سجّان إسرائيلي سابق) ومجلّة «يو أس وورلد آند نيوز ريبورت». والأخير كان نافذاً في منظمات اللوبي الصهيوني في واشنطن وأبوا. الاثنان أخذا بعجمي: كان يندر أن تجد عربياً في أميركا لا يمانع في ذم القضيّة الفلسطينيّة والسخرية من العنصر العربي. وموهبة عجمي الكتابيّة واللفلفة زادت من رواجه ومن الطلب على استعراضاته الإعلاميّة والخطابيّة.

كانت أوّل زيارة لعجمي إلى إسرائيل في عام 1980. يومها، بحسب ما روى في مجلّة «يو أس نيوز» عبرَ عبْر جسر اللنبي. ويقول كرايمر أنه منذ تلك الزيارة أصبح يزور فلسطين المحتلّة (إسرائيل بالنسبة له) بانتظام، وكان يطير مباشرة إلى مطار بن غوريون. وكان أصدقاؤه، مثل كريمر، ينتظرونه قبل المرور في قسم الجوازات كي لا يعاني من الإذلال الذي يتعرّض له كل عربي، ولو كان أميركيّاً، في المطار. (يقول رجل أعمال عربي معروف أن الإخ غير الشقيق لعجمي، محمد، المقيم في لندن، كان يحتفظ بجناح دائم في فندق الملك ديفيد وكان يزهو بصداقاته مع زعماء إسرائيل). يقول عجمي في مقالة في «يو أس وورلد» إنه كان يعرف الكتاب والصحافيّين الإسرائيليّين من زياراتهم إلى أميركا، وقال إن إسرائيل «انفتحت نحوه». طبعاً، طمأن قراء المجلة الصهيونيّة بأن «قصة فلسطين ليست قصّتي». (عنوان مقالته هو «نهاية القوميّة العربيّة». كم كان يحب العبارة لأنها منذ أن كتبها في مقالة في مجلّة «فورين أفرز» في شتاء 1978، أصبح رثاء القوميّة العربيّة من اختصاصه، وقلّده كثيرون من العرب في الغرب، مثل عضيد داويشا في أميركا وبسام طيبي في ألمانيا). يقول كريمر إن زيارات عجمي لإسرائيل كانت «خاصّة» وأنه لم يُلقِ محاضرات فيها. وكان يلتقي بمسؤولين إسرائيليّين. وكان صديقه، إيتامار رابينوفيتش (المؤرّخ المقرّب من رابين) ينظّم له لقاءاته مع المسؤولين الإسرائيليّين. يطري كريمر على عجمي عندما يقول إن عجمي لم يكن يزهو بخبر لقاءاته مع رؤساء حكومة إسرائيل. ولماذا يزهو؟ خصوصاً أن انحيازه السياسي كان واضحاً، وكانت اللقاءات ستزيد من صبغته الصهيونيّة. يقول عجمي إن «ثقافة الجامعات (الإسرائيليّة) وحدّة المناظرات الفكريّة فيها قضت على التردّد الذي ساوره في بداية زياراته». لم يلاحظ عجمي حدود المناظرات الفكريّة وأن الإيمان بدونيّة الشعب العربي كان ولا يزال محلّ إجماع بين مثقّفي العدوّ.

وكانت أوّل إطلالة (علنيّة) لعجمي في مناسبة صهيونيّة أميركيّة في 1992 في حفل لجمع التبرّعات لمنظمة صهيونيّة استيطانيّة في نيويورك، وكان الخطيب الآخر هنري كيسنجر. يقول كريمر إن الإعلام العربي ضجّ بالخبر وذمّ عجمي بعنف. هذا غير صحيح على الإطلاق. لم يكن عجمي معروفاً أبداً في العالم العربي في حينه ولم يتم ذكر الخبر في أي من منابر الإعلام العربي. أصبح عجمي معروفاً لقسم من العرب (فقط) بعد غزو العراق لأنه كان بوقاً من أبواق الإدارة الأميركيّة وعصر الفضائيّات عرّفه على جمهور عربي لم يكن يدري به (لا يزال هناك من العرب من يسألني: من هو هذا الفؤاد عجمي الذي تكتب عنه؟). وفي عام 2012، حضر عجمي حفلاً لـ«أصدقاء جامعة تل أبيب الأميركيّين» بمناسبة تكريم صديقه برنارد لويس. وكلمة عجمي في المناسبة، ووراءه العلم الإسرائيلي، ركيكة للغاية وهزليّة وهزيلة، وملؤها الإعجاب بلويس ونهجه والتنصّل من العالم العربي. يعترف أنه كان في عام 1974، عندما كان قومياً عربيّاً بحسب السرديّات المغلوطة، يتقرّب من لويس عندما وصل إلى جامعة برنستون ويلقي عليه التحيّة باحترام، إلى أن سأله لويس عن أصله وسمح له بمناداته باسمه الأوّل. ولم ينس عجمي في كلمته أن يذمّ بإدوارد سعيد وأن ينتبأ أن التاريخ سينصف الذي نطق بالحقيقة، أي أن سعيد كان الكاذب عن الشرق الأوسط وأن الخبر اليقين هو عند المؤرّخ الصهيوني، برنارد لويس. ويقول إنه بالرغم من نقد لويس في العالم العربي فإن صحافيّين عرباً كانوا يقصدونه كي يتعرّفوا على لويس. طبعاً، هؤلاء الصحافيّون يعملون في إعلام الخليج الذي روّج لكَ ولبرنارد لويس ولعتاة الصهاينة. وبعد وفاة عجمي أفردت صحيفة «الشرق الأوسط» قسماً خاصاً بالمراثي عنه، وكلّها من مؤيّديه وأنصاره، من دون استثناء. لم تنشر أي كلمة نقد ضدّ فؤاد عجمي. الصحافة العربيّة تجاهلته في الغالب، لكن موقع «الحرّة» رثاه بحرارة ودموع مدرارة (هو موقع المحطة التلفزيونية العربيّة الرسميّة للحكومة الأميركيّة والمُكلّفة من الحكومة بضخّ البروباغندا الأميركيّة باللغة العربيّة. وموقع «يوتيوب» يضع تحذيراً حول مضمونها من أميركا لأن ضخّ الأكاذيب الحكومية مسموح فقط خارج الحدود الأميركية بحسب القانون).

هذه المقدّمة كانت ضروريّة للتعريف بعجمي في الجمهور العربي قبل التطرّق، في الحلقة المقبلة، إلى كتابه الأخير الذي صدر بعد وفاته.

(يتبع)

* كاتب عربي - حسابه على تويتر @asadabukhalil

عام على الحرب الأوكرانية: نشوء معسكر عالمي مضاد

محمد سيد رصاص *

قام فلاديمير بوتين بمحاولة انقلابية على نظام القطب الواحد الأميركي للعالم في يوم 24 شباط 2022 من خلال الغزو العسكري الروسي لأوكرانيا، وبالتأكيد ليس العالم ما بعد هذا اليوم مثل الذي كان قبله. وقد شملت التأثيرات الاقتصاد في مجالَي الحبوب والطاقة على مدى العالم، ودخلت بلدان في أزمات اقتصادية حادة بسبب الحرب الأوكرانية، ونشأت تغييرات في الهيكلية الاقتصادية العالمية من خلال اتجاه أوروبي نحو الانفطام عن الغاز والنفط الروسيَّين، فيما اتجهت الصين نحو ازدياد اعتمادها على مورد الغاز الروسي. وهناك مؤشرات كثيرة على عودة مستقبلية لمنطقة الشرق الأوسط إلى أهميتها الاقتصادية كمورد رئيسي للطاقة للقارة الأوروبية باعتبار أن لا بدائل حقيقية عن النفط والغاز في «الطاقة البديلة» حتى الآن، ولا بديل جغرافياً عن النفط والغاز الروسيين سوى في الشرق الأوسط، الممتد بين باكستان والمغرب، بالنسبة إلى الأوروبيين.

لا يمكن بعد عام مضى على الحرب الأوكرانية القول بعد بأن محاولة انقلاب بوتين قد نجحت، ولا يمكن القول أيضاً بأنها قد فشلت، فهذا يعتمد على مصير الحرب تلك التي يبدو أنها ستطول. ومن تصريح رئيس الأركان الأميركي في لقاء القادة العسكريين للدول الداعمة لأوكرانيا في ألمانيا الشهر الماضي، يبدو أن هناك توقعات بأن تتجاوز الحرب الحدود الزمنية لعام 2023.

ولكن تلك الحرب بلورت حلفاً صينياً ـ روسياً يبدو أنه قد شجّع إيران على أن تكون ثالثته، وخاصة بعد أن فشلت مفاوضات فيينا لإحياء الاتفاق النووي بين واشنطن وطهران في الخريف الماضي. وهناك مؤشرات على أن الحرب الأوكرانية التي زادت من تقاربات موسكو وأنقرة وباعدت بين تركيا والولايات المتحدة قد جعلت إردوغان يكون قاب قوسين أو أدنى من أن يكون رابع ذلك الحلف، وخاصة بعد عروض بوتين بالخريف الماضي لجعل تركيا المركز الوحيد لتوزيع الغاز الروسي إلى أوروبا، وهو ما كاد لولا الزلزال الأخير أن يترجم في تسوية روسية ـ إيرانية بين أنقرة ودمشق. ولا يُعرف حتى الآن إن كان الزلزال سيكون مساعداً على هذا المسار في طريق موسكو ـ أنقرة ـ دمشق أم أن الانتخابات التركية القادمة، التي ستكون حظوظ إردوغان فيها أقل مما كان الوضع قبل الزلزال، هي التي ستقول القول الفصل في هذا المجال. هذا أنشأ معسكراً عالمياً، على الأقل بين بكين وموسكو وطهران، لم يكن موجوداً قبل عام مضى، يمكن القول بأنه رغم كونه لا يملك أيديولوجية واحدة، كما كان الوضع بين موسكو وبكين بين عامَي 1949و1960 قبل انفجار الخلاف الصيني ـ السوفياتي، ولكنه يملك مصلحة مشتركة في عالم متعدّد الأقطاب ينهي القطبية الأحادية الأميركية للعالم القائمة منذ عام 1989، بعد انتصار البيت الأبيض على الكرملين في الحرب الباردة بين عامَي 1947و1989. وهو يبدو متناغماً في العدائية لواشنطن، وقد وصل إلى مرحلة اللاعودة بحيث لا تستطيع الولايات المتحدة كسره أو تفريقه عبر إغراء أطراف من هذا الحلف بتركه مقابل مكاسب معينة. بالمقابل، قادت الحرب الأوكرانية إلى تشكيل حلف بزعامة الأميركان يضم حلف «الناتو» واليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا، وهذا الحلف هو الذي يستخدم أوكرانيا والأوكرانيين من أجل ما قاله بوتين قبل شهرين عن «إضعاف الاتحاد الروسي وتقسيمه»، وهم يريدون تطويل الحرب التي تحولت إلى حرب بالوكالة عبر الأوكرانيين عن ذلك الحلف ضد موسكو.

> **هناك تهزهز لنظام القطب الواحد الأميركي للعالم من خلال نشوء معسكر عالمي مضاد ويجب ان يُضاف انّ هذا التهزهز لا يعني الانهيار**

عملياً، قاد هذا التبلور للحلفين في عالم ما بعد 24شباط 2022 إلى إنشاء وضع من المجابهة العالية بينهما. هناك ساحة مشتعلة بفعل تلك المجابهة هي أوكرانيا، وهناك مناطق توتر تتركز فيها هذه المجابهة مثل بحر الصين الجنوبي ومضيق تايوان بين بكين وتايبيه وبين واشنطن وبكين. وتوتر الكوريتين والتوتر بين الصين واليابان قد زاد على إيقاع هذه المجابهة، وتجري هناك زيادة للقواعد العسكرية الأميركية في الفيليبين ومحاولات استقطاب أميركية لإندونيسيا التي تربطها روابط اقتصادية قوية مع الصين. وليس بعيداً أن يقود هذا التّجابه العالمي بين المعسكرين أن ينعكس على بلدان توجد بها أزمات مشتعلة مثل سوريا ولبنان وليبيا واليمن، بحكم وجود نفوذ أميركي وروسي وإيراني في تلك البلدان أو نفوذ لبلدان مثل السعودية في اليمن أو لبنان، يمكن أن تستغل فشل إحياء الاتفاق النووي بين إيران والولايات المتحدة، من أجل وضع طهران في الزاوية الضيقة. وهو مثلاً ما يلاحظ أخيراً من خلال ازدياد الضربات الإسرائيلية الجوية لمواقع إيرانية أو حليفة لإيران في الأراضي السورية في استغلال من تل أبيب لفشل مفاوضات فيينا. كما يلاحظ كيف ينتقل التّجابه الروسي ـ الأميركي إلى القارة الأفريقية، وهو أمر غير مسبوق في عالم ما بعد عام 1989، في بلدان مثل مالي وبوركينا فاسو وجمهورية أفريقيا الوسطى. وربما هذا يُترجم في أميركا اللاتينية من خلال ظاهر مثل الرئيس البرازيلي الجديد لولا ذا سيلفا التي ولّدت مجموعة «البريكس» في بلده عام 2009 وأثناء ولايته الرئاسية السابقة.

بصورة إجماليّة، هناك تهزهز لنظام القطب الواحد الأميركي للعالم من خلال نشوء معسكر عالمي مضاد. صحيح أنه لا يشترك مع موسكو مباشرة ضد الحلف المضاد الذي يشترك عملياً في تلك المجابهة عبر السلاح والمال للأوكرانيين وعبر العقوبات الاقتصادية والمالية على الروس، ولكنه يقف سياسياً مع روسيا، وهو، من جانب الصين وإيران وبالطبع الروس، على جبهة سياسية واحدة ضد واشنطن في مطلب رئيسي وهو «إنهاء القطب الواحد». يجب أن يضاف أن هذا التهزهز لا يعني الانهيار، بل نرى أن معسكر «الناتو» ـ اليابان ـ كوريا الجنوبية ـ أستراليا ما زالت له كلمة قوية في المعركة الأوكرانية وفي الاقتصاد وفي التكنولوجيا. وهذا التهزهز يمكن أن يتحول إلى انهيار للقطب الواحد الأميركي إن فرض بوتين شروطه بالحرب الأوكرانية. ويبدو أن الأميركان يريدون إنهاك وهزيمة الروس في أوكرانيا وليس التسوية معهم انطلاقاً من إدراكهم لذلك ومن إدراك أن هزيمة بوتين في أوكرانيا تعني هزيمة أيضاً لأطراف الحلف الصيني ـ الروسي ـ الإيراني الأخرى وتفكّكه.

* كاتب سوري

الحدث

مع دخول الحرب الروسية - الأوكرانية عامها الثاني، إصاطت الصين اللثام عن مبادرتها لإحلال السلام بين البلدين، مُضمّنةً إيّاها دعوة إلى إطلاق مسار المفاوضات السياسية، ورفضاً متكرّراً لسياسة العقوبات أحادية الجانب، وتشديداً على ضرورة عدم استخدام الأسلحة النووية بأيّ حال. وإذ قابلت كلٌّ من موسكو وكييف العرض الصيني بالترحيب، فقد جاء ردّ المعسكر الغربي عموماً سلبياً ومحمَّلاً بالتلميحات غير «المُبشّرة»، خصوصاً لجهة الإلحاح على تفكير بكين بتزويد موسكو بالأسلحة، في ما يؤشّر إلى اعتزام واشنطن فتْح معركة جديدة بهذا العنوان، أسوةً لما فعلتْه حيال طهران تحت العنوان نفسه. وبمعزل عمّا إذا كان في نيّة الصين تزويد روسيا بمساعدة من النوع المذكور، فإن الأكيد أن السياسة الأميركية القائمة على محاولة إجبار الحلفاء والأصدقاء وحتى المُنافسين على مقاطعة موسكو وعزلها لم توتِّر تصارها إلى الآن، على نحو ما اشتهت إدارة جو بايدن

الصين تعْرض خطّتها للسلام

روسيا - أوكرانيا: لا صوت يعلو الحرب

دخلت الحرب الروسية في أوكرانيا عامها الثاني على ما انتهى إليه العام الأوّل: معارك ضارية في شرق بكين، موسكو وكييف، إلى استئناف الحوار، وأكّدت رفْضها اللجوء إلى السلاح النووي بأيّ حال. وجاء في الوثيقة الصادرة عن وزارة الخارجية الصينية أنه «ينبغي على جميع الأطراف دعْم روسيا وأوكرانيا للتحرّك في الاتّجاه نفسه، واستئناف الحوار المباشر بينهما في أسرع وقت ممكن».

> أعلنت وزارة الدفاع الأميركية عن حزمة جديدة من المساعدات الأمنية طويلة الأجل لأوكرانيا

وفي ظلّ تعذُّر انعقاد أيّ مفاوضات، ورفْع الطرفَين سقف شروطهما على نحو جعل إمكانية التوصّل إلى حلّ سلمي في المدى المنظور شبه مستحيلة، كشفت الصين عن بنود مبادرة السلام التي كانت أعلنت قبل أيام، في خلال «مؤتمر ميونيخ للأمن»، نيّتها تقديمها. وفي وثيقة بعنوان «موقف الصين من التسوية السياسية للأزمة الأوكرانية» مكوَّنة من 12 بنداً، دعت بكين، موسكو وكييف، إلى استئناف الحوار، وأكّدت رفْضها اللجوء إلى السلاح النووي بأيّ حال. وجاء في الوثيقة الصادرة عن وزارة الخارجية الصينية أنه «ينبغي على جميع الأطراف دعْم روسيا وأوكرانيا للتحرّك في الاتّجاه نفسه، واستئناف الحوار المباشر بينهما في أسرع وقت ممكن».

وشدّد البند الأوّل على ضرورة احترام سيادة الدول كافّة، مؤكداً أن «جميع الدول متساوية، بغضّ النظر عن حجمها أو قوّتها أو ثروتها»، وداعياً إلى تطبيق القانون الدولي بشكل موحّد والتخلّي عن المعايير المزدوجة. أمّا البند الثاني فطالب بنبذ عقليّة الحرب الباردة، لأنه «لا يمكن ضمان أمن دولة ما على حساب أمن الدول الأخرى، ولا يمكن ضمان الأمن الإقليمي من خلال تعزيز الكتل العسكرية وتوسيعها»، معتبراً أنه من الضروري «احترام المصالح المشروعة والهواجس الأمنية لجميع البلدان ومعالجتها بشكل مناسب». وحثّ البندُ الثالث على وقْف القتال والصراع لأنه «لا رابح في الصراعات والحروب»، وورد فيه أنه «يجب على جميع الأطراف التحلّي بالعقلانية وضبْط النفس، وعدم صبّ الزيت في النار، وعدم السماح بمزيد من التصعيد وخروج الأزمة الأوكرانية عن السيطرة». وحضّ البند الرابع على إطلاق مفاوضات السلام على قاعدة أن «الحوار هو السبيل الحقيقي الوحيد للخروج من الأزمة»، مشدّداً على أهمية «تشجيع كلّ الجهود الرامية إلى إيجاد حلّ سلمي، وتهيئة الظروف وتوفير منصّة لاستئناف المفاوضات». وبالنسبة إلى البندَين الخامس والسادس، فقد تناولا المسائل الإنسانية وأهمّية حماية المدنيين والأسرى، في حين نبّه البند السابع إلى أهمّية الحفاظ على سلامة المحطّات النووية. وأكد البند الثامن ضرورة التقليل من المخاطر الاستراتيجية، و«عدم جواز استخدام الأسلحة النووية أو شنّ حرب نووية»، داعياً إلى «مكافحة استخدام الأسلحة النووية أو التهديد باستخدامها وغيرها من أسلحة الدمار الشامل، وضرورة منْع الانتشار النووي». وفي بقيّة البنود، شجّعت بكين على ضمان استمرار تصدير الحبوب الأوكرانية والروسية، والتخلّي عن فرْض العقوبات أحادية الجانب، وضمان استقرار سلاسل الصناعة والإمداد. كما حضّت على معارضة تسييس النظام الاقتصادي العالمي واستخدامه كأداة وسلاح، وأبدت استعدادها للمساعدة والقيام بدور بنّاء في إعادة الإعمار في مرحلة ما بعد النزاع.

طالب البند الثاني من المبادرة بنبذ عقلية الحرب الباردة (أ ف ب)

ويأتي الكشف عن بنود المبادرة الصينية في أعقاب جولة لرئيس لجنة الشؤون الخارجية في «الحزب الشيوعي» الصيني، وأنغ يي، اختتمها في موسكو، حيث بحث مع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، والمسؤولين الروس، تلك المبادرة، ولاقى ترحيباً بجهود بلاده ودعماً لها. وفي المقابل، جاء ردّ واشنطن على الوثيقة الصينية سلبياً ومزوجاً بالسخرية، إذ قال مستشار الأمن القومي للبيت الأبيض، جيك سوليفان، في تصريحات إلى شبكة «سي إن إن»، إن الوثيقة «كان من الممكن أن تتوقّف عند النقطة الأولى، أي احترام سيادة جميع الدول»، مضيفاً أن «الحرب قد تنتهي غداً إذا أوقفتْ روسيا مهاجمة أوكرانيا وسحبتْ قوّاتها»، علماً أن الولايات المتحدة استبقتْ إعلان الخطّة الصينية بالحديث عن نيّة بكين تزويد موسكو بالأسلحة، وهو ما اعتبرتْه «تصعيداً خطيراً». من جهته، أشار الأمين العام لحلف «الناتو»، ينس ستولتنبرغ، إلى أنه «لا توجد ثقة كبيرة» ببكين «لأنها لم تُدِن الغزو الروسي غير الشرعي لأوكرانيا، ووقّعت اتّفاقية شراكة لا محدودة مع روسيا قبل أيّام قليلة من الغزو». وأضاف ستولتنبرغ أن «الناتو» يرى مؤشّرات إلى أن «الصين تدرس تقديم مساعدة عسكرية لروسيا»، محذّراً من أن ذلك «سيكون خطأ كبيراً». وفي الاتّجاه نفسه، اعتبر وزير الدفاع البريطاني، بن والاس، أن المساعدة العسكرية الصينية المفترَضة لموسكو «لن تسهم في حلّ الصراع»، وإنْ أعرب عن ثقته بأن بكين ترغب في إنهاء الحرب، في حين أبدى الرئيس الأوكراني، فولودمير زيلينسكي، استعداده لمناقشة الوثيقة الصينية بعد الاطّلاع عليها، معرباً عن رغبته في الاجتماع مع المسؤولين الصينيين لأن «هذا في مصلحة أوكرانيا اليوم»، قائلاً إن «الصين بدأت الحديث عن أوكرانيا وإرسال بعض الإشارات، وهذه نقطة إيجابية جدّاً».

سياسة «العزل» لم توتِ ثماراً: موسكو تُعزّز «صداقاتها»

موسكو ـ الأخبار

مع انطلاق الحرب الروسيّة على أوكرانيا، عكفت الولايات المتحدة على محاولة حشْد حلفائها وأصدقائها عبر العالم، من أجل الانخراط في حملة العقوبات غير المسبوقة التي قادتْها ضدّ موسكو. لكن تلك المحاولة لم تؤتِ الثمار التي اشتهاها الأميركيون، الذين تدهورت علاقتهم مع الروس إلى الحضيض، شأنها شأن صلات الأخيرين بالاتحاد الأوروبي. أمّا في ما عدا ذلك، فقد بدت روسيا قادرة كسْر طوق العزلة من حولها، وإدامة تعاونها بل وتطويره مع دول عديدة في شرق العالم وجنوبه، كما في حالات الصين والهند وتركيا وإيران، بل وأيضاً السعودية وعدد من دول الخليج. وفي هذا الإطار، يرى المستشرق كيريل سيمينوف، الخبير في «المجلس الروسي للشؤون الدولية»، أن «ميزة السياسة الخارجية لروسيا تتمثّل في أن موسكو تمكّنت من الحفاظ على المصالح المشتركة ومستوى عالٍ من العلاقات مع دول منطقة الشرق الأوسط».

وعلى مدار العام الماضي، أظهرَ أطراف عديدون في المنطقة ممانعتهم التساوق مع الحصار الغربي على روسيا، وعلى رأس هؤلاء تركيا، التي على رغم كونها عضواً في «حلف شمال الأطلسي»، أظهرت درجة عالية من المرونة، ورفضت فرْض عقوبات على موسكو، بل وانتقدت محاولات الغرب «إلغاء روسيا»، وهو ما قابلتْه الأخيرة بإفساح مجال لأنقرة لتعزيز رصيدها الدبلوماسي، أوّلاً عبر استضافتها مفاوضات روسية - أوكرانية في إسطنبول في نهاية آذار الماضي (وإنْ لم تُفضِ إلى أيّ نتيجة تُذكر)، ومن ثمّ تحوُّلها إلى مركز مهمّ لتصدير حبوب البلدَين المتنازعَين، فضلاً عن استعدادها للعب دور مهمّ في ملفّ تصدير الطاقة، مع إعلان الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، العزْم على إنشاء مركز في تركيا لتصدير الغاز إلى أوروبا. ويُضاف إلى ما تَقدّم، أن تركيا تحوّلت إلى مركز لوجستي للتحايل على العقوبات ضدّ روسيا، حيث تَجري فوق أراضيها عمليات تصدير واستيراد البضائع لصالح موسكو، على رغم التهديدات الأميركية بفرض عقوبات عليها. ويفسّر سيمينوف هذا السلوك بأن «الرئيس رجب طيب إردوغان يذهب إلى أقصى حدّ من التعاون مع موسكو، متطلّعاً من وراء ذلك إلى الحصول على أرباح لإعادة انتخابه. أوّلاً، وقبل كلّ شيء، يتعلّق ذلك بتخفيضات على الغاز، ستساعد في الحدّ من ارتفاع الأسعار داخل البلاد».

في الاتّجاه نفسه، شهدت العلاقات بين روسيا وإيران تطوّراً كبيراً، متجاوزةً نمطاً ساد سابقاً عنوانه رفْض أطراف في القيادة الروسية تعميق التقارب مع طهران، وإعلاؤها أولوية التفاهم مع الغرب والتعاون مع إسرائيل. ومثّلت خبرة طهران الطويلة في مواجهة آثار العقوبات الغربية أمثولة حيّة لموسكو للاستفادة منها، فيما استطاعت الأخيرة، عبر تعزيز الصلات الاقتصادية مع الأولى، الحصول على بعض الصناعات الكيماوية. وإذ تمثّل الإنجاز الرئيس المشترك في تطوير ممرّ النقل بين الشمال والجنوب، فلا يزال أمام البلدَين العمل على تجاوز بعض العقبات، وتحديداً في ما يتعلّق بقضايا السياسة النقدية التي تُعتبر التحدّي الأصعب في 2023، وفق المستشرق سعيد غافوروف، ويلفت غافوروف، في تصريح إلى صحيفة «فزغلياد»، إلى أنه «من الناحية الفنّية، لا يزال هناك الكثير الذي يتعيّن تحديده، ولكن الشيء الرئيس هو القرارات السياسية التي يتمّ اتّخاذها». على أن التعاون الأبرز على خطّ موسكو - طهران، والذي أثار حفيظة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، تمثّل في تعزيز العلاقات العسكرية، حيث رغبت روسيا في الاستفادة من تجربة إيران في تطوير سلاح المسيّرات، في حين تتطلّع الأخيرة إلى الحصول على أحدث التقنيات العسكرية من الأولى.

على مستوى دول الخليج، شهدت صِلات روسيا بالسعودية تحسّناً كبيراً، وهو ما شهد عليه قرار «أوبك+» خفْض إنتاج النفط خلافاً لرغبة الرئيس الأميركي، جو بايدن، الذي فشلت كلّ محاولاته لإقناع الرياض وبقيّة مُصدّري النفط المحلّيين بزيادة الإنتاج وفرْض حظْر على الموارد الروسية. وفي هذا الإطار، يرى الخبراء الروس أن «اتّفاق موسكو مع «أوبك» يُعدّ نجاحاً رئيساً للأولى في المنطقة في 2022». ويرى أستاذ العلوم السياسية في الجامعة المالية التابعة للحكومة الروسية، غيفورغ ميرزيان، أن «اتفاق «أوبك+» حصل بفضل بناء العلاقات المحترمة مع السعودية ودول الشرق الأوسط»، مشيراً، في تصريح إلى صحيفة «فزغلياد»، إلى أن «وليّ العهد السعودي، محمد بن سلمان، يشعر بالرضى لأن الرئيس فلاديمير بوتين يعترف على وجه التحديد بمساهمته في الشؤون الدولية، بما في ذلك القبول بأدوار الوساطة في الصراع الأوكراني»، في إشارة إلى دور السعودية في إفراج روسيا عن 10 أسرى أوكران في أيلول الماضي.

أمّا بالنسبة إلى الإمارات، فقد شكّل لقاء رئيسها، محمد بن زايد، ببوتين، في سان بطرسبورغ، التجلّي الأوضح لما بلغتْه علاقات البلدَين، وناي أبو ظبي بنفسها عن جهود عزْل موسكو. وإذ ساهمت الدولة الخليجية أيضاً في تسهيل الإفراج عن أسرى روس لدى كييف، فإن الدور الأبرز الذي لعبتْه يتمثّل في تحوّلها إلى سوق مهمّ للذهب الروسي، بالإضافة إلى مساهمتها في إنجاز عمليات تجارية لصالح روسيا. وفي هذا الإطار، يرى ميرزيان، أن «تحسُّن علاقات روسيا مع دول الشرق الأوسط، وتحديداً دول الخليج العربي، سيكون عاملاً مهمّاً وداعماً لها في مواجهتها القائمة مع الغرب»، مشدّداً خصوصاً على ضرورة تعزيز «الشراكة القائمة بالفعل مع الرياض».

موسكو - تل أبيب: «الودّ» الضائع

شهد العام الماضي فتوراً بل وتراجُعاً في العلاقة بين روسيا وإسرائيل، وصل إلى حدّ قيام الأولى بإغلاق «الوكالة اليهودية للهجرة» على أراضيها، واتّهام الأخيرة بدعم مَن تسمّيهم «النازيين الجدد» في أوكرانيا. وساهم تلويح رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، يائير لابيد، أكثر من مرّة، بإمكانية تزويد أوكرانيا بالأسلحة، في تأجيج الوضع، ودفع نائب رئيس مجلس الأمن القومي الروسي، ديمتري ميدفيديف، إلى التحذير من أن هذه «الخطوة المتهوّرة للغاية ستدمّر العلاقات الثنائية بين موسكو وتل أبيب». ومع عودة بنيامين نتنياهو إلى رئاسة الحكومة الإسرائيلية، ساد اعتقاد بأن تلك العلاقات قد تشهد تحسّناً. على اعتبار أن نتنياهو يُعدّ صديقاً شخصياً للرئيس الروسي، فلاديمير بوتين. لكنّ هذا «التفاؤل» سرعان ما تَبدّد مع إعلان نتنياهو أن حكومته تدرس إمكانية تزويد أوكرانيا بالأسلحة، فضلاً عن زيارة وزير الخارجية الإسرائيلي، إيلي كوهين، لكييف، والتي تُعدّ الأولى لمسؤول إسرائيلي رفيع المستوى منذ بدء الحرب. إزاء ذلك، يرى الباحث في «معهد دراسات الأمن القومي» في جامعة تل أبيب، سايمون تسيبيس، أن «من المهمّ لإسرائيل الحفاظ على علاقات دافئة مع روسيا»، لافتاً، في تصريح إلى صحيفة «فزغلياد»، إلى أن «نتنياهو قادر على تهدئة حماس مؤيّدي توريد الأسلحة لأوكرانيا، نتيجة التناقضات الكثيرة بينه وبين الرئيس الأوكراني». لكنّه حذر، في المقابل، من أنه «إذا وسّعت روسيا تعاونها في مجال التسلّح مع إيران، فسوف يغري ذلك إسرائيل بتغيير موقفها والعمل على مدّ أوكرانيا بالأسلحة».

دعوة الى جمعية عمومية عادية

يدعو مجلس إدارة الرعاية (الصندوق التعاضدي للرعاية الصحية والإجتماعية) الأعضاء إلى حضور الجمعية العمومية العادية التي ستنعقد في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة الواقع فيه الرابع والعشرون من شهر آذار 2023 وذلك في مقر الرعاية Centre Triplet بلوك B في الحازمية، مار تقلا، شارع سعيد فريحة ، قرب بنك بيبلوس.
جدول أعمال الجلسة:
- المصادقة على حسابات 2022 وابراء ذمة مجلس الادارة
- انتخاب لجنة المراقبة
وفي حال عدم اكتمال النصاب في الموعد المحدد تنعقد الجمعية في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة الواقع فيه الثامن والعشرون من شهر نيسان 2023 في المكان نفسه وعندها يعتبر النصاب مكتملاً بمن حضر.
رئيسة مجلس الادارة
الأخت انطوانيت ياسيل

◄ وفيات ►
◄ ذكرى ►

ذكرى ثماني سنوات
يُصادف الخامس والعشرون من شهر شباط 2023 ذكرى مرور ثماني سنوات على وفاة رجل الأعمال الصناعي
سميح حسن اليمن

وفي هذه المناسبة نرجو من جميع محبيه تلاوة الفاتحة عن روحه الطاهرة
له الرحمة ولكم طول البقاء.

◄ إعلانات رسمية ►
◄ مبوب ►
◄ للإيجار ►

شقة جديدة للإيجار في فردان
تبلغ مساحتها 220 متراً
3 غرف نوم، صالون، سفرة، غرفة جلوس، مطبخ وثلاثة حمامات
مواقف سيارات عدد 2
مطلة على البحر
كهرباء 24 ساعة
للمراجعة 03/086906

استراحة

كلمات متقاطعة 4253

أفقيا

1- حيوان مائي – مكتشف التلغراف الكهربائي والبديجته – 2- شاعر زجلي لبناني راحل – للنداء – 3- حَب – مستشرق إنكليزي راحل – 4- حرف أبجدي – حزن وكرب – 5- من أسماء السيف – خداع – بَغض – 6- فيلسوف وعالم موسيقى ألماني راحل – حرف جر – 7- مواطنٌ عربي – بواسطتي – 8- طريقي – ري المزروعات – 9- واحد بالأجنبية – المساعدة – 10- دولة أوروبية مقسّمة

عمودياً

1- أكبر بحر مغلق في العالم – من الفاكهة – 2- قرأ بالأجنبية – حرف ابجدي – عاصفة بحرية – 3- عملة آسيوية – قوي شجاع – 4- مدينة مصرية – إحدى معارك نابليون بونابرت – 5- إعلامي لبناني – 6- تُقال في لعبة الطاولة – قام بهجوم واسع – ماركة مفاتيح – 7- مقدار من المال – تهيّأ للحملة في الحرب – للنفي – 8- حيوانات بحرية – يقدّم له مساعدة طبية – 9- ماركة شاحنات – سرب – خلاف ضعيف – 10- جزيرة إنكليزية عاصمتها جايمس تاون

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- شاكر المجوبي – 2- امانوس – سبا – 3- ربح – كاري – 4- لاين – ما – 5- يم – تن – غولف – 6- شوشو – فرنسي – 7- ابو نواس – فرّ – 8- بوح – هزّ – 9- لتّ – صخب – أسر – 10- نوال الزغبي

عمودياً

1- شارلي شابلن – 2- أمي – موبوتو – 3- كاحل – شوح – 4- رن – أتون – صل – 5- اوكين – وتخا – 6- لسان – فا – بل – 7- غرسه – 8- وسيمون – زاغ – 9- جبّ – السفّ – سبّ – 10- يأس – فيراري

sudoku 4253

8		3	6				4	
6		1	8			2	5	
9				1				5
1			5	9	7	6		
7				2		9		8
5	6	7			4	1		
	8		1	7		5	6	2

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4252

5	4	1	8	9	6	3	2	7
9	3	6	7	2	1	8	5	4
7	2	8	4	5	3	1	9	6
3	6	7	5	1	8	9	4	2
2	5	9	3	7	4	6	1	8
8	1	4	9	6	2	5	7	3
6	8	5	2	4	9	7	3	1
1	7	2	6	3	5	4	8	9
4	9	3	1	8	7	2	6	5

مشاهير 4253

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

كاتب فرنسي (1871-1922). له رواية طويلة بعنوان « بحثاً عن الزمن الضائع »

5+7+3+9=11 = عاصمة عربية ■ 7+6+4+1=4 دواء شافٍ ■ 8+2=10= أحفر البئر

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: صالح عبد الحي

فلسطين

السلطة لن تُقاطع «قمّة العقبة»
حاضرون لِمَا تطلبه واشنطن

خلافاً لِما لوّحت به، أوّل من أمس، من نيّتها مقاطعة «قمّة العقبة» على خلفيّة ارتكاب الاحتلال مجزرة جديدة في مدينة نابلس، أكّدت مصادر مطّلعة، لـ«الأخبار»، أن السلطة الفلسطينية ستشارك في القمّة من خلال وفد يضمّ كبار مسؤوليها، وذلك تحت وطأة الترغيب والترهيب الأميركيَين. ووفقاً للمعلومات، فإن السلطة ستحمل إلى المؤتمرين الأحد في المدينة الأردنية، مجدّداً موافقتها على تطبيق الخطّة الأميركية لإرساء الهدوء في الضفة، مقابل ضمان بقائها، وتحسين وضعها الاقتصادي، وتعزيز قدراتها الأمنية

سيترأس الوفد الفلسطيني إلى القمّة حسين الشيخ (أ ف ب)

غزة ـ **رجب المدهون**

على رغم التّهديدات التي أطلقها مسؤولون في السلطة الفلسطينية بعدم المشاركة في القمّة الأمنية التي ستنعقد غداً الأحد في مدينة العقبة الأردنية، كلّف الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، أمين سرّ «اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير»، حسين الشيخ، ورئيس جهاز المخابرات العامة، ماجد فرج، وشخصية ثالثة لم يتمّ حسمها، بحضور القمّة. وبحسب مصدر كبير في السلطة تحدّث إلى «الأخبار»، فإن عباس رفض فكرة مقاطعة الاجتماع الذي سيبحث الخطة الأميركية لتهدئة الأوضاع في الضفة الغربية المحتلّة وإنهاء المقاومة المسلّحة فيها، واضعاً خطوطاً عامّة عدّة للمشاركة، على رأسها تحسين الوضع الاقتصادي للسلطة والعمل على منْع انهيارها، وتمكينها من استعادة قوّتها الأمنية في الضفة، والعمل على وقْف العمليات الإسرائيلية الكبيرة التي تتسبّب في تأجيج غضب المواطنين الفلسطينيين تجاه تل أبيب ورام الله على حدّ سواء.

> **يشارك في القمّة، إلى جانب السلطة الفلسطينية، كلٌ من الولايات المتحدة وإسرائيل ومصر والأردن**

التنفيذية لمنظمة التحرير»، حسين الشيخ، ورئيس جهاز المخابرات العامة، ماجد فرج، وشخصية ثالثة لم يتمّ حسمها، بحضور القمّة. وبحسب مصدر كبير في السلطة تحدّث إلى «الأخبار»، فإن عباس رفض فكرة مقاطعة الاجتماع الذي سيبحث الخطة الأميركية لتهدئة الأوضاع في الضفة الغربية المحتلّة وإنهاء المقاومة المسلّحة فيها، واضعاً خطوطاً عامّة عدّة للمشاركة، على رأسها تحسين الوضع الاقتصادي للسلطة والعمل على منْع انهيارها، وتمكينها من استعادة قوّتها الأمنية في الضفة، والعمل على وقْف العمليات الإسرائيلية الكبيرة التي تتسبّب في تأجيج غضب المواطنين الفلسطينيين تجاه تل أبيب ورام الله على حدّ سواء.

ووفقاً للمعلومات، فسيحمل الوفد الفلسطيني جملة مطالب، على رأسها فتْح ألباب لتجنيد 10 آلاف جندي جديد، وتدريب 5 آلاف عنصر من السلطة والسماح بإدخال أسلحة ومعدّات لصالح أجهزتها الأمنية، وتشكيل غرفة تنسيق مشتركة فلسطينية - إسرائيلية - أميركية، مهمّتها منْع قيام الجيش الإسرائيلي بعمليات كبيرة في الضفة من دون التنسيق معها. كذلك، سيطالب الشيخ ومُرافقوه بتعاون أمني وتقني موسّع بين الضفة من جهة، والمخابرات الأميركية والإسرائيلية من جهة أخرى، لمواجهة «التحريض» الذي تمارسه أطراف في غزة أو من الخارج لدفع سكّان الضفة إلى المواجهة مع قوات الاحتلال. وفي الجانب السياسي، سيدعو الوفد الفلسطيني إلى وقْف المصادقة على أيّ عمليات استيطان جديدة، وبحث عودة المفاوضات مع دولة الاحتلال، على رغم غياب الإرادة الأميركية لإحياء هذا المسار.

ويشارك في القمّة، إلى جانب السلطة الفلسطينية، كلّ من الولايات المتحدة وإسرائيل ومصر والأردن، فيما علمت «الأخبار» أن واشنطن أبلغت رام الله أنه سيتمّ في خلالها التوصّل إلى تفاهمات بخصوص الأوضاع في الضفة، على أساس تطبيق الخطّة التي وضعها الجنرال مايك فنزل، منسّق الشؤون الأمنية في السفارة الأميركية في تل أبيب. وتستهدف الولايات المتحدة، التي تنتدب إلى «العقبة» كبير مستشاري الرئيس جو بايدن لشؤون الشرق الأوسط بريت ماكغورك، ومساعدة وزير الخارجية لشؤون الشرق الأوسط باربرا ليف، من وراء هذه الجهود، منْع انزلاق الأوضاع إلى مواجهة عسكرية كبيرة بحلول شهر رمضان المقبل، والحيلولة دون اتّساع رقعة الاشتباك في الضفة. أمّا من الجانب الإسرائيلي، فقد تولّى الترتيب لانعقاد القمّة، وفقاً لما ذكرته مصادر عبرية، مستشار «الأمن القومي»، تساحي هنغبي، عبر قناة المخابرات السرّية التي تجمعه برئيس «هيئة الشؤون المدنية»، حسين الشيخ.

وكانت مصادر مقرّبة من رام الله سرّبت، عقب مجزرة نابلس، نبأ مفاده بأن السلطة تفكّر في إلغاء مشاركتها في القمّة الخماسية، على خلفية نقْض تل أبيب التفاهمات الأخيرة التي قضت بتقليص جيش الاحتلال اقتحاماته للمدن الفلسطينية، مُطالبة بضمانات أميركية وإسرائيلية بوقْف جميع الإجراءات أحادية الجانب، بما في ذلك الاقتحامات، والبناء في المستوطنات، وهدم المنازل، كشروط لحضور «العقبة». إلّا أن مصادر في السلطة أكدت، لـ«الأخبار»، أن رام الله تواصلت، إثر وقوع المجزرة، مع الجانب الأميركي، وأبدت اعتراضها على ما جرى، ليُعيد الأخير بحضّ رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، على وقْف العمليات، وينصحه بعدم التفكير في المقاطعة، لأن ذلك لن يكون في مصلحتها.

إسرائيل «تفخّخ» الضفة: اللعب على حافّة الانفجار

علي حيدر

كشفت المواجهة الدامية في نابلس قبل أيّام، ومحطات سابقة مشابهة في جنين وغيرها، أكثر من رسالة مُتّصلة بحافزية المقاومين الشعبية، وبمحدودية تأثير الإجراءات الأمنية. وتعود هذه الحقيقة، بالدرجة الأولى، إلى أن الضفة الغربية المحتلّة هي ساحة اشتباك نشطة وفاعلة، من جهة أخرى. وفي المقابل، أنبات المجزرة التي ارتكبتها قوّات الاحتلال في البلدة القديمة، بمحاولة حكومة بنيامين نتنياهو حرْف اهتمامات الرأي العام الإسرائيلي عن القضايا الخلافية الداخلية، عبر سفك دماء أكبر عدد ممكن من الفلسطينيين. وفي الصورة الأعمّ، تأتي المجزرة في سياق خيار عمليّاتي، من الواضح أن قيادة العدو باتت أكثر اعتماداً عليه، آخذاً بتقدير «شعبة الاستخبارات العسكرية»، في تقريرها الاستراتيجي السنوي، أن «الضفة وقطاع غزة يشكّلان أحد أضلاع المثلّث (إلى جانب الاتّجاهات العالمية وإيران) الذي ينبغي أن يهيمن على أولويات القيادتَين السياسية والعسكرية». وفي هذا السياق، يُجري تكثيف العمل على الغزوات الخاطفة ضدّ المقاومين، والسعي لجبْي أثمان مؤلمة من حاضنتهم الشعبية، وهو ما عبّر عنه وزير الأمن الإسرائيلي، يوآف غالانت، بقوله «(إنّنا) سنعمل بيد قاسية تجاه الإرهابيين ومُرسليهم، هذا ما كان قبل أسابيع في جنين وفي نابلس، وهذا ما سيكون في كلّ قطاع من المطلوب العمل فيه»، في موقف يُؤشر إلى أن ما جرى ليس حالة عابرة، وإنّما جزء من نهج تصعيدي بدأ تفعيله.

> **لا تزال الأجهزة الأمنية تحذّر من وجود احتمالية مرتفعة لحصول انفجار واسع في الضفة**

مع ذلك، فإن هذا النمط من الاعتداءات، يؤشّر إلى أن فُرص تنفيذ عمليات يتمّ خلالها اعتقال مقاومين عبر وحدات «المستعربين»، من مثل «يسام» و«دوفدفان»، أصبحت ضيّقة جداً. ولذا، وعلى الرغم من أن العدو يمكن أن يتحدّث عن «نجاح تكتيكي» من خلال قتل وجرْح العشرات من المدنيين والمقاومين، إلّا أن هذه النتيجة إنّما تعبّر عن منظور ضيّق وسطحي وخطير حتى بالمعايير الإسرائيلية، بخاصّة وأن الردّ على مجزرة مخيّم جنين لا يزال حاضراً في الوجدان العام. ويُضاف إلى ما تقدّم، أن كلّ عملية اقتحام يبدأها العدو مستهدفاً «مطلوبين»، باتت تتحوّل إلى مواجهة قاسية يتحوّل فيها المقاومون إلى أيقونات، فيما تتلطّخ صورة الجيش الإسرائيلي بمزيد من الجرائم المرتكبة بحقّ المدنيين في بلدات ضيّقة ومكتظّة كالبلدة القديمة، وفي وضح النهار. وفي هذا الإطار، يلْفت المعلّق العسكري في صحيفة «هآرتس» إلى العمليات المتكرّرة في قلْب المدن الفلسطينية «تنتهي بقتل مكثّف لفلسطينيين، وهذا كلّه كان معروفاً سلفاً»، وهو ما يضطرّ المسؤولين الرسميين والإعلاميين إلى بدء حملات مضادّة لتبرير المجازر المرتكبة، عبر القول خصوصاً إن المستهدَفين «قنابل موقوتة»، في إشارة إلى أنهم كانوا على وشك تنفيذ عمليات. لكن هذه الادّعاءات باتت موضع تشكيك حتى لدى بعض المعلّقين الإسرائيليين، من دون أن يتخلّى هؤلاء عن الدور الترويجي الذي يضع جيش الاحتلال في موقع «المضطرّ» للدفاع عن نفسه، عبر «كليشيهات» من قَبيل: «تحت نيران مكثّفة، لا مفرّ أمام الجنود وعناصر الشاباك سوى بالردّ على النيران، كي يحموا أنفسهم ويَخرجوا بسلام».

على رغم ما تقدّم، يستمرّ العدو في تنفيذ مِثل هذه العمليات، مستنداً على ما يبدو، إلى تقديرات الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بأن المقاومة في قطاع غزة ليست في وارد الدخول في تصعيد عسكري واسع في هذه المرحلة. لكن بعض التجارب السابقة أثبتت أن تلك التقديرات قد لا تصيب دائماً؛ إذ إن استمرار تدرّج الأوضاع الميدانية قد يدفع في نهاية المطاف إلى انفجار كبير، يَجري في خلاله استهداف العمق الإسرائيلي. وفي هذا الإطار، حذّر رئيس شعبة «الاستخبارات العسكرية» (أمان) السابق، اللواء عاموس يدلين، من أن «جميع الجبهات لديها إمكانية انقسامها الداخلي؟ من الناحية الموضوعية، يمكن لحكومة نتنياهو توظيف التصعيد (المضبوط) (كما تُقدّر هي) في الساحة الفلسطينية، عبر رفع قضية الأمن إلى الصدارة، على حساب الخلاف السياسي المتفاقم. لكن هل هذا التوظيف هو الدافع الرئيس الذي يُحرّكها؟ الواقع أن المسألة أبعد من ذلك، ومتّصلة بمسار منفصل قائم بذاته، وإنْ كان لا يمكن فصْل نتائجهما.

سوريا

خمود «العاصفة الزلزالية»
أنقرة - دمشق: عودة الحرارة إلى مسار التطبيع

بعدما تسبّبت «العاصفة الزلزالية» التي ضربت تركيا وسوريا في تأجيل الاجتماع الذي كان مقرراً لممثّلين عن البلدين وآخرين من روسيا وإيران، منتصف الشهر الحالي، بدأت الحرارة بالعودة إلى هذا المسار، مع إعلان موسكو العمل على عقْد الاجتماع الرباعي خلال الأيام المقبلة. وكانت النقاشات السورية - التركية التي انعقدت على المستوى الأمني خلال الفترة الماضية، أدّت إلى تقريب المسافة بين البلدين، بما يريد أن يمهّد لاتّفاق سياسي يسمح لتركيا بالتخفيف من عبء اللاجئين السوريين وتحصين حدودها الجنوبية من جهة، ويضمن لسوريا انسحاباً تركياً من شمالها، من جهة أخرى

علاء حلبي

على الرغم من قطْع سوريا وتركيا مسافة معقولة للبدء بحلّ القضايا الخلافية بينهما، إلّا أن اجتماعات أمنية عديدة سابقة، بعضها تمّ بشكل ثنائي بين مسؤولين أمنيين من البلدين، وبعضها ثلاثياً بحضور مسؤولين روس، لم تتوصّل إلى صيغة نهائية تسمح بالانتقال إلى مباحثات على المستوى السياسي، إذ ظلّت دمشق متمسّكة بمطلبها وضْع جدول زمني واضح لخروج القوّات التركية من شمال سوريا وشمالها الغربي، وهو ما أبدت أنقرة موافقتها على تنفيذه بغْد ضمان تأمين حدودها، والتأكّد من عدم حدوث موجات نزوح جديدة تُجهض مساعيها القائمة للتخلّص من عبء اللاجئين السوريين. وترافق ظهور تلك التعقيدات مع دخول الدولة الثالثة الضامنة في «مسار أستانا» الروسي (إيران) على خطّ المفاوضات، الأمر الذي رحّبت به جميع الأطراف المعنيّة، في وقت صعّدت فيه الولايات المتحدة سياسياً وميدانياً في الملفّ السوري، بهدف منْع روسيا من تحقيق أيّ خرق في المشهد القائم.

على أن زلزال السادس من شباط الذي ضرب سوريا وتركيا، وما أحدثه من كارثة إنسانية، أعاد ترتيب الأوراق السياسية في المنطقة، دافعاً عواصم عربية عدّة إلى مفارقة موقفها المتردّد حيال الانفتاح على دمشق، مثلما فعلت القاهرة التي كسرت الجمود السياسي، وأيضاً الرياض التي تلعب مسقط وأبو ظبي دوراً في «عودتها» إلى سوريا. وتزايدت، في الأيام الماضية، الأنباء عن زيارة مرتقَبة لوزير الخارجية السعودي، فيصل بن فرحان، لدمشق، وهو ما لم يثبّته أو ينفِه ابن فرحان، وإنْ أكّد تغيّر المقاربة الخليجية والعربية للسياسة القائمة تجاه سوريا، وشدّد على ضرورة الحوار مع دمشق، والذي يبدو أن المملكة تستعجله قبل انعقاد القمّة العربية المقرّرة نهاية آذار المقبل على أراضيها، وسط حديث عن إمكانية تأجيلها لاستكمال الترتيبات اللازمة لإعادة سوريا إلى مقعدها المجمَّد في «الجامعة».

بالتوازي مع ذلك، أعلن نائب وزير الخارجية الروسي، ميخائيل بوغدانوف، استمرار العمل على تنظيم لقاء رُباعي بين أنقرة ودمشق وموسكو وطهران خلال الفترة المقبلة، من دون أن يحدّد موعداً لهذا اللقاء. لكن المتحدّث باسم وزارة الخارجية الإيرانية، ناصر كنعاني، عبّر عن تفاؤل بلاده بانعقاده قريباً، مشيراً إلى أن «الاتصالات والمشاورات بين كبار دبلوماسيَي سوريا وإيران وروسيا وتركيا تتواصل بشأن اللقاءات الدورية بين الدول الأربع بشكل جدّي». وتأتي عودة الحديث عن تطبيع العلاقات بين دمشق وأنقرة، في وقت تشهد فيه تركيا ارتفاعاً ملحوظاً في منسوب خطاب الكراهية والعنصرية تجاه السوريين على خلفية الأزمة الإنسانية التي تعانيها البلاد من جرّاء زلزال فبراير

(أ ف ب)

نهاية الجمود الميداني: تركيا تُجدّد هجماتها

جمّد الزلزال المدمّر الذي ضرب كلّاً من سوريا وتركيا في السادس من شباط، ديناميات الجبهات في الشمال السوري، حيث توقّفت تماماً الاشتباكات بين «قسد» وفصائل «الجيش الوطني» المدعوم من أنقرة. إلّا أن هذا الجمود كسرتْه، عصر الأربعاء، طائرة مسيّرة تركية، استهدفت «جيباً» في قرية بويرة على طريق عام القامشلي - القحطانية، ما أدّى إلى «مقتل مدني، وإصابة عنصر في الأسايش» كانا بداخلها»، وفق ما أكّدت وسائل إعلام كردية. ولم يتأخّر القائد العام لـ«قسد»، مظلوم عبدي، في التنديد بالهجوم، قائلاً إنه «من دون اكتراث بالمأساة الإنسانية التي تشهدها سوريا وتركيا، وفيما تتوجّه كل الجهود الدولية والإقليمية نحو إرسال مساعدات إلى المناطق المنكوبة، يُواصل النظام التركي أعماله الإجرامية ضدّ الشعب الكردي، متذرّعاً بحجج واهية». في المقابل، أعلنت الاستخبارات التركية، أمس، أنها «تمكّنت من تحييد خليل منجي، عضو تنظيم "حزب العمال الكردستاني"، والذي لعب دوراً رئيساً في تخطيط وتنفيذ التفجير الإرهابي في شارع الاستقلال في إسطنبول». وكانت تركيا اتّهمت «الوحدات الكردية» بالوقوف وراء التفجير الذي وقع في 13 من تشرين الثاني الماضي، مُصدّرةً ذلك كمبرّر لأيّ هجوم جديد على مناطق سيطرة «قسد»، وكعنصر ضغط على واشنطن بوصفها داعمة لـ«إرهابيين» يعملون ضدّ أنقرة.

(الأخبار)

تقرير

بوادر حَراك عُماني: «النووي» يستعيد حيويته

طهران ـ **محمد خواجوئي**

حرّكت زيارة مسؤولي «الوكالة الدولية للطاقة الذرية» إلى طهران، والأنباء عن زيارة قريبة سيقوم بها سلطان عُمان إلى إيران، المياه الراكدة للملفّ النووي. وأكد رئيس «مؤسّسة الطاقة الذرّية الإيرانية»، محمد إسلامي، الأربعاء، تواجُد مسؤولي الوكالة في طهران منذ يوم الثلاثاء من أجل «إجراء محادثات وعمليات التفتيش». ووصف إسلامي، في تصريحات على هامش اجتماع مجلس الوزراء الإيراني، ما تمّ تحقيقه عبْر «بلومبرغ» أخيراً من اكتشاف آثار تخصيب بنسبة 84% في المنشآت النووية الإيرانية، بأنه «النتاج ناجم عن الانطباع غير الصحيح لدى أحد مُفتّشي الوكالة»، مؤكّداً أن «هذا اللبس تجري معالجته». وكانت إيران قد تجاوزت، منذ نحو سنتَين، مستوى التخصيب المسموح به في الاتفاق النووي وهو 3,5%، بالغة وفق آخر المعطيات المعلنة درجة الـ60%، قبل أن يبدأ الحديث عن الـ84%، والتي تقلّ بستّ نقاط فقط عن النسبة اللازمة لإنتاج القنبلة النووية، من دون أن يُعلم، إلى الآن، ما إذا كانت متعمّدة أم ظهرت نتيجة الترسّبات، وبطريق الصدفة، في شبكة أنابيب أجهزة الطرد المركزي. وفي هذا الإطار، أوضح المتحدّث باسم «مؤسّسة الطاقة الذرّية الإيرانية»، بهروز كمالوندي، في وقت سابق، أن «وجود جُسيمة أو جُسيمات» بنسبة أعلى من 60% خلال عملية التخصيب، هو «شيء طبيعي للغاية».

ويأتي تواجُد وفد «الوكالة الدولية» في إيران، في وقت تحوّلت فيه أنشطة الأخيرة في منشأة «فوردو» النووية إلى مادّة خلاف بين الجانبَين، إذ ذكرت الأولى، في تقريرها الصادر الشهر الجاري، أن طهران أدْخلت «من دون إشعار مسبَق» تغييرات على أجهزة طرد مركزي متطوّرة من طراز «IR6» في المنشأة المذكورة، تُمكّنها من إيصال اليورانيوم إلى درجة نقاء 60%، وهي الدرجة الأقرب إلى إنتاج السلاح النووي. وأوضح التقرير أن هذه «المخالفة» اكتُشفت خلال تفتيش مباغت في «فوردو» في 21 كانون الثاني الماضي، فيما ردّت إيران على ذلك بأن إفادة الوكالة ناتجة من «خطأ» ارتكبه أحد مُفتّشيها. على أن محور الخلاف الرئيس يتمثّل في ملفّ آثار المواد المشعّة التي عُثر عليها في ثلاثة مواقع إيرانية غير معلَنة، واستدعت استصدار قرارَين ضدّ طهران من قِبَل مجلس مُحافظي الهيئة الدولية، بعدما لم تقتنع الأخيرة بالإيضاحات التي قدّمتها إيران بهذا الشأن.

ومن غير الواضح ما إذا كان تمّ التطرّق إلى ذلك الخلاف، في الزيارة الأخيرة لمسؤولي الوكالة لطهران، لكن رئيس «الذرّية الإيرانية» أكد «(أنّنا) لا نطيق الضغوطات السياسية وإثارة الأجواء وافتعال القضايا»، معيداً إلى الأذهان اتّهام طهران لـ«الدولية للطاقة الذرّية» بالتسييس في ملفّ المواقع الثلاثة غير المعلَنة. ومع ذلك، فقد أكد إسلامي أن «تواصلنا مع الوكالة قائم على قدم وساق في إطار اتّفاق الضمانات»، مضيفاً أن بلاده تتجنّب بجدّ «إنتاج الالتباس والإخلال» في تعاونها مع المنظّمة، في ما قد يؤشّر إلى مرونة يمكن أن تمهّد لاتفاق، يمنع نقْل ملفّ إيران من مجلس المحافظين إلى مجلس الأمن الدولي، علماً أن الاجتماع القادم للأوّل مقرّر في آذار المقبل.

على خطّ مُوازٍ، تجدّدت، في الأيام الأخيرة، الأنباء عن وساطات تستهدف إعادة إحياء المحادثات النووية التي كانت وصلت إلى طريق مسدود. وفي هذا الإطار، أعلن وزير الخارجية الإيراني، حسين أمير عبد اللهيان، في مؤتمر صحافي مشترك مع نظيره العراقي، أن المدير العام لـ«الوكالة الدولية للطاقة الذرّية»، رافايل غروسي، سيزور إيران خلال الأيام المقبلة، معرباً عن أمله في أن يتوصّل غروسي «إلى اتّفاق مع

> **تجدّدت، في الأيام الأخيرة، الأنباء عن وساطات تستهدف إعادة إحياء المحادثات النووية**

زملائي في مؤسّسة الطاقة الذرّية الإيرانية برؤية تقنية وبمنأى عن الانفعالات السياسية». وتمّ، خلال الشهرَين الماضيَين، مِراراً، تداوُل نبأ الزيارة «القريبة» لغروسي إلى طهران، لكن يبدو أن فشل مهمّة المسؤولين الفنّيين للوكالة في إيران كان يتسبّب في إرجائها.

وفي السياق ذاته، تحدّثت مصادر أجنبية، وكذلك وسائل إعلام إيرانية، الثلاثاء، عن زيارة قريبة سيقوم بها سلطان عمان، هيثم بن طارق، إلى إيران، وربطتْها بالمحادثات غير المباشرة بين طهران وواشنطن. وأبلغ أبو الفضل عموئي، وهو المتحدّث باسم لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني، «وكالة الأنباء الطالبية» (إيسنا)، أن أمير عبد اللهيان قال، خلال اجتماع لهذه اللجنة، إن «تبادلاً للرسائل يتمّ عن طريق الوسطاء» حول المحادثات النووية وتبادل السجناء. كما قال عضو اللجنة نفسها، علي عليزادة، لـ«همشهري أونلاين»، نقلاً عن وزير الخارجية، إن سلطان عمان سيزور طهران في المستقبل القريب حاملاً «أخباراً سارّة». وأضاف أن كبار المسؤولين العُمانيين عبّروا مراراً عن رغبتهم في لعب دور الوساطة بين إيران وأميركا، لـ«إنجاح المحادثات النووية». على المقلب الآخر، أكّد المبعوث الأميركي الخاص إلى إيران، روبرت مالي، أنه تحادث مع كبار المسؤولين في قطر وسلطنة عمان حول إيران، لكنّه جعل تبادل السجناء هو المحور الرئيس لتلك المباحثات، فيما جدّد المتحدّث باسم الخارجية الأميركية، نيد برايس، القول إن «إحياء الاتفاق النووي ليس على جدول أعمال الإدارة، مع أنها تُعتبر الحوار الطريقة الوحيدة للتعامل مع برنامج إيران النووي».

البلاد

مقابلة | اجرتها رغد زغير

صلاح الحموري

الأسير والحقوقي المقدسي المبعد إلى فرنسا

- التقصير في ملف الأسرى يرتقي إلى حدّ جريمة
- قرارات الإبعاد وسحب الجنسية «نقلة مرحلية»
- لا أستبعد معركة على الطريقة الإيرلندية

كمحاولة لردعهم عن الالتزام بخط المقاومة بكل أشكالها، وتهديد وجودهم واستمرار نضالهم، يعمل الاحتلال ضد الأسرى من خلال ما يسمّى قانون «عدم الولاء» والملفات السرية، وقد سحب إقامة صلاح الحموري في القدس بناءً عليه. الحموري، المحامي والأسير المقدسي المبعد إلى فرنسا التي يحمل جنسيتها، يتطرّق إلى جهود الاحتلال الأخيرة في تمرير قوانين جديدة لمحاربة الأسرى والأسرى المحرّرين في القدس والداخل المحتل على وجه الخصوص، موضحاً أن «مساحة استغلال الاحتلال لهذا القانون كانت ضيقة، والية عمل محاكمه من خلاله صعبة ومعقدة، ولذلك استهدف الاحتلال فيه ملفّي الشخصي لاعتبارات ذاتية وملفات بعض الأسرى الآخرين، أي أن هذا القانون يتيح لهم العمل على ملفات معينة فقط». ويرى أنّ «ما يحدث الآن بعد المصادقة على قانون سحب الجنسيات والإقامات، هو أن الاحتلال أصبح بحاجة إلى مخرج «قانوني» آخر ضمن برنامجه المنهج في محاربة القدس والداخل، حيث يرى أنه بحاجة إلى وعاء أكبر يستطيع من خلاله تمرير مجموعة قضايا تتضمن ملفات الأسرى والأسرى المحررين كمحاولة لردعهم، فالقانون الجديد يعطي وزير الداخلية صلاحيات أكبر لتسهيل عملية إبعاد الأسرى والأسرى المحررين وسحب إقاماتهم، ليسهل بالتالي ترحيلهم وإبعادهم».

يؤكد الحموري أن الاستهداف يطال عائلات الأسرى المحررين أيضاً، وهو ما شهدناه أخيراً في القدس، من سياسات تجميد أموال عائلات الأسرى المحررين وذويهم وحتى نهب أموالهم وذهبهم بعد اقتحام بيوتهم. ويعلّق متهكّماً على هوس الاحتلال بأنه إن لم يجد مالاً يسرقه فسيصادر «حتى بلاي ستيشن شقيق الأسير المحرر أو زجاجات عطر أخته».

يعتبر الحموري أن تجربته في السجن، والإبعاد الذي تعرض له، ليس استهدافاً لشخصه فقط، بل هي سياسة ينتهجها الاحتلال ضد المقدسيين. فإفادة وزير داخلية العدو بأن الإجراءات ضد صلاح الحموري وملفه الشخصي لا تتعلق فقط به وحده، وهي تهدف إلى ترهيب المقدسيين من عواقب هذا النهج والطريق النضالي الذي سلكه الحموري وغيره من الأسرى، كما يرى أن إدخال قرار الإبعاد إلى قطاع غزة، وعدم اقتصار إبعاد المقدسيين وفلسطينيي الداخل إلى الضفة، يعدّ نقلة مرحلية «في محاولة خلق توحيد الساحات في وجه الحرب على الأسرى

يشرح الحموري كيف يعمل الاحتلال دائماً على تفكيك مجتمعنا الفلسطيني وتفكيك جبهاته النضالية، فيعمل ضمن استراتيجية تهدف إلى عزل كل ساحة عن الأخرى، لنرى أن «غزة تصارع وحدها، والضفة تصارع وحدها، والقدس تصارع وحدها، والأسرى يواجهون وحدهم، واللاجئون يواجهون وحدهم. والمرة الوحيدة التي توحّدت فيها المواجهة، هي في معركة «سيف القدس»، التي رأينا خلالها الشارع الفلسطيني موحّداً في القدس والداخل المحتل وقطاع غزة والضفة الغربية وفي الشتات أيضاً». نجح الاحتلال لاحقاً في تفكيك إنجازات «سيف القدس»، ما يفسّر بحسب الحموري اضطرار الأسرى بعدها لخوض مواجهتهم وحدهم، ويقول: «إن قرارهم بخوض نضالاتهم وإضراباتهم حالياً من أجل تحسين أوضاعهم أو للمطالبة بحريتهم، هو نتيجة لوصول الأسرى إلى مرحلة إدراك، أنهم تركوا وحدهم».

أمّا ما بعد «سيف القدس» ومحاولات التوحيد، يرى الحموري أننا «للأسف لم ننجح كفلسطينيين في تشكيل أي حالة وجود استراتيجية وطنية فلسطينية قادرة على الرد على الاحتلال، والخروج أيضاً من إطار ردة الفعل، فنحن لم ننتقل إلى مرحلة نكون فيها الفاعل إلا في حالة «سيف القدس» الاستثنائية، إن فكرة أننا ما زلنا عالقين في إطار رد الفعل على انتهاكات الاحتلال، تفقدنا الاستراتيجية الوطنية لرسم أهدافنا فلسطينياً والنضال من أجلها». ويردّ ذلك إلى أن «الاحتلال تعلم الدرس في «سيف القدس» بعدما رأى كيف شكّلت وحدتنا خطراً على الكيان الصهيوني».

ويعتبر الحموري أن عدم وجود مشروع وطني فلسطيني، يعمل على مراكمة الأنجازات وترجمتها سياسياً، سهّل على الاحتلال تفكيك المنجزات الوحدوية التي حققتها معركة «سيف القدس»، ويشرح الحموري مساعي العدو التي يقسمها إلى ثلاثة:

(1) زيادة الاستهداف في القدس والداخل المحتل وزيادة التضييق بهدف الردع، والتي جاءت ضمن التقديرات الإسرائيلية الأمنية، والقانون الجديد هو إحدى الوسائل، بالإضافة إلى الأحكام العالية والرادعة التي صدرت بحق فلسطينيي الداخل بشكل خاص.

(2) العمل على تحييد قطاع غزة في أي مواجهة قادمة وتفكيك جبهة المقاومة.

(3) زيادة التصاريح للعمّال في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وفتح سوق العمل كجزء من مساعي الاحتلال الاقتصادية المرتبطة بالأمن.

وأمام كل هذه المساعي الإسرائيلية، يبيّن الحموري أننا ما زلنا لا نستطيع مراكمة إنجازات سياسية، ولا الخروج من دائرة الفصائلية التي تمنع من مراكمة هذه الإنجازات، والتي تحول دون الارتكاز على انتصار مثل الذي حقّقناه في «سيف القدس»، كنقطة انطلاقة لمشروع وطني فلسطيني تحرري موحد.

خطط التهجير ثابتة

مع كل حكومة جديدة، يدور الحديث مجدداً عن تغيّر ما في سياسات الاحتلال، لكن الحموري يرى أن «الخطط هي نفس الخطط، قد تختلف آلية تنفيذها من ناعمة إلى صريحة باختلاف الحكومة، لكن على المستوى الاستراتيجي في ما يتعلق بخطط التهجير، لا تختلف حكومة لابيد عن حكومة نتنياهو، وقد رأينا الدليل في الإجراءات التي اتخذتها الحكومة السابقة»، كما أن الضفة الغربية، يضيف واصفاً حالة تلك الكتائب بأنها «مثل كرة الثلج التي تكبر وتكبر، حتى وإن استمرت في التراجع والتقدم، لكن نهاية هذه الظاهرة لها محصلة عالية، ولو كان التراكم يجري بصورة بطيئة».

يرى الحموري في ظاهرة مثل ظاهرة «العرين» مثالاً على تجربة مهمة في توحيد الساحات، من خلال نشأته وبياناته، ويؤكد ها هنا على أهمية أن يتبنى الكل الفلسطيني هذا الخطاب الوحدوي، فنحن كفلسطينيين «لن نستطيع المواجهة المواجهة هذا، الذي يليق بحجم العنجهية التي يمارسها الاحتلال. وقد شهدنا كيف اعترض مسؤولون وإعلاميون على تصريحات بن غفير وحمّلوه مسؤولية ما يحدث من تفجير للوضع».

الضفة والامل في تطور حالة المقاومة

«استطاع الاحتلال خلال عملية السور الواقي العمل على اجتثاث كل ما هو وطني فعلي على الصعيد الفكري واللوجستي والبشري وملاحقة الكوادر ومحاربة وجودها، ومما سهل عمل الاحتلال واقع أنه يستهدف منطقة محصورة»، هكذا يرى الحموري حالة الضفة الغربية حتى ظهور كل من «عرين الأسود» و«كتيبة جنين» و«كتيبة أريحا» وكل الكتائب الأخرى على امتداد الضفة الغربية. يضيف واصفاً حالة تلك الكتائب بأنها «مثل كرة الثلج التي تكبر وتكبر، حتى وإن استمرت في التراجع والتقدم، لكن نهاية هذه الظاهرة لها محصلة عالية، ولو كان التراكم يجري بصورة بطيئة».

يرى الحموري في ظاهرة مثل ظاهرة «العرين» مثالاً على تجربة مهمة في توحيد الساحات، من خلال نشأته وبياناته، ويؤكد ها هنا على أهمية أن يتبنى الكل الفلسطيني هذا الخطاب الوحدوي، فنحن كفلسطينيين «لن نستطيع المواجهة

إن لم نكن موحدين، وما زالت الفصائل الكبيرة تستنزف القضية، وتحول دون توحيد الساحات، وخاصة عند العودة إلى الانقسام الذي استنزف قضيتنا، وسمح للفصائل باستمرار تقديم مصالحها الفئوية على القضايا الوطنية الاستراتيجية، فالانقسام عطّل وشلّ حركة المقاومة من 2006 حتى اليوم، أي منذ 17 عاماً، والمشروع الوطني التحرري معاق، وهو ما يفسر خروج كتائب صغيرة تتجاوز هذا الوضع، وتبادر في استنهاض المقاومة، كما أن الجيل الذي يقاتل الآن هو جيل لم يشهد حتى الاجتياح وإعادة الاحتلال العسكري للضفة، فهو تجاوز مرحلة الخوف ولم يشكل الخوف من الاحتلال وعيه، وعلى الرغم من صغر رقعة المقاومة في الضفة إلا أنها حققت إنجازاً مهماً على مستوى النهوض في الوعي الفلسطيني والنهوض بحالة المقاومة، إلا أننا ما زلنا نفتقر إلى التنظيم، وترجمة هذه المنجزات على نطاق سياسي اوسع بسبب التركيبة السياسية المعقدة، وكل ذلك تعطل بسبب دائرة الفصائلية والانقسام».

إضافة إلى المشهد في الضفة، يشدد الحموري على ضرورة استمرار العمل في القدس والداخل المحتل كمركز للتحرك، وخاصة في الفترة القادمة، بهدف رسم استراتيجية وطنية موحدة، تساعد في تكبير كرة الثلج في كل الساحات الفلسطينية، والتي بدورها تحمل معها ملف الأسرى. كل ما يتحدث عنه الحموري في ما يخص شرارة الانتفاضة والمقاومة في الضفة وتطورها وتوحيدها مع القدس والداخل المحتل بنظره تصب في مساعي العمل كشارع فلسطيني موحد، للارتقاء بالعمل المقاوم حتى لا تعزل ساحة عن أخرى، من ضمنها ساحة المعركة في السجون.

التقصير في ملف الأسرى

يرى الحموري أن الأسرى في السجون متروكون، وأنهم لا يستطيعون أن يقفوا متفرجين أمام التقصير بحق قضيتهم ومعركتهم، فهؤلاء قدموا تضحيات من أجل قضيتهم، وبعضهم أحكامهم عالية، تصل إلى أكثر من مؤبد، ومنهم ما قبل أوسلو، وأولئك الذين أسروا خلال الانتفاضة الثانية، جميعهم قابعون، بلا أي تحرك جدي من أجلهم، وهم يستمرون في مناشدة فصائلهم ومراسلتهم، للضغط والعمل على تحريرهم، وهذا التقصير «يرتقي إلى حد جريمة بحق الأسرى»، يضيف: «نحن نشاهد ما يحدث في السجون، وكيف يقدم الأسرى شهداء مثل الشهيد ناصر أبو حميد، والشهيد أحمد أبو علي».

«لا يمكننا أن نقف متفرجين»، وخاصة مع الإضراب الذي أعلنته الحركة الأسيرة في آذار القادم، ولا سيما أنه لا يستبعد أن «تقدم المعركة شهداء داخل السجون، فمن المتوقع أن يخوض الأسرى الإضراب على الطريقة الإيرلندية «الحرية أو الشهادة»، و الغرض من الإضراب مطلبي وسياسي، بحيث سيسعى الأسرى إلى تحقيق مطالبهم الأساسية، وخاصة مع تهديدات بن غفير الصريحة والعلنية حتى للخبز»، كما أن الإضراب «هو سياسي أيضاً، بشكل ناقوس خطر للفصائل والشعب الفلسطيني للضغط عليهم للتحرك من أجل الحركة الأسيرة».

معركة الاسرى والعمق العربي

لا شك أن علاقات التطبيع العربية مع الاحتلال ساعدت في تشكيل غطاء لانتهاكات الاحتلال: «إن عدم وجود أي رد عربي، من مصر أو الأردن وغيرهما من الدول العربية، يعطي الضوء الأخضر لاستمرار سياسات التهجير الإسرائيلية، ومن ضمنها قضية إبعاد الأسرى، كما أن موجة التطبيع المغربية والخليجية، زادت علنية التواطؤ ضد القضية الفلسطينية وقضية الأسرى» أو بالعامية الفلسطينية، كما يعلّق الحموري: «الإسرائيليين مركنين». «المناضلون في السجون لم يناضلوا من أجل أنفسهم فقط، بل من أجل شعوبنا العربية جميعها، بهدف انتزاع حرية الوطن العربي، لخلق ساحة عربية تخلو من الهيمنة الغربية».

ملف الأسرى الفلسطينيين هو ملف عربي لأنه «امتداد للتضحيات العربية، التي شاركنا فيها أسرى من كل الشعوب العربية من سوريا ولبنان والأردن واليمن ومصر...»، والقائمة تطول على امتداد حدود الوطن العربي، فلا يمكن أن تقتصر على منطقة أو حركة مقاومة واحدة. يخلص الحموري إلى أنه ما لم يعد العمق العربي للقضية، وخاصة في دول الطوق على حدودنا المحتلة، فلن يكون هناك حل لإيقاف عملية تسريع التهجير والاقتلاع، والمطلوب «إرجاع القضية الفلسطينية كجوهر للقضية العربية، لأن حالة الاستهداف للعمق العربي جذرها فك الارتباط بفلسطين، وإنهاء دور الشعوب العربية في الصراع، وإلهاؤها، وهذه العملية تدمير ممنهج، هدفها إعادة تشكيل المنطقة على أساس أن إسرائيل ليست عدواً».

العمل الاممي والدولي

وعلى الرغم من الوضع الراهن، الذي يضيّق الخناق على القضية الفلسطينية، يؤكد الحموري أن هناك مساحة كبيرة للفلسطينيين للعمل على تشكيل ضغط، بهدف إعادة طرح قضية الأسرى. ويضيف إن ملف الأسرى من أهم الملفات والقضايا الفلسطينية التي يمكننا عبرها تشكيل قاعدة ضغط وراي عام، لوقف انتهاكات الاحتلال التي لا تقف عند ملف واحد. ويوضّح أن هناك تحديات تواجهنا كفلسطينيين في هذا العمل، فهناك صعوبات حالياً لا يمكن أن ننساها «تتمثل في أن المساحات للعمل ضاقت وتغيرت عن الماضي، بسبب صراعات اليمين واليسار دولياً، وفي أوروبا تحديداً، إضافة إلى حالة التشرذم التي يعانيها الفلسطينيون في أوروبا والعالم، وخاصة بعد الحرب السورية». ومع ذلك، يرى أن العمل دولياً من أجل الضغط لمصلحة كل الملفات الفلسطينية، هو «عمل نبيل، وحلقة من حلقات النضال الفلسطيني التي لا يمكن تركها خالية»، ويؤكد في هذا السياق أن «تركيبة حلقات النضال الفلسطينية الاستثنائية، وخاصة مع أعداد الفلسطينيين في الشتات التي تزداد طوال الوقت، مع زيادة التهجير والإبعاد والاقتلاع - لا يمكن تصنيفهم تحت مظلة مهاجرين - لذا فدورهم في حلقات النضال على الساحة الدولية ينصبّ في مساعيهم لتوحيد معركة العودة، مع كل المعارك الفلسطينية الأخرى»، وبهذا يصف صلاح الحموري دوره وعمله بعد الإبعاد: «معركة أيّ فلسطيني لا تنتهي بإبعاده داخل فلسطين أو إلى الخارج. وكل أسير محرّر أو مبعد، يعود دائماً لينخرط في ساحة النضال، كما أن سياسات الاحتلال كما نرى تستمر حتى بعد التحرر والإبعاد، وبالتالي تستمر معركة النضال».

سحب الجنسية في القانون الدولي: الأسرى رهائن عنصرية الكنيست

فؤاد بكر*

إثر فوز اليمين الإسرائيلي المتطرف والعنصري بانتخابات الكنيست الإسرائيلي، وتشكيل حكومة ائتلافية أشد فاشية من الكنيست، سرعان ما انهمرت اقتراحات القوانين العنصرية بحق الأسرى الفلسطينيين القابعين ظلماً في سجون الاحتلال، فصادقت الهيئة العامة للكنيست، نهائياً، بالقراءتين الثانية والثالثة، الأربعاء 15 شباط، على مشروع قانون تقدّمت به كتل الائتلاف والمعارضة الإسرائيلية، لسحب المواطنة أو الإقامة وإبعاد كل أسير فلسطيني يحصل على مساعدات مالية من السلطة الفلسطينية، بتأييد 94 نائباً ومعارضة 10 نواب.

تجدر الإشارة إلى أن تعريف الإرهاب المشار إليه في القانون يعود إلى قانون الكنيست الإسرائيلي عام 2016، بموجب القانون الجنائي الإسرائيلي وفق المواد الآتية: 97، 98، 99. ويمتلك وزير الداخلية صلاحية إلغاء المواطنة أو الإقامة خلال سبعة أيام من تقديم الطلب. وعلى المحكمة الإسرائيلية أن توافق خلال 30 يوماً من قرار وزير الداخلية، وبعدها ينقل الأسير الفلسطيني إلى مناطق السلطة الفلسطينية المشار إليها بـ«أ» و«ب»، ليكون الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام 1948 وسكان القدس المحتلة هم المتضررون من هذا القانون، في حين لم يتضح إن كان سيطبق بأثر رجعي.

ومع اختلاف فقهاء القانون في تعريف «المواطنة»، إلا أنهم يجمعون على مفهومها التقليدي المشتق من كلمة «الوطن» الدالة على انتماء الإنسان إلى إقليم جغرافي محدد، والتمتع بمجموعة من الحقوق، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهود الدولية المتعلقة به. يعتبر هذا القانون بمثابة تهجير قسري جديد، وتطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني، تحت ذريعة «الإرهاب»، كأداة لتفريغ مدينة القدس المحتلة من سكانها الأصليين، وتغيير معالمها الديموغرافية لمصلحة التهويد والتوسع في المستوطنات لضمّها لاحقاً، وتمهيداً لتكريس سياسة الأمر الواقع للاحتلال الإسرائيلي في القدس، والسيطرة على المسجد الأقصى، وذلك باتهام الأسرى الفلسطينيين الذين يقاومون باللحم الحي وبأمعائهم الخاوية سياسة إسرائيل الفاشية بـ«الإرهاب»، وهو ما يعرف بالمقاومة التي شرّعتها القوانين الدولية وقرارات الشرعية الدولية، التي تضمن للشعوب الكفاح والنضال بكلّ الوسائل للتخلص من النظام العنصري والاستعماري.

ويعطي القانون الجديد (الذي لطالما كان ممارساً بأشكال مختلفة) ذريعةً قانونية للمستوطنين الذين يرتكبون جرائم الحرب والقتل والتدمير بحق الفلسطينيين من دون حسيب أو رقيب، في ظل دعم الحكومة الإسرائيلية لهم، عبر تسليحهم ومنحهم الرخص القانونية لها، تحت ذريعة الدفاع عن النفس.

يخالف هذا القانون بشكل واضح اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بأسرى الحرب، والتي نصّت صراحة على العقوبات التأديبية للأسرى، والتي لا يحق اتخاذ أيّ عقوبات إضافية لا تنص عليها الاتفاقية. وعليه، فإن هذا القانون يستوجب وقفة دولية حازمة، كي لا يتم ارتكاب المزيد من الانتهاكات بحق الأسرى الفلسطينيين، وبالتالي من المفروض العمل على أن يتعاطى المجتمع الدولي مع إسرائيل باعتبارها دولة فصل عنصري، إضافة إلى كونها دولة إحلالية تقوم على نظام استعماري استيطاني.

الاتفاقية الدولية لقمع جريمة الفصل العنصري والمعاقبة عليها، تشير في مادتها الثانية إلى ان حرمان اي فرد من جنسيته أو حقه في التنقل والإقامة لأيام من تقديم الطلب. وعلى المحكمة الإسرائيلية أن توافق خلال 30 يوماً من قرار وزير الداخلية، وبعدها ينقل الأسير الفلسطيني إلى مناطق السلطة الفلسطينية المشار إليها بـ«أ» و«ب»، ليكون الفلسطينيون في الأراضي المحتلة عام 1948 وسكان القدس المحتلة هم المتضررون من هذا القانون، في حين لم يتضح إن كان سيطبق بأثر رجعي. ومع اختلاف فقهاء القانون في تعريف «المواطنة»، إلا أنهم يجمعون على مفهومها التقليدي المشتق من كلمة «الوطن» الدالة على انتماء الإنسان إلى إقليم جغرافي محدد، والتمتع بمجموعة من الحقوق، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهود الدولية المتعلقة به. يعتبر هذا القانون بمثابة تهجير قسري جديد، وتطهير عرقي ضد الشعب الفلسطيني، تحت ذريعة «الإرهاب»، كأداة لتفريغ مدينة القدس المحتلة من سكانها الأصليين، وتغيير معالمها الديموغرافية لمصلحة التهويد والتوسع في المستوطنات لضمّها لاحقاً، وتمهيداً لتكريس سياسة الأمر الواقع للاحتلال الإسرائيلي في القدس، والسيطرة على المسجد الأقصى، وذلك باتهام الأسرى الفلسطينيين الذين يقاومون باللحم الحي وبأمعائهم الخاوية سياسة إسرائيل الفاشية بـ«الإرهاب»، وهو ما يعرف بالمقاومة التي شرّعتها القوانين الدولية وقرارات الشرعية الدولية، التي تضمن للشعوب الكفاح والنضال بكلّ الوسائل للتخلص من النظام العنصري والاستعماري.

ويعطي القانون الجديد (الذي لطالما كان ممارساً بأشكال مختلفة) ذريعةً قانونية للمستوطنين الذين يرتكبون جرائم الحرب والقتل والتدمير بحق الفلسطينيين من دون حسيب أو رقيب، في ظل دعم الحكومة الإسرائيلية لهم، عبر تسليحهم ومنحهم الرخص القانونية لها، تحت ذريعة الدفاع عن النفس.

يخالف هذا القانون بشكل واضح اتفاقية جنيف الثالثة المتعلقة بأسرى الحرب، والتي نصّت صراحة على العقوبات التأديبية للأسرى، والتي لا يحق اتخاذ أيّ عقوبات إضافية لا تنص عليها الاتفاقية. وعليه، فإن هذا القانون يستوجب وقفة دولية حازمة، كي لا يتم ارتكاب المزيد من الانتهاكات بحق الأسرى الفلسطينيين، وبالتالي من المفروض العمل على أن يتعاطى المجتمع الدولي مع إسرائيل باعتبارها دولة فصل عنصري، إضافة إلى كونها دولة إحلالية تقوم على نظام استعماري استيطاني.

*** مستشار قانوني في المحكمة الجنائية الدولية**

مقترحات قوانين بالجملة

مرّ هذا القانون العنصري بلا أصوات دولية معارضة، فكان اليوم التالي 16 شباط، فتقدمت مجموعة من النواب بسلسلة اقتراحات لقوانين، استشرس فيها المتطرفون في الكنيست، النائبتان الإسرائيليتان ميخال ولوديغر من كتلة «عوتسما يهوديت»، وشيران هسكيل من كتلة «المعسكر الرسمي» المعارضة، قدمتا مقترحي قانون متطابقين ومنفصلين، يمنعان تلقي الأسير علاجات تساهم في جودة حياته، مثل العلاجات البلاستيكية والتجميلية، وحصوله على أدوية ليست مشمولة في سلة الأدوية الإسرائيلية الرسمية المدعومة. كما قدمت النائبة أوريت ستروك، ومعها مجموعة من نواب كتلتها «الصهيونية الدينية»، مقترح قانون يمنع الأسرى في السجون الإسرائيلية (سجناء أمنيون، بحسب تعبير القانون) من مشاهدة قنوات تلفزيونية، باستثناء، قنوات سلطة البث الإسرائيلية.

وقدمت ستروك ومجموعة من النواب من كتلتها، مشروع قانون يقضي بأن طلبات أي أسير من سلطة السجون يتم تقديمها بشكل فردي ومباشر، وليس من خلال ممثل للأسرى وناطق بلسانهم.

وبالعودة إلى النائبة شيران هسكيل من كتلة «المعسكر الرسمي»، فقد اقترحت أيضاً قانوناً تفصيلياً بهدف تضييق الخناق أكثر على الأسرى في السجون، ويشمل الاقتراح عدة بنود، منها أن لا يتم وضع الأسرى في الغرف بناء على الانتماء الفصائلي، كذلك لا يتم وضع الأسير في الغرفة ذاتها التي فيها أحد أبناء عائلته. أيضاً لا يبقى الأسير في الغرفة ذاتها لأكثر من 4 أشهر، ويحق لمفوض سلطة السجون تمديد الفترة، لكن لا تكون الفترة الإجمالية أكثر من 6 أشهر. كذلك يمنع تحويل أموال لحساب الأسير من السلطة الفلسطينية، وعلى جهاز المخابرات إبلاغ سلطة السجون عن الأسرى الذين خرقوا هذا البند. كما لا يحق للأسير تلقي مبلغ أكثر من 800 شيكل (228 دولاراً) شهرياً لحسابه فقط، من أحد أبناء عائلته، من الدرجة الأولى. وفي حال تمرير الاقتراح، فإنه سيحظر على الأسير البالغ أن يتقدم لامتحانات التوجيهي، إن كان حسب المنهاج الإسرائيلي، أو منهاج السلطة الفلسطينية. ويشمل الحظر الدراسات الأكاديمية، بينما الأسير القاصر يحق له التقدم لامتحانات التوجيهي حسب المنهاج الإسرائيلي أو منهاج السلطة الفلسطينية فقط. ويصل الاقتراح إلى الزيارات، إذ تقتصر الزيارة على مرة واحدة كل شهرين كحد أقصى، على أن تستمر 30 دقيقة فقط، ويحظر خلالها نقل الأغراض أو المواد الغذائية باستثناء وثائق يتم نقلها بموجب الأنظمة من خلال سلطة السجون.

البلاد

الأسرى والمواجهة المفتوحة
«بركان الحرية أو الشهادة»

موسى جرادات

منذ تشكيل الحكومة الصهيونية الجديدة، أصبح على أجندتها استهداف الأسرى، عبر انتزاع المنجزات الحياتية التي تم تحقيقها عبر سلسلة من النضالات المطلبية طوال عقود خلت. وعلى الرغم من الظروف الصعبة التي يعيشها الأسرى في سجون الاحتلال، فإن تلك الظروف، وفق تصورات الاحتلال، تعدّ غير مقبولة، وعليه لجأت الحكومة الصهيونية الجديدة إلى سن تشريعات قانونية تقوم على انتزاع الحقوق الإنسانية كافة التي انتزعها سابقاً. وعلى يد وزير الأمن الداخلي إيتمار بن غفير، بدأت اليوم المواجهة المفتوحة مع الأسرى، الذين بدورهم بدأوا بسلسلة من الإجراءات النضالية التي تستهدف وقف التغول بحقهم.

«الأخبار» استطلعت آراء عدد من الأسرى المحررين، لمعرفة الوضع الحالي الذي تشهده سجون الاحتلال، وكذلك للاطلاع على آخر التطورات الميدانية التي تشهدها السجون، بخاصة أن عدداً منهم، يعمل على هذا الملف.

الأسير المحرر أسامة ياسين من جنين، والذي أمضى 8 سنوات في سجون الاحتلال، أشار إلى أن المواجهة اليوم تعدّ من أقسى أنواع المواجهات بين الأسرى والمنظومة السجون، بخاصة أن تلك المواجهة محمولة على أجندة مسبقة من قبل حكومة الاحتلال، على عكس المواجهات السابقة، التي كانت تنحصر مع مصلحة السجون، فاليوم الأسرى مستهدفون بأبسط حقوقهم، والاحتلال يسعى للتحكم بهم عبر التدخل في حياتهم الداخلية، وكذلك في مأكلهم ومشربهم، وحتى تحديد كمية المياه المستخدمة في استحمامهم، ليطاول ذلك الأمر رسمَ علاقة جديدة مع السجان، تقوم على أدوات جديدة للسيطرة عليهم، وفق ما قاله الأسير المحرر شريف طحاينة من جنين لـ«الأخبار»، والذي أمضى أكثر من 13 عاماً في سجون الاحتلال، «الوضع صعب جداً، فالأسرى في دائرة الاستهداف من قبل الاحتلال، حيث تريد حكومة الاحتلال وأجهزتها الأمنية، وضمن رؤية متكاملة، الانقضاض على حقوق الأسرى».

يسعى الاحتلال للهجوم الكامل والمتناسق على الشعب الفلسطيني، وربما يعتقد أن الأسرى يشكلون الحلقة الأضعف، وفق ما أشار إليه الأسير المحرر علام الكعبي الذي أمضى 15 عاماً في سجون الاحتلال، حيث أكد أن معركة الأسرى امتداد لكل المعارك التي يخوضها اليوم الشعب الفلسطيني. ويرى الكعبي أن معركة الأسرى هي معركة مصيرية، وأن الأسرى وفق تواصله القريب معهم، مصممون على خوض تلك المعركة، عبر وحدة تامة للحركة الأسيرة، حيث أشار الكعبي أيضاً إلى أن الأسرى قد وجهوا تحذيراً غير مسبوق لإدارة مصلحة السجون، مفاده بأنهم لن يكتفوا بتصعيد نضالهم المطلبي والحقوقي، بل سيلجأون إلى مهاجمة السجانين في أي مواجهة مقبلة.

وبدوره لخص الأسير المحرر أحمد أبو السعود، من نابلس، والذي أمضى 26 عاماً في سجون الاحتلال، الوضعية الراهنة بالقول إن «الحكومة اليمينية المتطرفة تريد أن تجهز على ملف الأسرى، عبر سن جملة من القوانين التالية: إحياء قانون الإعدام للأسرى، وإلغاء المواطنة لكل أسير محرر من مناطق الـ48 المحتلة وإبعادهم عنها، والتضييق على الأسرى من خلال حل التنظيمات، وتقليص زمن النزهة، وإجبار الأسرى على الخروج بلباس إدارة السجون لساحات النزهة، وإنهاء وجود ممثل للأسرى في كل سجن، ومنع صناعة الطعام في الغرف، مع الفرض عليهم تناول ما يعده الأسرى الجنائيون في مطبخ السجن، إضافة إلى دمج الأسرى، وخلطهم بشكل عشوائي في الأقسام والغرف من أجل فككة التنظيمات».

وأضاف أبو السعود، المبعد من قبل الاحتلال إلى دمشق، معلقاً على مواقف الأسرى من تلك الإجراءات بالقول: «سارعت لجنة الطوارئ العليا للحركة الأسيرة داخل السجون للاجتماع والتباحث بمستجدات الواقع، بخاصة بعد أن وصلتهم تهديدات الوزير الصهيوني المجرم بن غفير، من خلال زيارته الأولى لسجن نفحه بعد تسلمه الوزارة بأيام، وخلصوا إلى التالي: وقف أي إجراءات يسعى الاحتلال لفرضها على الأسرى، عبر إدارة السجون من خلال قرارات لجان أو قرارات سياسية، ووقف حرب الاستنزاف التي يخوضها العدو ضد الأسرى، وعلى ضوء ذلك، وضعوا برنامج مواجهات مع إدارة الاحتلال ضد الإجراءات القمعية الجديدة، بإعلان العصيان والتمرد على قرارات وسياسة إدارة السجون، وتستمر هذه الحالة، أي الخطوات الرافضة والمواجهة مع السجان، حتى بداية شهر رمضان، فإذا لم تتراجع إدارة السجون ومن خلفها حكومة الاحتلال، سوف يشرع الأسرى بالإضراب المفتوح عن الطعام من اليوم الأول من شهر رمضان».

في ظل هذا الوضع غير المسبوق في تاريخ الحركة الأسيرة، وهذه الهجمة، يسود الاعتقاد أن الأيام والأشهر المقبلة ستشهد ضراوة في المعركة بين الأسرى ومصلحة السجون

ويشير أبو السعود إلى أن الأسرى بذلك سيترجمون رفضهم بالكثير من الخطوات الاحتجاجية التي عزمتهم وتعزمهم لعقوبات صارمة هم وذويهم، ويوضح أن الحركة الأسيرة وضعت شعار «بركان الحرية أو الشهادة» المنسجم مع الأهداف التي حددتها للإضراب وهي: إعادة تعريف الأسرى كأسرى حرب، ووقف الاعتقال الإداري، ونقل الأسرى المرضى إلى قسم ملائم والسماح بإدخال أطباء من خارج إدارة السجون، وإعادة الحياة في السجون إلى ما كانت عليه قبل تاريخ 2023/1/1.

وما بين الإجراءات الاحتلالية ومواقف الأسرى منها، هناك إجماع على أن الأسرى في سجون الاحتلال قادرون على تلك المواجهة، بفعل شمول الهجمة مختلف الأسرى، وبفعل تجربتهم النضالية السابقة مع مصلحة السجون، كذلك بفعل الإسناد الشعبي الفلسطيني لهم، إضافة إلى وجود مقاومة مسلحة قادرة على الفعل الميداني، وأيضاً لوجود حالة نضالية ممتدة خارج السجون. فقد عبّر الأسير المحرر مروان المالحي، من بيت لحم، والذي أمضى 15 عاماً في سجون الاحتلال، بالقول: «إن قضية الأسرى، قضية جامعة لدى كل أبناء شعبنا وأحرار العالم».

يخوض الأسرى معركتهم الحالية من أجل الحفاظ على إنجازات الأسرى وحقوقهم التي جاءت بالإضرابات والدم والاستشهاد والمواجهة المستمرة على مدار اليوم والساعة. وفي ظل هذا الوضع غير المسبوق في تاريخ الحركة الأسيرة، وهذه الهجمة، يسود الاعتقاد أن الأيام والأشهر المقبلة ستشهد ضراوة في المعركة بين الأسرى ومصلحة السجون، والنتائج المترتبة على هذه المواجهة ربما ستضع اللبنات الأولى لهزيمة حكومة الاحتلال، فالأسرى يشكلون عنوان المقاومة، وهم الأقدر على حمل الراية وتوجيه المعركة في الاتجاه الصحيح، بعيداً من كل التناقضات التي تعصف في المجال السياسي الفلسطيني.

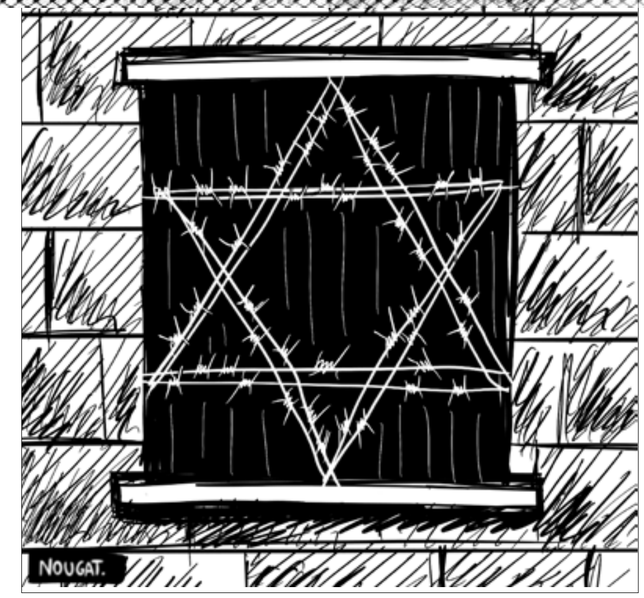

خضر عدنان أيقونة الإضرابات عن الطعام

بلال الطبعوني

فارسٌ من فرسان الصبر، والأمعاء الخاوية، ومعارك الإرادة، ضد السلطات الإسرائيلية، التي لا تنفكّ تنتهك حقوق الفلسطينيين جميعاً، وعلى رأسهم الأسرى في سجون الاحتلال، إنه الأسير الشيخ خضر عدنان، القيادي في حركة الجهاد الإسلامي، والحنجرة التي تصدح برفض الوجود الإسرائيلي، على امتداد الجغرافيا الفلسطينية، غير آبه بالضريبة التي اعتاد أن يدفعها، مقابل مجاهرته بالحق، في مواجهة منظومة إرهابية فاشية عنصرية، بشقّيها السياسي والأمني، اسمها «إسرائيل».

من مدينة إلى أخرى في الضفة الغربية، اعتاد الشيخ عدنان التنقّل، ليقول كلمته واضحة وجليّة، في العديد من الفعاليات والوقفات والندوات والمهرجانات، المناهض الذي خرج من رحم بلدة عرابة، جنوب غرب جنين، يعدّ من أقدار الاحتلال السيئة في الضفة المحتلة، كيف لا، وهو الذي لا يكفّ عن استنهاض الهمم، رغم علمه بأن كل حرف يقوله سيسجل عليه، ويحاكم عليه، ويحاسب عليه يوماً ما، من عدو لا يراعي أو يرقب إلّا ولا ذمة، في شيخ أو كبير أو صغير أو امرأة أو طفل.

متعددة هي المحطات والمواقف التي جعلت من الشيخ عدنان نموذجاً يحتذى، وأيقونة نضالية، وحالة استثنائية خاصة، وعلى رأسها معارك الإضراب عن الطعام، التي اعتادها الأسير، وجعل منها سلاحاً فعالاً، أرغم عبره الاحتلال غير مرة، على التراجع خطوة إلى الوراء، وانتزع من خلاله الحرية، رغماً عن رغبة الإسرائيليين، الذين يمنّون النفس في الحقيقة بالخلاص من أمثلة أبي عبد الرحمن، الذي اعتقل عشرة مرة تعرّض خلالها القيادي في «الجهاد الإسلامي» للاعتقال الإداري، وأمضى ما مجموعه نحو ثماني سنوات، معظمها رهن الاعتقال الإداري، خاض خلالها خمسة إضرابات سابقة.

المثير للانتباه، أن الشيخ خضر لا ينتظر مساومة أو حواراً أو حُكماً، ليعلن بمقتضى ذلك إضرابه، وإنما يشرع في الإضراب عن الطعام بمجرد اعتقاله، من دون أن يستمع حتى لما يريده الاحتلال، في سلوك يستبطن رسائل مبدئية، مفادها بأن الجيش الإسرائيلي، يعدّ قوة قائمة باحتلال غير شرعي، وليس له أيّ حق في اعتقال مواطن متجذّر في أرضه، كما أن في تصرف الأسير خضر دعوة إلى التمرد والمواجهة والعصيان، بكل السبل الممكنة، على طريق الحرية، دون الخضوع لإسرائيل وأذرعها القمعية، تحت أي ظرف.

كارلوس لطوف (2012)

بالتطبع، تعرض الأسير عدنان للكثير من أدوات الضغط والتنكيل، والتعذيب الجسدي والنفسي، في مسعى لكسر إرادته، لكنه دوماً كان حاضر القدرة الذهنية والجسدية لمواصلة طريقه، غير آبه لأيّ مظهر قمعي، قد يترتّب على المواجهة غير المتكافئة التي يخوضها دوماً، وهو الذي يعرف أن الانتصار على السجّان سيعدّ غلبة على القهر والظلم، ورافداً لتجارب مماثلة، ستنتقل حتماً كالعدوى الإيجابية من أسير إلى آخر، سعياً للتغلب على سلطات الاحتلال، ولو بالحد الأدنى، على طريق الانتصارات الكبرى.

صرخة الأحرار، في وجه السجّان الإسرائيلي، متعددة الأوجه، وخضر عدنان أحد روادها، وهو القائل: «أنا ولدت حراً، ولن أذهب إلى السجن طواعية، واحتجاز حريتي واعتقالي هو اعتداء على هويتي»، هذه الكلمات تختصر معاني لا تُحصى، تمثّل جوهر ادبيات الشيخ، وفلسفة رفض الاعتقال، تحت أيّ مبرّر، فضلاً عن سياسة الإضراب عن الطعام، التي يتبناها الأخير، كما كثيرون غيره، على اعتبار أن الحرية والكرامة من أعزّ ما يملك الإنسان في الدنيا، وليس من حق أي جهة كانت أن تسلبها وتقيّدها، فكيف إذا كانت احتلالاً ليس له من الحق شيء، لا في الأرض ولا في المقدسات ولا في الإنسان.

«أنا بدأت الإضراب ومستمر فيه، زارني محامٍ أو لم يزرني، وجرت تغطية الإضراب بالإعلام أو لا»، هذه من صور الكلام الذي يتدفق بالعزيمة الصلبة، بمعزل عن طبيعة الاهتمام أو شكله، فالمهم النتائج فقط. خضر عدنان المبدئي، لم يدخل معركة إضراب ومعدة فارغة إلا انتصر بها، وكلما خرج من وراء القضبان عاد إلى سيرته الأولى، دون كلل أو ملل، صوتاً للضمير الحي، المتمسك بالهوية الفلسطينية والثوابت الوطنية، اعتقل الشيخ أخيراً في الخامس من شباط الجاري، كالعادة أضرب عن الطعام، ما أدى إلى تعرّضه لتنكيل قاس، وتأجيل محاكمات، وعزل وضغط وتضييق، غير أنه باقٍ على عهد المواجهة كما يؤكد، إما شُهادة أو انتصار، ولا مكان للرمادية بينهما.

الله، السجائر، التيك توك

بهاء رؤوف

تشهد فلسطين أخيراً، حراكات تتجاوز التنظيمات الفلسطينية، فبعد عام 2014 الذي شهد حرباً على غزة، بدأت الجماهير الفلسطينية بأخذ منحى غير منظم لمحاربة العدو الصهيوني في أماكن وجوده كافة، وخلال هذه المحاولات غير المنظمة، شهد القطاع معارك عدة، كان الغرض منها محاولة تحقيق أهداف جمعية لا تتعلق بالقطاع وحده، مثلما شهدنا قبل عام 2021.

هبّة السكاكين وحماسة الشباب الفلسطيني

بعد عملية «الجرف الصامد» 2014 على غزة بعام تقريباً، تفجّرت هبة السكاكين في القدس على يد الشباب الفلسطيني، بعد أن أطلقها الشهيد مهند الحلبي باستخدامه السكين، ولسان حاله يقول: هذا أضعف الإيمان أمام الاحتلال وممارساته التي تستهدف وجود الفلسطينيين في القدس، فكان من الطبيعي أن يأتي مثل هذا الرد عليها.

مهّدت هذه الهبّة لهبّات أخرى، كهبّة باب الأسباط عام 2017. وهبّة باب الرحمة 2019، وهبّة باب العمود 2021. فعلى مدار السنوات الماضية حاول الاحتلال بكل قوته أسرلة المجتمع الفلسطيني في الداخل المحتل، بعد فشله في اقتلاعه من أرضه، وعلى الرغم من الصدمة التي سببها الفلسطينيون للكيان الصهيوني حينها، حاول الكيان إخماد نيران الهبة، ونجح نسبياً عن طريق الحبس مع الغرامات العالية وفرض العقوبات الماليّة على فلسطينيي الداخل.

تلك الحالة التي توهجت، امتدت لتصبح صانعة لسردية فلسطينية واحدة، فأصبح أبناء غزّة والضفة الغربية والداخل والشتات، يتحدثون عن اليوم التالي لتحرير فلسطين، وامتلأت صفحاتهم الشخصيّة على مواقع التواصل الاجتماعي بهذه الفلسطيني، كما أنه يثير السخرية لدى بعض أبناء التنظيمات الذين يرون أن فعل الشهيد مجرّد من العقلانيّة التي يحصرونها في قيادة الأحزاب المهترئة والمنفصلة عن الواقع الفلسطيني، والتي لا تلبّي أدنى حاجات الجماهير الفلسطينيّة.

ذيلت عبارة «المقاومة جدوى مستمرة» وصية الشهيد التي خطّها بيده قبيل استشهاده، فصارت واقعاً تنتمي إليه غالبية الشعب الفلسطيني، وفاتحة طريق للعمليات الفرديّة المسلحة من بعده. عمليات غير محصورة بما يريده المنفذ وحده، بل تشبه نوعاً ما «الإحسان بالثأر» أي شباب فلسطيني يثأر لشباب فلسطيني، في رفض ضمني لوصف «الذئب المنفرد» الذي يحمل دلالة «إرهابيّة»، كون النضال الفلسطيني في نظر هذا الشباب مشروع ضد المحتل في كل فلسطين التاريخيّة.

هبّة أيّار... حارس الأسوار النائم

تفاجأ الكيان الصهيوني في أيّار 2021 من الهبّة الشعبيّة في فلسطين التاريخيّة، وبخاصة ما حدث داخل مدينة اللد، مع بداية أحداث معركة «سيف القدس». فعلى مدار السنوات الماضية حاول الاحتلال بكل قوته أسرلة المجتمع الفلسطيني في الداخل المحتل، بعد فشله في اقتلاعه من أرضه، وعلى الرغم من الصدمة التي سببها الفلسطينيون للكيان الصهيوني حينها، حاول الكيان إخماد نيران الهبة، ونجح نسبياً عن طريق الحبس مع الغرامات العالية وفرض العقوبات الماليّة على فلسطينيي الداخل.

تلك الحالة التي توهجت، امتدت لتصبح صانعة لسردية فلسطينية واحدة، فأصبح أبناء غزّة والضفة الغربية والداخل والشتات، يتحدثون عن اليوم التالي لتحرير فلسطين، وامتلأت صفحاتهم الشخصيّة على مواقع التواصل الاجتماعي بهذه الآراء، وقد ساعد ذلك على صناعة رأي عام واحد للكل الفلسطيني ضد سرديّة الاحتلال، وكان كل هذا بشكل غير مخطط له، ومن غير أن يتوقعه أحد.

مجموعات الضفة والتديّن الشعبي

في العام الماضي، ظهرت المجموعات المسلحة في الضفّة الغربيّة («عرين الأسود»، «عش الدبابير»، «كتيبة جنين» وغيرها) ومن أهم ما يميّز هذه المجموعات أنها شبابية رافضة لحالة الخنوع التي تعيشها الفصائل الفلسطينية، ففيها أبناء التنظيمات المتمردين على قياداتهم، وقد انخرطوا في هذه المجموعات مفضلين العمل المسلح على العمل السياسي. فعلى سبيل المثال لا الحصر، تم حل «كتائب شهداء الأقصى» عام 2008 بذريعة القضاء على الفلتان الأمني، إلا أن أبناءها الرافضين لهذا الأمر، انخرطوا بعد تلك السنين، بالمجموعات المسلحة آنفة الذكر.

وكما هو واضح، تحظى هذه المجموعات، بالتفاف جماهيري واسع في فلسطين، ورفض من قيادة السلطة وبعض الأحزاب. ولعل أسباب هذا الالتفاف، تكمن في أن هذه المجموعات غير الهرميّة وغير المنظمة، تشبه الجماهير الفلسطينية من حيث التديّن الشعبي السائد وتدخين السجائر ومتابعة «التيك توك»، إلا أنه من الواضح أنه ينقصها الحس الأمني التنظيمي، وهو ما عليها تداركه كي لا يتم اختراقها وتبديد جمعها.

في النهاية، المشهد الفلسطيني ذاهب لتجاوز التنظيمات بشكلها التقليدي، ويحتاج، في الوقت عينه، إلى قيادة حكيمة تلبّي طموحات الشعب الفلسطيني وتوحده في أماكن وجوده كافة. وعليه، يجب أن يكون الهم الفلسطيني هو القاسم المشترك والموحد، وأن تكون القيادة منسجمة مع ذلك، لا أن تكون عامل تفرقة، وألا يكون انتباهها منصبّاً على مصالحها الشخصية فقط لا غير.

الأشبال الجنرالات... يوني خائف

زاهر أبو حمدة

انضم إلى عصابة «الهاغاناه» في عمر الـ15. وأصبح قائداً لوحدة عسكرية حين أتم عامه الـ20. اشتهر بقتل وتهجير أهالي قرية سلمة (قضاء يافا) في معارك النكبة عام 1948، فالتحق بوحدة النخبة لـ«الهاغاناه»، وبما أنها المدماك الأساسي للجيش الإسرائيلي، نال رتبة ملازم، وترقى سريعاً ليصبح نقيباً في لواء «غيفعاتي». أرسلوه إلى فرنسا في دورات أكاديمية عسكرية، فعاد برتبة عقيد ليلتحق بأرئيل شارون، في حرب النكسة عام 1967. بعد الحرب، أصبح قائداً للواء «غولاني»، وشغل منصب نائب قائد لجيش الاحتلال برتبة عميد، حتى نهاية حرب رمضان عام 1973. ولأنه أثبت كفاءة نادرة، ترأس القيادة الجنوبية في الجيش برتبة جنرال.

كان قائد «مجموعة الإنقاذ» في مطار «عنتيبي» عام 1976، أثناء العملية الشهيرة. وهو المخطط لعملية «أوبرا» (قصف المفاعل النووي العراقي أوزيراك عام 1981). بعدها بعام، ذهب إلى الولايات المتحدة للدراسة، وعاد نائباً لرئيس الأركان، تحت قيادة رافائيل إيتان، ورئيساً لمديرية العمليات. أمّا عام 1982، وقع مناحيم بيغن قرار تعيينه رئيساً لـ«الموساد» بدلاً من إسحاق هوفي، لكنه قُتل في اجتياح لبنان، قبل أن يتولى منصبه. هذا الجنرال القاتل اسمه بيكوتيل آدم. لكن كيف قتل؟

في العاشر من حزيران عام 1982، أي في اليوم الرابع من الاجتياح الإسرائيلي، كان آدم ومجموعة ضباط إسرائيليين يقودون نطاق العمليات من فيلا في بلدة الدامور الساحلية، تسلل فدائي إلى محيط الفيلا، وعند التأكد من وصوله، هاجم الفدائيون المكان بقذائف الهاون، هرب آدم وضباطٌ آخران، إلى الطابق السفلي من الفيلا، فأطلق الفدائي المتسلل النار على آدم ومن معه، فأرداه قتيلاً مع العقيد حاييم سيلا.

بعدما نفذت ذخيرة الفدائيين في محيط الدامور، وقع الفدائيون في الأسر وتفاجأ جنرالات الاحتلال أن جميعهم لا يتجاوز عمرهم الـ21 سنة. كانت صفعة كبرى، ولم تُكشف أسماء الأسرى حتى الآن. وفي عام 1989، نشرت الطبيبة النفسية والكاتبة الإسرائيلية أميا ليبليخ، كتاباً يحتوي على مقابلات مع جنود إسرائيليين شاركوا في الحروب، فكانت شهادة لعسكري في الطاقم الطبي اسمه يوخانان (اسم مستعار) يذكر فيها تعذيب الأسرى العرب والفلسطينيين في سجون الاحتلال، وكيف أنه كان في أحد الأيام في زيارة إلى سجن يُنقل الأسرى إليه، وشاهد فتى لم يبلغ الـ21 من عمره معصوب العينين وقد تعرّض للضرب المبرح أثناء نقله، فأشار أحد الجنود إليه قائلاً: «هل ترى هذا الفتى؟ هو من قتل بكوتيئيل آدم».

آدم، هو أعلى رتبة قُتلت في الجيش الإسرائيلي. وكان من بين 100 ضابط وجندي إسرائيلي قتلوا خلال الأيام الستة الأولى من اجتياح لبنان. وفي اليوم التالي من قتله، أشارت صحيفة «الواشنطن بوست» حينها إلى أنه كان مرشحاً لمنصب قائد الأركان في جيش الاحتلال، لولا الكمين الفلسطيني.

■■■

عوزي آدم، نجل بكوتيئيل، التحق بالجيش وتولى قيادة المنطقة الشمالية واستقال من منصبه بعد عدوان تموز 2006، نتيجة الفشل في المعركة. وكأن العدوانية في الجينات وكذلك الفشل. إلا أن الأطفال الفلسطينيين أثبتوا منذ ما قبل النكبة، لا سيما في الثورات الفلسطينية ضد الاستعمار البريطاني والعصابات الصهيونية، أنهم مدافعون مندفعون وثابتون، من مخيم الرشيدية وأشبال الأر بي جي، إلى مخيم شعفاط. تاريخ طويل من طفولة فلسطينية مسلوبة. فمن الصعب أن ينمو الطفل بيولوجياً ونفسياً من دون أن يكون مقاوماً وهو تحت الاحتلال. وهذه الظاهرة يبدو أخافت يوني بن مناحم*، فكتب دراسة بعنوان «ظاهرة المراهقين الفلسطينيين الإرهابيين»، في مركز القدس للشؤون العامة. يشير فيها إلى أن «هناك قلقاً متزايداً في المؤسسة الأمنية الإسرائيلية من أن تجنيد المراهقين يحظى بدعم اجتماعي واسع وشرعية دينية، وسيتوسع مع اقتراب الفلسطينيين من شهر رمضان (22 آذار - 20 نيسان 2023)». القلق هنا، ارتفع في الأسابيع الأخيرة، بعدما نفذ ثلاثة شبان فلسطينيين عمليات فدائية، منها إطلاق محمد عليوات (13 سنة) النار ضد مستوطنين في شرق القدس. ويفيد مناحم، أن الأسباب الفعلية لتجدد هذه الظاهرة:

-التحريض الوحشي من قبل السلطة الفلسطينية والمنظمات «الإرهابية» ضد إسرائيل واليهود على مواقع التواصل الاجتماعي، وخصوصاً على موقعي «تيك توك» و«إنستغرام».

-التحريض في منظومة التربية والتعليم وفي التعليم المنزلي. تعمل حوالي 200 مدرسة في شرق القدس. معظمها يُدرّس منهاج السلطة الفلسطينية الذي يؤكد الرواية الفلسطينية للنكبة، ويتجاهل وجود دولة إسرائيل واتفاقات أوسلو، ويؤكد على أهمية القدس والمسجد الأقصى والنضال ضد الاحتلال.

-يساهم الآباء الفلسطينيون في التحريض وغرس الكراهية لإسرائيل واليهود في نفوس أطفالهم. وهم لا يُحصنون أبناءهم من التحريض. على العكس من ذلك، فهم يشجعون ثقافة الموت في أبنائهم، ويحتفلون بوفاة كل طفل ومراهق يُقتل خلال أي هجوم ويعلنونه «شهيداً».

-تؤيد القيادات الدينية في القدس هذه الظاهرة، والقيادات المجتمعية هناك والمسؤولون في السلطة الفلسطينية يمتنعون عن إبعاد الأطفال عن دائرة «الإرهاب». بالنسبة لهم، كل الوسائل مقبولة لمحاربة إسرائيل، يتم غسل دماغ الأطفال بإجماع مجتمعي واسع ومشوه وبشرعية دينية. ويعبرون حاجز الخوف بوعود كاذبة بأنهم سيصلون إلى الجنة.

وفقاً لمناحم، الاحتلال ليست له علاقة بما يشعر به الأطفال كبشر على أقل تقدير. فمن زاد أعداد الأيتام في الشعب الفلسطيني؟ ومن يزرع الخوف في نفوسهم في اقتحامات البيوت ومداهمات الشوارع؟ من يفرض على الطفل الفلسطيني الحبس المنزلي ويعتقلهم يومياً من مدارسهم. ينسى أو يتناسى مناحم، أنه في الزنازين الإسرائيلية أكثر من 150 طفلاً أسيراً. المشكلة مع هذا الاحتلال وأمثال مناحم، أنه يريد الأمور كلها لمصلحته دائماً. ولذلك لا بد من تذكيره أن الجنرال آدم كان طفلاً حين ارتكب المجازر في يافا وحيفا، ومن هذه القصص الكثير. وهناك فرق كبير أن تكون في حالة هجوم أو دفاع، والفلسطينيون في دفاع منذ أكثر من مئة عام.

* يوني بن مناحم: كاتب في الشؤون العربية ومعلق ديبلوماسي في راديو وتلفزيون إسرائيلي، ومحلل بارز في شؤون الشرق الأوسط في مركز القدس. شغل منصب المدير العام ورئيس تحرير هيئة الإذاعة الإسرائيلية.

الأخبار
al-akhbar
السبت 25 شباط 2023 العدد 4858

رحيل

فيصل فرحات... المدينة ماتت قبل موتك!

عبد الرحمن جاسم

كان لدى الراحل فيصل فرحات الكثير ليقوله، ويكتبه، ويؤديه. المسرحي اللبناني رحل بهدوءٍ قبل أيام في شقته فوق أحد السطوح في منطقة رأس بيروت. الكل تقريباً عرفه سواء من خلال المسرحيات التي كتبها أو أخرجها، أو حتى شارك فيها مؤدياً. صديق الراحل الكبير جلال خوري والشاعر جوزيف حرب والمثقف اليساري وابن الحزب الشيوعي اللبناني، عانى في أواخر أيامه من العوز، وكان ينتظر بعض المال علّه يساعده لإتمام عمليةٍ جراحية احتاج إليها. عمل المثقف الراحل في العديد من المؤسسات والعديد من الأعمال. فكان بائعاً متجوّلاً للكتب، ومندوباً لبيع مواد الدهان، ومندوباً لبيع الخشب، والعديد من الوظائف التي كانت تسدّ رمقه، هو الذي لم يكن يرى إلا الثقافة حاجته الرئيسية وماء روايته.

ثقافياً، لا ننسى للراحل مسرحية «معو حق إبني» التي كانت باكورة أعماله، وانطلاقته الفعلية. مسرحية اقتبسها عن مسرحية جلال خوري المعروفة «جحا في القرى الأمامية» وقد أخرجتها وقتها سهام ناصر. عُرضت المسرحية في بيروت، وكفررمان، وصيدا، وصور، وبرجا بدءاً من عام 1976. في العام ذاته، عُرضت له مسرحية «مزرعة معزولة» ضمن احتفالية «دراما مين؟» على مسرح «الويست هول» في الجامعة الأميركية، وقد أخرجها أنيس سماحة آنذاك. في السنة التي تلتها، قدّم مسرحية «كفر جبروت» التي عرضها في جباع وصيدا وصور، وأخرجها كذلك. أتبعها لاحقاً بمسرحية «لبنان في لوحات مسرحية» التي عرضها في يوم المرأة العالمي على مسرح الأونيسكو، وكذلك على مسرح كلية التربية في الجامعة اللبنانية. غاب بعد ذلك عاماً واحداً، ثم أتبعها بمسرحية «سقوط عويس آغا» التي أخرجها بنفسه وقدّمها على مسرح «جان دارك» في الحمرا المنطقة التي سكنها وأحبّها. أثارت هذه المسرحية العديد من المشاكل لفرحات، إذ يشير كثيرون من بينهم صديقه الناشر سليمان بختي، إلى أنها عرّضته للمساءلة

> مسرحية «معو حق إبني» كانت باكورة أعماله بدءاً من عام 1976

من قادة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في ذلك الوقت.

انهمك فيصل فرحات بعد ذلك بعالم الكتابة، فكتب مخطوطاتٍ عدة بدءاً من عام 1979، مع مسرحيته «نايم الأخ»، و«خمسة بتاخدن ستة» (1990)، و«الأفق الآخر» (1990)، و«الاستعمار العائلي» (1991) و«فرج الله في البال» (2002). ما ميّز فيصل فرحات هو ثقافته الواسعة والمتنوّعة، إذ عمل على مخطوطاتٍ مسرحية باللغة الإنكليزية مثل Women and a man و The other love وغيرهما. ولأن ثقافته واسعة وحياته مليئة بالأحداث، قرّر أن يخوض غمار تجربة «السردية الذاتية»، فأنجز مجموعة كتب تناولت حياته ذاتها: «يوم بدأت الكتابة» في عام 2008 (تُرجم الكتاب إلى اللغة الفرنسية عبر أنطوان بولاد وصدر عن «دار ضرغام» في عام 2009). في عام 2009، كتب «رهبة الكتابة» (دار نلسن) ليتبعه في عام 2011 بكتابين «عمر الولدنة» و«فتنة زمانه». ثم في عام 2012، كتب «إبن الحزب وقصص أخرى» (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر)، ثم «مجنون بن بيروت»، و«أربع مسرحيات»، و«باع سمك بالبحر» و«يوم في حياة كاتب» (2015) و«شالوم إم مصطفى» (2019). آخر كتبه كان «قيامة لبنان المنهار» العام الفائت. كتب فرحات الكثير من المقالات في السياسة، والفكر، والأدب والثقافة، والمسرح، وقد كان لـ«الأخبار» نصيبٌ كبيرٌ من مشاركاته.

امتاز فيصل فرحات بواقعيته العالية، بصدقه، بمباشرته، وكانت لغته المسرحية كما الكتابية، شبيهة به. حاول أن يصوّر حياة الكاتب والمناضل والثائر والمسرحي في آنٍ معاً، تلك الحياة التي عاشها بصخب على طريقته، لكنه رحل بهدوءٍ لا يشبهها البتة، ولو أنّ الأمر كان متوقعاً في بلاد باتت تلفظ الفن والثقافة. فيصل الذي عرفه شارع الحمرا كمثقفٍ جوّال، سيظل الشارع يتذكره ربما ليس اليوم، لكن بالتأكيد سيأتي يومٌ يذكر فيه اسم الرجل، ليس لأنه يستحق فحسب، بل لأن الحضارة لا تبنى إلا بالثقافة والمثقفين، وفيصل كان واحداً منهم.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 25 شباط 2023
العدد 4858 السنة السابعة عشرة
Samedi 25 Février 2023 nº 4858 17ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

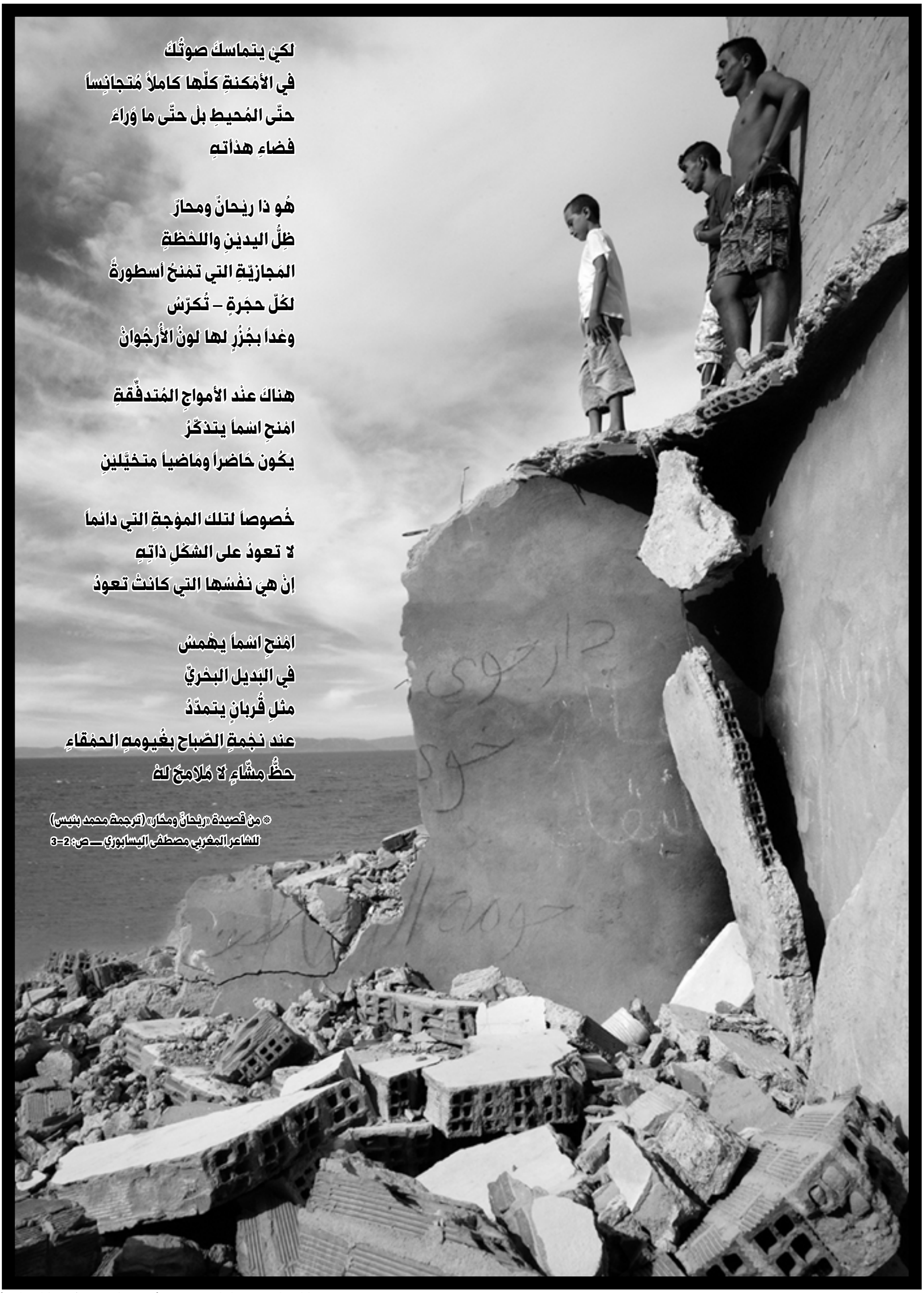

لكيْ يتماسكَ صوتُكَ
في الأمْكنةِ كلّها كاملاً مُتجانِساً
حتّى المُحيطِ بلْ حتّى ما وَراءَ
فضاءِ هدْأتِهِ

هُو ذا ريْحانٌ ومحارٌ
ظِلُّ اليديْنِ واللحْظةِ
المَجازيّةِ التي تمْنحُ أسطورةً
لكُلّ حجَرةٍ – تُكرّسُ
وعْداً بجُزُرٍ لها لونُ الأُرجُوانْ

هناكَ عنْد الأمواجِ المُتدفِّقةِ
امْنحِ اسْماً يتذكّرُ
يكُون حَاضراً ومَاضياً متخيَّليْنِ

خُصوصاً لتلك الموْجةِ التي دائماً
لا تعودُ على الشكْلِ ذاتِهِ
إنْ هي نفْسُها التي كانتْ تعودُ

امْنحِ اسْماً يهْمسُ
في البَديل البحْريِّ
مثلِ قُربانٍ يتمدّدُ
عند نجْمةِ الصّباح بغُيومِهِ الحمْقاءِ
حظُّ مشّاءٍ لا مَلامحَ لهْ

* من قصيدة «ريْحانٌ ومحَار» (ترجمة محمد بنيس)
للشاعر المغربي مصطفى اليسابوري ـــ ص: 2-3

ليلى علوي ـ من سلسلة No Pasara (2008 ـ بإذن من مؤسسة ليلى علوي)

ملف

صدور مختارات للشاعر المغربي بترجمة محمد بنيس

مصطفى النيسابوري: القصيدة في صلب الكفاح ضد الكولونيالية

لم تكن المسألة شعريَّةً فقط، أو لنقل كانت شأناً عاماً احتلّ الإبداع صميمه. وفي صميم هذا الإبداع التَّركيز على الشعر والفنون التشكيليَّة: في ستينيَّاتٍ وبداية سبعينيَّاتِ القرن الماضي، خرجت الحركةُ الوطنيَّة المغربيَّة منهَكة من كفاحٍ سياسيٍّ وصراعٍ مسلَّح مريرين في وجه تحالف طغيان الحسن الثاني ومحازبيه من أذناب الاستعمار وبقايا الاحتلال الفرنسي من بين مئاتٍ في مفاصل الدَّولة. صراع مرير من أجل استكمال تحرير البلاد وإرساء نظام ديموقراطيّ. (المغرب يكادُ يشكِّلُ حالة خاصَّة في التاريخ المعاصر للبلدان التي تحرَّرت من الاستعمار المباشر، بكون حركته الوطنيَّة لم تتسلَّم مقاليدَ الحُكْم.)

بعد اتِّضاح أنَّ الآفاق مسدودة في المغرب أمام أيِّ نضال ديموقراطي علني، سواء داخل أو خارج مؤسسات هندَسها الحسن الثاني مع مستشارين سياسيين وعسكريين فرنسيين، ارْتَأتْ ثلَّةٌ من المثقَّفين الشَّباب، تتلمذت بين المؤسسات التربوية المغربيَّة والمعاهد الفرنسيَّة، أن تنشقَّ عن الفصيلين اليساريَّيْن الأساسيَّين في الحركة الوطنيَّة المغربية، فأسَّسَ المنشقُّون عن «حزب التَّقدُّم والاشتراكية» (تغيير لاسم الحزب الشيوعي المغربي الذي رفضت السلطات المغربية الاعتراف به تحت هذه اليافطة) منظَّمةَ «إلى الأمام». وفي الفترةِ نفسها، أسَّسَ المنشقُّون عن «حزب الاتِّحاد الوطني للقوَّات الشعبيَّة» منظَّمةَ «23 مارس» (تخليداً لانتفاضة 23 مارس 1965 الشعبيَّة، التي أخمدها نظام الحسن الثاني بقوة النار والحديد في مدينة الدار البيضاء)؛ وهما منظَّمتان سرِّيَّتان متشيِّعتان بالماركسيَّة ـ اللينينيَّة.

في موازاة العمل السياسي السِّري تحت الأرض، راهنت قيادة منظَّمة «إلى الأمام» على العمل الثقافي. هكذا، انطلقت مجلَّة «أنفاس»، ليصدر العدد الأول من النُّسخة الفرنسية، في الرباط بداية عام 1966 بهيئة تحرير رأسها الشاعر عبد اللطيف اللعبي، بمساعدة الشاعر مصطفى النيسابوري، مع غلاف من تصميم التشكيلي الراحل محمد المليحي (صدرت النسخة العربية في عام 1971، وتمَّ منع كامل المجلة في عام 1973، مع إيقاف قيادات المنظِّمتين والمنتسبين إليهما، وتقديمهم إلى المحاكمة بتهمة محاولة قلب النِّظام).

إضافةً إلى نشر نصوص إبداعيَّة ورسومات فنِّيَّة من كل العالم الثالث وأنصار القضيَّة الفلسطينيَّة في الغرب، دافعت المجلَّة في سجالات وندوات ومقالات وحقِّ الرَّد عن قيم الثَّقافة الوطنيَّة (في الوقت نفسه مع مجلة «الآداب» البيروتيَّة)، ونقد الأدب والفنون التشكيليَّة الفولكلوريَّين اللذَيْن يحقِّران المغاربة وينالان رضا قدماء المعمِّرين الفرنسيين. كانت أهمُّ خطوة عمليَّة قامت بها المجلة هي تأسيس دار نشر وروراق Atlantes، رافقَها تأسيس محمد المليحي لدار نشر وروراق Shoof. كانت الغاية الأساسيَّة لهذه الخطوة المزدوجة محاولة الاستقلال بالكتاب المغربي والإبداعات التشكيليَّة المغربية عن منظومة الإنتاج الثقافي الكولونيالي، ما يشكِّل الخطوة الأهم لانتشار الثقافة الوطنيَّة المغربية، سواء باللسان الفرنسي أو العربي. من دون هذا السياق السياسي والثقافي وتبيان جدل الحدث السياسي والقصيدة، لا يمكن فهم معالم التجديد التي ضخَّها مصطفى النيسابوري في دماء الشعر المغربي المكتوب بالفرنسيَّة، هو الذي يعود إلى الواجهة اليوم من خلال «نجمة نائية ونصوص شعرية أخرى» عنوان مختارات له صدرت أخيراً ضمن سلسلة «تجارب شعرية» عن «دار توبقال»، بترجمة الشاعر والكاتب محمّد بنّيس. إضافةً إلى مهام النيسابوري التحريرية في «أنفاس»، نشرت المجلة نصوصه الأولى. رغم أنَّ النيسابوري (الدار البيضاء، 1943) كان في معمعة النشاط السياسي، إلا أنَّه لم يكن منتسباً إلى منظِّمة «إلى الأمام». يمكن وصفه بالتعبير التقليدي لـ «رفيق الطريق»، أي الذي يتقاسم مع التنظيم الرأي السياسي نفسه، من دون العمل الحركي ضمن خلاياه. سمحت هذه المسافة للنيسابوري بتخفيف قصيدته من نبرة الاحتجاج العالي والمباشر، خلَّصَتها من أيديولوجيا استتباع الشعر بالسياسة، على العكس من صديقه وزميله عبد اللطيف اللعبي، الذي كانت قصيدته غارقة في المقاربة المباشرة للواقع من دون ترميز ولا كناية، وبالقليل من الأدوات الجمالية. من كثرة مرافقته للفنَّانين التشكيليين وتأثُّره بهم، تبدو قصيدةُ النيسابوري مشهداً بصرياً قريباً في معماره من لوحة فنِّيَّة، مع فضاءات طبيعيَّة ممتدَّة منحت القارئ مكاناً أرحب ممَّا وفره النِّظام السياسي آنذاك لأحرار المغرب من زنازين ومعتقلات وكبت حريَّات. قصيدة النيسابوري متنفَّسُ مَن لا متنفَّسَ له. لذلك انتظمت في إيقاعاتها على شكل أبيات طويلة أو قصائد مديدة أو نثر فنيٍّ موقَّع؛ في تخلُّص شبه كامل من علامات التنقيط. فالإيقاعُ لديه هو النَّفَسُ النَّاظِمُ لإنشاد القصيدة، وهو يجنِّسُها تحت اسم «أناشيد» وصلاً لها بالماضي القديم للشعر مع الإغريق، رغم مَلْمَحِها الحداثي، بل الطليعي في سياقه.

إعلاءً من شأن القيمة التشكيليَّة لشعره، أصدر النيسابوري مطوَّلَتَهُ «فَجْرٌ» (1994)، في شكل متواليَّة من 13 شَذرة تتخلَّلها 13 لوحة مطبوعة على الحرير من إنجاز التشكيلي المغربي فريد بلكاهية. كما أصدر ديوانه «مقاربة الصَّحراوي» (1997)، في طبعة فنِّيَّة محدودة، مرفقة برسومات ولوحات مطبوعة على الحرير أيضاً للتشكيلي المغربي الحسين الميلودي. معجمياً، تَتَفَرَّدُ لغة النيسابوري بتشظية موضوعها إلى مشاهد ولوحات صغيرة، وصور متباعدة، تبدو لأوَّل وهلة مفكَّكة. يبدو للقارئ النبيه أنَّها نتاج مِخْيَالٍ خصب وتوليف ذكيٍّ عِماده الإنشادُ الموقَّعُ وابتكار واقع شعريٍّ يحاول استبدال الواقع العقيم بيوتوبياه التي تنزعُ نحو تأسيس عمران جديد، يستحقُّ تعميره إنسان جديد ذو قيم جديدة تنبثق من رَحِم الصراع الاجتماعيِّ والجماليِّ بالضرورة. وهنا ملحوظة لها علاقة بما سبق: نشر الطاهر بنجلون كتاباته الأولى في «أنفاس» وقدَّم له المناضل السياسي أبراهام السرفاتي ديوانه الأوَّل المنشور في دار Atlantes الرَّديفة للمجلة. في نهاية سبعينيات القرن الماضي، سيهاجر بنجلون إلى فرنسا وينقلب على كلِّ هذا الماضي بـ 360°، ليشرع، تحت طلب ناشره الباريسي، بكتابة روايات فلكلورية ونيو-استشراقية وأشعار ذات لغة تدور في الفراغ. على إثر ذلك، ستفتح له استديوات القنوات وصفحات المجلات والجرائد في فرنسا بينما سيتمُّ التضييق على روائي وناقد فني أهمّ مثل إدمون عمران المالح. وبقي مصطفى النيسابوري على هامش أي اعتراف فرنسي بإضافاته الشعرية إلى لسان العالم الفرنكوفوني رغم أنَّ كتاب المختارات الشعرية الحالي نُشِرَ بدعم من «مصلحة خدمة الكتاب» في السفارة الفرنسية في الرباط. هنا مختارات من كتاب «نجمة نائية ونصوص شعرية أخرى».

تقديم واختيار **رشيد وحتي**

1- فَجْر

الفجرُ
لا شيءَ سوى فجْرٍ
كَيْ تظْهرَ هذه الكُثبانُ
المُتناثرةُ كانَ شبكةً مُبْهمةً للعيْنِ
تُقدِّمُها في غفْلةٍ عنّي
فضاءً لتخْليقِ آخرِ رُموزٍ
تتجلّى في حُمَّياتِ شُموسٍ
مُتْعشِقةٍ

ذلك ما انبثقَ مِنْ بينِ أحْلامِ
اليقْظةِ التي هنا تهزُّ مشاعري
وبرقِ الشجَرِ وكتابتِهِ
بزُخْرفةٍ منْهوكةٍ
احْتجارٌ للجوانِحِ
على حيطانِ الهذَيانِ
جهاتٌ مَيِّتاتُ نواحٍ أخْرى

لا شيءَ سوى فجْرٍ
كأنهُ امتدادٌ لنفْسي في صُدْفةِ
السَّحابِ
عند ذُروةِ الليْلِ المكَفِّرِ
بما فيه الليلُ الذي اتخلَّصُ منهُ
وحتى أقيسَ أثرهُ اعتقلتْ
جَحافلي الشاحبةُ امْكنةً بها
يتذهلُ الجسدُ خلالَ النهارْ
هُناكَ في الأعْلى عنْد عُبورِ أفْراسٍ
مُجنَّحةٍ
لا بدَّ مِنْ أخْذِ موْقعٍ بيْني مخْوراً
مع أنْساقِها
وهكذا نُنْكرُ الأرضَ نُنْكرُ أرْقامَها

التخومُ التي تراها مِنْ هُنا
تخومٌ عهِدْ أجْدبَ
خلْفَها بلْدانٌ كأنها بضْماتُ
تموتُ

لفْرطِ ما بلغَت الاحْتضارَ
وهْي تنظرُ إلَيْنا لحدّ أنْ صحْراءَ
تغْبُرُنا مِنْ جانبٍ إلى آخَرْ.
كانت البدايةُ بالأنْغامِ
ألفُ شمْسٍ يمكنُ أنْ تذوبَ
وتهيّئَ لإدْراكِ الطّفاوات
وأنا مُضْطربا ثانيةً أضْعفُ
في نفْسي مُتفكِّرا في ماءِ المؤْتى
لأجْلِ عُبورٍ منْظرٍ طبيعيٍّ مُغْلقٍ

وأنْ تكونَ مشاهدي للاخْرة
لا واقعاً وإنْ تكونَ أيضا تقْلِبا
لفجْرٍ مُنْتزَعٍ مِنَ العراقةْ.
تفْريعٌ، حقاً، بمُجرد ما تُدْمجُ
جليديةُ العيْنِ الكلّ في ثُنائيةِ
النّهارِ
كما لَوْ كان عليْه أنْ يولدَ من
جديدٍ
فالرمالُ الصّوانيةُ جاهزةٌ لكثْمِ
هذا السِّرْ
حتّى تجيءَ النِّساءُ
وتُبدّلْنَه بنظْرتهنَّ
مِنْ فوقِ الرّوابي التي بأيْديهنَّ
يُعْجَنُ مظْهرُها

ما يُنطقُ به يتفرَّقُ مِنْ صدْرك
باتِّجاهِ قطعِ جُدْرانٍ كتلتُها تكادُ
تلْتبسُ في لُغْبةِ خطوطٍ
التلاقي المُصيفَةِ. أحجارٌ رماديةٌ.
جُزُرٌ مُتراكمةٌ. نهارُ البارحةِ مُوَزَّعٌ
مِنْ جديدٍ. واقتحامُ أبي هوْلِ
بجَناحٍ مُرْتبكٍ
واجْتياحُهُ بيْنما هو في صراعٍ
مع بُراقٍ
هذا بعُيونٍ واسعةٍ والآخرُ متوَجٌ
بنبَهاتِهِ
رأيْتُهما مِنْ بعيدٍ يُغلّفهما صمْتُ
الضّوْبرات

2- مُقارِبةُ الخلاءِ

هي ذي سماءٌ أخْرى
أوْلويةُ مكانٍ آخرَ
على سِنْرِ الكلمةِ
كاقْتصاصٍ لزُرْقةِ السّماءِ
الذي ساعدَ الجسدَ
السابقَ على الرُّسوْخِ

كلخْطةٍ ذاتِ قطيعةٍ عُظْمى
تبْتكرُ لُغةً وتجْعلُها خارجَ
الإدْراكِ
قبالةَ نُقْطةِ إظْهارٍ في السّهْلِ
لجْنانزَ غامضةٍ
قبالةَ شبَكةٍ من الزُّنْقات
مُجرّبةٍ في تجْويفِ للواقِعِ
قبالةَ أسْبقيةِ المُكْنِ والمُحْتمَلِ
على التُّخومِ المُتخيَّلةِ
انْعكسْتُ يوْما في زُوحي
تمْتصُّ نسيجَها
قبلَ اخرِ تفكُّلٍ في شكْلِ سحابْ

3- سماءٌ أخْرى

لها جميعُ الأزْمنةِ
التي تحْتاجُ إلى التبلُّرِ في الصّدْرِ
مُحمَّلةً باخرِ دفْقٍ
لهيروغْليفيةٍ مُحْتملةٍ
تُنقّلُ لاحقاً
إلى لُوَيْناتِ المِلْحِ الحجَريِّ

معَ ما تبقّى
يعْبُرهُ على الدّوامِ
تراجعُ هذه المادّةِ المسْرِنمةِ
لأنها تُعيّنُ موقعَ البلدِ الضائعِ
عند مصبِّ الأحْلامِ
معَ مكانٍ ونَمْوِ السِّدْرةِ
ودوامِها على لوْنِ اسْمرَ ذهبيٍّ
كابديّةٍ
في إشْراقةٍ مُتضرِّرةٍ
معَ هذا الغيابِ
الواصلِ حتّى عتبةِ المُبالغةِ
التي تجْعلُ الظلَّ يمتدّ على أرْضٍ
تحدُّها في غفْلةٍ عنها
أحجارٌ مطْلية بالجيرِ ونباتُ
القيْقلةِ
حيثُ يكادُ ينْحصرُ
صخْوٌ عابرٌ مُفْترَضٌ
شبْهُ مكانٍ فيه الذاتُ تُصوّرُ
نفْسَها
بدُون ماوى بدُون ذاكرةٍ
بدُونِ اسْتذكارٍ عوْدةٍ مُمكنةٍ ولوْ
في زمَنٍ آخرَ
ليْلُهُ مرْفوعٌ في شكلِ نعْشٍ
على أكْتافٍ عارِيةٍ
حتّى الوُصولِ في النهايةِ
إلى تلاوةٍ تتوالى
فيما نجومٌ وشُموسٌ تتجمّدُ
في هذه الكتابةِ ذاتِها
حيثُ هذه الكوْنيةُ صمْتُ
فبدءاً من الداخلِ على الفوْرِ تكيّفَ
الموقعُ
كتراكُمٍ نُعاسيٍّ للشّمسِ
إلى أنْ وُزِّعَ ظاهرياً على الأمواجِ
وحْدِها

أيُّ زبدٍ لا يقْبلُ عنْدئذٍ أنْ يكونَ
فرضيةَ مأساتِهِ
أوْ بالنِّسْبةِ إلى نُكْراناً عريضاً ولا
يوصَفُ
مَلْحٌ ورمْلٌ
فوْقَ البداياتِ المُلْتبسةِ للهيْكلِ
العظْميِّ
أيُّ هُويةٍ إنْ هي لمْ تكنْ
مُتخيّلةً
حَجَا تذكُّراً فيْهِما نفْسَ الساحلِ
الكثيفِ الحُضورِ
في المَنْظورِ ذاتِهِ الهارِبِ
أيُّ اندماجٍ من جديدٍ للذّاتِ
هنا بالضّبطِ لا تُخلّصُه شجرةُ
ضاجّةٌ بزيزانِها

أيُّ يقْظةٍ عند زيْتونةٍ برّيّةٍ
إنِ الذاكرةُ كانتْ دائماً على أهْبةِ
الإقْلاعِ
بطريقةٍ لا نقْدرُ معْها
أنْ نعْتبرَ انفُسَنا سوى ما تبقّى
مِنْ منْطوقٍ
وجُمجُمتُنا مُمتدةٌ بأزْجُوحةٍ
سكْرانةٍ بطيورِها
وبالكلامِ الغامضِ للحظْةِ
يستحيلُ عيْشُها

إلّا كتداخُلٍ في واضحِ النّهارِ
الذي يضَعُ في مكانٍ آخرَ النّخْلةَ
المُضافةَ
وبعيداً أكثرَ نشْأةُ الواقعْ.
قياسُ اليقْظةِ
هوَ حلولُ الصّباحِ
الذي يُصمّمُ عند الغُبورِ
انقطاعُ طفْئِ الأقْمارِ
يبتعدُ
وفي الوقْتِ ذاته تبتعدُ القلْعةُ
والمشْهدُ نفْسهُ حيث يُمكنُ أنْ
نعْلنَ
أنّنا مِنَ اللّامكانِ نجيءُ
ولوْ نحنُ كنا نتقدّمُ في المُكْنِ
تخْمينا بيْنَ شمْسٍ كاذبةٍ ومُظْهرِ
ما
حتى شَقائقُ النُّعْمانِ الصّارخةِ
لمضابيجِي
هي صورةٌ تتوسّطُ المركزَ مِنْ
جديدٍ
في المَرْقومِ المُلْقى مرةً أخْرى في
مُخْتبَةِ هوامشِه
ثم مِنْ بعْدِ ذلكَ تُمْحَى
تدْريجياً مُؤكّدةً بمحابرَ لا عَدَ
لها
وهي كلمةٌ نهائيةٌ تُشْربُ
لتُسْتأنَفَ في بُعْدٍ
التّعْبيرِ الذي يأخذُ مكانَ إناءٍ
سبقَ لهُ من قبلُ أنْ كانَ
جُزْءاً من إقليمٍ مُدْناةٍ
على حسابِ الذّاكرةْ
من هُنا يتأسّسُ
خنْقُ الخلاءِ
على طريقةِ توسُّعِ اليابسِ
وهو يغْمُرُ الوجْهَ
يغْمرُ الشعْرَ بدْءاً من الانْغراسِ
ويغْمرُ ارتفاعَ الأعْضاءِ
كما لوْ أنّنا كنّا أمامَ انْحرافٍ عنِ
الواقعيّ
إذْ يتمُّ ذبْحُ العقْلِ
مِنْ أجْلِ توْطيدِ نُبْضاتٍ تنهارُ
أمامَ فضاءٍ يغْيُرُهُ شكٌّ مِنْ جميعِ
الجهاتِ
حتى يُصبحَ اسْمي مِنْ أسماءِ
التّرْحُّلِ
مِنْ عدَمِ المُلاءمةِ المُنطلقةِ مِنَ
الولاداتِ
القاسيةِ في الحُفْرةِ على الطّرُقِ
مِنْ بحْرٍ غيْرِ قابلٍ للتصرُّفِ وهُو
مُسْتنْزَفٌ
تحت توزُّعِ التّلألُؤِ
مِنْ أجْلِ ألا تبْقى سوى قطْعٍ من
السّماءِ
في شكْلِ هذَيانٍ مُتشذّرٍ فوقَ
الطاوْلةِ
ثمة تراجُعٌ واضحٌ
لخريطةٍ مُتقادمةٍ في المَسارِ
الفقْهيِّ
أكْثرُ فأكْثرُ يتقلّصُ النّسيجُ

مع الوضْعِ النهائيِّ لجسدٍ يبْكي
بالانْهيائيِّ في الخارجِ
ولا يقْلقُ في حالةِ سديمٍ فاغرٍ
نُسْكيةٌ إلى حدّ نسْيانِ اللّيْلِ
وفرضيتِهِ
في النّسيجِ النباتيِّ الذي يُنْمي
تقدّمَ
ألفِ فصْلٍ لا رجاءَ فيهْ

3- بدُونِ اسْمٍ

في اليومِ الذي كنتُ عثرتُ
على وجْهةٍ أخْرى للهُروبِ
لم أعدْ بعد ذاكَ مغْنياً
بهذه البطاقاتِ التي وضَعتْها
بخفّةِ يدْ
حادّةُ في التباسِ التوقُّفاتِ
في تشوُّشِ المساراتِ
هنا وهناكَ ألصقتْها فوْقَ ائتمعةِ
سفْري
كانتِ الساعةُ تشيرُ إلى مُرورِ
رائحةِ الهواءِ
على نباتاتِ الرّنْدقِ وإلى المخْنِ
البادِيةِ لكنّني لم أتأسّفْ على
شيْءٍ كنتُ أتمشّى جيئةً وذهاباً
في رقْعةٍ محطةٍ
وكانتْ صورةُ الظلِّ ملقاةً على
الرّصيفِ
مع أشْجارٍ تدرُّجِ الضوْءِ فيهِ
مرْصودٍ لانعكاساتٍ أخرى غابرةٍ
كنتُ آنذاكَ غريباً لا اسْمَ لي
مِنْ بلدٍ يكادُ يكونُ مُحتملَ
الوُجودِ
دونَما صلةٍ مع مَنْ كان صوْتٌ
يدعوهُ إلى مكتبِ استقبالٍ في
الأمكانِ
لا تباعدَ ولا تقاربَ فيه ومَنْ
وصلَ إلى حدٍّ إلاّ يريد أبداً
مُوافقةً على النّهارِ الذي يطلعُ
حينَها وجدتُ نفْسي هناكَ أتتبّعُ
سُماقَ الزّمنِ يلتقطُ ويُجمّدُ بطْءَ
أزْرقِ السّماءِ، صورةَ الحاضرِ

محمد المليحي. من دون عنوان (طلاء السيلولوز على خشب ــ 1970 ـ 1971)

منعطف جذري في الأدب المكتوب بالفرنسية

تعرفت على الشاعر مصطفى النيسابوري في البداية من خلال العدد الأول، الصادر عام 1966، من مجلة Souffles «أنفاس» التي كان مشاركاً في تأسيسها إلى جانب عبد اللطيف اللعبي، هي مجلة أدبية، فنية، ثقافية، ذات توجّه طلائعي، تجمع شعراء وكتاباً بالفرنسية في البلدان المغاربية. إعجابي بالمجلة كان يزداد مع تلاحق صدور الأعداد. ومن عدد إلى آخر، كان النيسابوري حاضراً بقصائد ونصوص ودراسات. ثم تجدد اللقاء، من خلال مجلة Intégral التي أسسها صحبة محمد المليحي عام 1971، مجلة ثقافية، ينحصر اهتمامها في الأدب والفنون. وفي عام 1986، التقينا مباشرة بمناسبة مهرجان الشعريين العربي والفرنسي في مدينة غرونوبل. كنا معاً من بين المشاركين في هذا المهرجان التاريخي، الذي جمع نخبة من أبرز الشعراء العرب آنذاك إلى جانب نخبة موسعة أيضاً من الشعراء الفرنسيين. وعلى إثر هذا المهرجان، انبثقتْ بيننا أخوّة شعرية، أفضتْ إلى تعاون تميز على الدوام بالجرأة والحرية والوفاء المتبادل. لم ينشر مصطفى النيسابوري، حتى الآن، سوى أربعة أعمال شعرية في كتب. مع ذلك، فإن ما قرأته له، عبر عقود من الزمن، قرّبني من كتاباته ودلّني على الحوار المتواصل معه والإنصات إليه. مصطفى النيسابوري شاعر بنى شعريته الخاصة، منذ عمله المرجعي «الليلة الثانية بعد الألف»، الذي صدر عام 1975، ولقي صدى واسعاً في أوساط الدارسين والباحثين لأنه شكّل، بطريقته الجديدة في الكتابة، منعطفاً جذرياً في الأدب المكتوب بالفرنسية في المغرب. بهذا العمل الشعري، افتتح النيسابوري مساراً امتد ونضج خلال خمسة عقود، أعطى فيها أعمالاً ذات نفَس مستمر، ما يسمح بالنظر إليها كعمل (أو كتاب) واحد. إضافة إلى أنه أول شاعر مغربي أنتج، مع مطلع الثمانينيات، أعمالاً مشتركة مع فنانين تشكيليين مغاربة، في شكل كتب وحقائب فنية، تجعل منه رائداً في هذا المجال.

ذلك من بين ما غذّى لدي رغبةً صامتةً في ترجمة منتخبات من أعماله، تعود إلى فترات مختلفة وتتوزع عبر أجناس من الكتابة، بها يمكننا الإطلاع على مغامرة الرحيل لدى شاعر تشبث دائماً بالشعر. وهو ما أتمنى أن يكتشفه القارئ، من خلال هذه المنتخبات التي أقدمت بالتعاون الكامل مع الشاعر على ترجمتها.

* مِنْ «كلمة» المترجم الشاعر محمد بنيس التقديميَّة للمختارات

قصة

موسم الأمطار

خوسيه إدواردو اغوالوسا*

ترجمة مهدي النفري

في تلك الليلة حلمت ليديا بالبحر. بحر عميق وشفّاف مليء بالمخلوقات البطيئة التي بدت مصنوعة من نفس الضوء الحزين الذي نراه في الشفق. لم تكن ليديا تعرف أين هي لكنها كانت تعلم أن تلك المخلوقات كانت قناديل البحر. أثناء استيقاظها، كانت لا تزال تراهم ينزلقون عبر جدران غرفتها، ثم فكرت في جدتها (دونا جوزفين دي كارمو فيريرا)، المعروفة أيضاً باسم «نيجا فينا»، مفسّرة الأحلام الشهيرة وفقاً للمرأة العجوز. كان الحلم بالبحر مثل الحلم بالموت.

أول شيء رأته عندما فتحت عينيها، كان الوقت على ساعة الحائط الكبيرة: الثانية عشرة وعشرين دقيقة؛ لذلك كانت أنغولا مستقيلة لمدة عشرين دقيقة كما اعتقدت. وتفاجأت عندما وجدت نفسها في ذلك السرير في المنزل القديم في «إنغومبوتاس». ماذا كانت تفعل هنا في وسط لواندا، ماذا كانت تفعل في هذا البلد؟ سؤال لا طائل من ورائه ظلَّ يطاردها يوماً بعد يوم.

لكن، في تلك اللحظة، لأمرٍ ما، كان لما تفعله هناك معنى مختلفٌ.

كان عقلها صافياً ولم تشعر بشيء؛ لا مرارة الخاسر ولا نشوة المنتصر. إنها ليلة الجنرب، كما فكرت وهي تتخيل نفسها كطفل حديث الولادة مع فرس النبي كبيراً على صدرها.

عندما كانت صغيرة أخبرتها جاسينتو العجوز بهذا:

- بعد أن ولدت والدتك مباشرة، وعندما نظرت إليك رأيت فرس النبي ضخماً يجلس على صدرك، وبعد ذلك بوقت طويل ذكّرتها الجدة فينا بالحادث وقالت:

- سوف تلتهمك الحياة.

كانت الجدة فينا قد بلغت عامها الخامس والخمسين في ذلك الشهر لكنها كانت لا تزال نضرة ولبقة ورشيقة كما كانت دائماً.

صدقت ليديا كل ما قالته بما في ذلك تنبؤاتها. فكّرت للحظة في إيقاظها وإخبار حلمها، لكنها لم تفعل ذلك، ولم يكن لديها القوة لفعل ذلك. أخذت نفساً عميقاً من عطر Kikombo المشبع بالهواء، وشعرت بأنها أخف وزناً. دخل ضجيج بعيد وغليظ أذنيها. لم تستطع التفرقة بين الأصوات، لكنها عرفت أنها طلقات نارية وانفجارات وصراخ ألم وغضب ونشوة. مليء بالغضب، ولكن لا بد أنه كان هناك أنين حب، وكلاب تنبح، وقلوب تنبض.

فكّرت ليديا في «دي كروز»، فكّرت في الموت، وفكّرت في الحياة خارج النوافذ المغلقة في غرفة نومها. جلست، مدّت يدها إلى طاولة السرير والتقطت دفتراً أسود مستطيلاً يكتب فيه البقّالون مبيعاتهم اليومية بالقلم الرصاص.

كتبت:

الحياة تحدث في الخارج

شطبت الجملة وكتبت:

تكشّفت الحياة الخارجية في تألقها الكامل الخام

ثم وضعت دائرة بين السطرين وأضافت التاريخ:

11 تشرين الأول من عام 1975

* درس العلوم الزراعية في لشبونة، عمل صحافياً في صحيفة «الشعب» اليومية. يُعتبر من أهم الأصوات الأدبية في أنغولا والعالم الناطق بالبرتغالية. يعيش في موزمبيق بعد أن كان ينتقل بين البرتغال وأنغولا والبرازيل. حصل على عدة جوائز منها «جائزة دبلن للأدب» عن روايته «نظرية عامة للنسيان» (2017)، وجائزة الـ«إندبندنت للقصص الأجنبية» عن عمله «كتاب الحرباء» (2006)، و«جائزة إذاعة وتلفزيون البرتغال» عن عمله «الأمة الكريولية» (1977). من أعماله الأخرى: «نساء أبي» و«حجرة تحت الماء».

هارك شاغال: المنظر الأزرق (غواش على ورق، 1949)

نصوص

أطعنكِ بالفسائل، أملأ جوفكِ بالبذور، أيّتها الأرض

صالح رحيم*

أكثر من دلالة توجدُ على أنّ المطرَ يغسل الشجرَ ويطهّرُ الوجوه. وأكثر من دلالة تشيرُ إلى أنّ الشمس تدفئ العظام. أكثرُ من تطبيق للفكرة التي تقول بسلامة الحواس، إنّ العالمَ شاسع. دلائل كثيرة، أيها البحر، في أعماقك تفضح قلةَ حيلتي. يدلّ بكاءُ الصغيرة على حاجتها إلى الحليب. لكنّ العالمَ بوصفه كلاً واحداً العالم الشاسع الذي يحوي عدداً لا متناهياً من الدلالات، هذا العالم الذي نعيش فيه، ليس دلالةً على شيء.

■■■

لا يمكن أن يطيح المرءُ بكيانه إلا إذا كان يملك الجرأة على ذلك، والجرأة تأتي قبل أن تتوقف حياته، أما إذا توقفت ولم يطح بكيانه بعد، فليس ثمة باعثٌ على الزوال، إذ بعد أن يستحيل النغمُ نشازاً، تصبح الجرأة خطراً طبيعياً، خالياً من المغامرة، خطراً أشبه ما يكون بالقدر.

■■■

أفعل شيئاً ولا تفعل كل شيء، دع الربيع يلوح بأغصانه بعيداً عن السحب المحمّلة بالأضاحي، دع الضحية تشرب الماء قبل أن تبتكر فكرتها عن العالم الآخر، دع الفصول تتعاقب وتنتهك خصوصيتك، دع الموت يتسرب في الأوردة والشرايين، دع كل شيء ولا تفعل أي شيء، كلّ شيءٍ يتهاوى ويذوي مثل ورقة صفراء ما إن تضع إصبعك على جسدها خطراً طبيعياً، خالياً من المغامرة، أشبه ما يكون بالقدر.

■■■

أكثرُ أفعالي عبثيةً هي تلك التي تحاول أن تكون ذات معنى، أن تكون مقصودة، بقيتُ حتى هذه اللحظة أتعمّد نسيانَ حياتي في البيت، على الطاولة، في المكتبة، على شبّاك البيتونة، وفي شتى الأماكن. تحولُ الأمرُ إلى لعبة، أترك حياتي في مكان قصي، وأذهب إلى الحديقة، أنشغل بتذكّر ما هو أهم، ومن ثم، تنبثق ذكراها مثل شرارة، في عشب الذاكرة. بعد كلّ مرةٍ أنسى حياتي، يصطبغُ العالم بالذبول، تموت زهور وحشرات خاُفاقة، وأشجار وارفة، تنتفي الخضرةُ وتستحيل إلى رطوبة سوداء. لا خلاص إذاً، على الإنسان أن يعرف متى تنتهي اللعبة، ينبغي أن أحافظ على حياتي، وأربطها إلى جسدي، مثل كلبة.

■■■

المرأةُ كبوةُ لحصان أصيل، الأخضرُ في العينِ ميلادٌ ليوم جديد، الأحمر على الشفة خطاب العطاش، المرأة تاريخٌ لزج، ما إن تطأه قدمٌ حتى تعلق الأخرى، ومن ثم وجود المرء بأكمله.

■■■

أحبُّك أيتها الأرض، أطعنك بالفسائل، أملأ جوفكِ بالبذور، وأنتظرُ - العمر كلّه - ميلادَ بستانٍ فسيح.

■■■

رعشةُ الشعر: كما الخائف الذي لاذ ببيتٍ على أطراف أرضٍ نائية، فهالَه فراغُ البيت، والطريقُ الذي خلّاه وراءه، لا العودةُ آمنةً ولا البقاء، هكذا تلقّفتْ البارحةُ من صديقٍ صوراً تجمع بلبلاً ميتاً إلى كتابي، لا أنكرُ أن صديقي يكنُّ محبةً وتقديراً لشعري ولشخصي على الأقل، إلا أن الأمرَ محيرٌ ومروع. أيمكن لرعشةِ الشعرِ أن تكون قاتلةً إلى هذا الحد!

* المثنّى/ العراق

قصة قصيرة

كتبٌ كالأشباح

مكتبة مكتبة كادوكاوا (طوكيو، 22،02،2022. من صفحتها الرسمية على انستغرام)

سعد هادي*

لم أعد أذهبُ إلى المكتبة لأقرأ ولا لأكتب بل لأستعير كتاباً، أواصل تقليب صفحاته بلا تركيز، بينما يظل ذهني مشغولاً بالماكينة التي يعيد من خلالها زبائن المكتبة ما استعاروه من كتب، وُضعت تلك الماكينة داخل غرفةٍ زجاجية قرب الباب الرئيس لقاعة القراءة، بينما تختفي المكائن في المكتبات الأخرى خلف جدران صمّاء، أراقبُ وأنا أجلسُ على الأريكة المواجهة للباب مَن يتجه إلى الماكينة، ثم أفتعل سبباً لأنهض وأتابعه حين يُلقي ما يحمله من كتب عبر الكوة التي تبدأ بها الماكينة، ثم أرى كيف تتلاحق الكتب فوق الحزام المتحرك الذي يلي الكوة كتاباً بعد آخر، قبل أن ينزلق كل منها بخفةٍ إلى الصندوق المخصص لمادته حسب الرمز الإلكتروني المثبت على غلافه: صندوق للروايات، صندوق لدواوين الشعر، صندوق لكتب السيرة، صندوق للكتب الفنية، صندوق للكتب العلمية...

يأتي موظف في المكتبة كلما امتلأ أحد الصناديق فيلتقط الكتب ويضعها في عربة يد، ويقوم بإعادتها إلى الرفوف والخزانات التي أخذت منها، وتدريجياً صرتُ أحلم أن أتحوّل إلى كتاب، لأقطع تلك المسافة الساحرة التي تبدأ بالكوة وتنتهي مع كتب أخرى فوق رفّ ما. قبل بضعة أسابيع وفي يوم كئيب ومظلم كنتُ في طريقي للخروج من المكتبة، حين دخل رجل يحمل رزمة كتب واتّجه نحو الماكينة، تسارعت دقاتُ قلبي وأحسستُ بنشوةٍ لا توصف وأنا أقفُ خلفه، أراقبه وهو يطلق كتبَه عبر الكوة، ثم أتابعها وهي تمضي بأناةٍ نحو الصناديق، لم يستغرق ذلك سوى بضع ثوانٍ ثم استدار وخرج، وقبل أن أستدير أنا أيضاً اكتشفتُ وجود إحدى موظفات المكتبة خلف الجدار الزجاجي، سألتني وهي تبتسم:

- أين الكتب التي ستعيدها؟

- لا كتب لديّ، يعجبني فقط أن أراقبها وهي تتحرك فوق الحزام.

ولا أدري لماذا أضفتُ بيننا واصلت هي التحديق في وجهي:

- حتى صرتُ أحلمُ بالتحول إلى كتاب لأقفز بخفةٍ إلى أحد الصناديق.

- ومَن قال إنك لا تستطيع أن تتحول إلى كتاب؟

أشارت إلى بابٍ يقع في الجانب البعيد من القاعة واستطردت:

- افتح ذلك الباب، ستجد غرفةً صغيرةً مظلمةً، اختبئ فيها ولا تُصدر صوتاً، في الصباح ستكتشف أنك قد تحولت إلى كتاب، نعم كتاب، أليس كل إنسان في حقيقة أمره كتاباً؟

اعتقدتُ أنها مجنونة أو أنها تمزح، نظرتُ بإمعان إلى وجهها الذي غمرته التجاعيد، وإلى عينيها الصغيرتين اللامعتين، وإلى شعرها الأبيض وقلتُ:

- ولكن ما هي مواصفات الكتاب الذي سأتحولُ إليه؟ هل سيكون قديماً أم جديداً؟ مجلداً ضخماً أم كرّاساً ببضع صفحات، بأي لغةٍ ساكون؟ لغتي هي العربية، أتحدثُ وأفكّرُ وأكتبُ بها، فهل سأتحول إلى كتاب عربي؟ من سيقرؤني هنا إذا فعلتُ ذلك؟

- المهم أنك ستتحول إلى كتاب، تلك هي أمنيتك، أما الأشياء الأخرى فلا أهمية لها، حقّق حلمك حسب.

أضافت وهي ترفع صندوقاً عن الأرض:

- جرّب فقط، ماذا ستخسر؟ ما قلتُه لك سرٌّ لم أبح به لأحد، قررتُ ذلك لأنك مولعٌ بالكتب، أراقبك منذ وقتٍ طويل حين تقف أمام الماكينة وتلاحظ كيف تعمل، عليك فقط أن تكون حذراً، لا تدع أحداً يراك وأنت تدخل الغرفة.

سرتُ وأنا أتلفتُ إلى حيث أشارت المرأة، فتحتُ الباب ودخلتُ، لم أرَ سوى أريكةٍ متهالكة، جلستُ فوقها وبدأتُ أفكّرُ: هل سأبقى وحيداً أم أن هناك من سيحضر ليخبرني كيف أتحولُ إلى كتاب؟ فكّرتُ أيضاً أن ما يحدث هو مقلب دبّرته المرأة، ستفتحُ الباب ومعها أشخاص آخرون، ستهتف وهي تضحك: - انظروا إلى هذا المجنون، يريد أن يغادر عالمنا ليصبح كتاباً.

ثم تطردني من المكتبة. بعد بضع دقائق شعرتُ بالنعاس فاغمضتُ عينيّ ونمتُ، حين استيقظتُ بعد أحلام غامضة بدت كأنها بلا نهاية وجدتُ نفسي أقف فوق أحد الرفوف بين كتابين، كان غلافي مجعّداً بحافاتٍ ممزّقة وكانت أوراقي صفراً، عليها شخابيط وبقع وآثار أصابع، أصدر الكتابُ الذي يقف إلى يميني تنهيدةً ولكزني، قلتُ بصوتٍ متهدج:

- أين أنا؟ ماذا حدث لجسدي؟

ردَّ من دون أن ينظر إليّ:

- وماذا سيحدث لطبعةٍ من كتاب قديم، لا أحد يريدها الآن؟

- لكنّني لستُ كتاباً، أنا رجلٌ كان لديَّ حلمٌ، أن أتحول إلى كتاب.

ثم رويتُ ما حدث حتى لحظة استيقاظي وأردفتُ:

- لا أدري، هل سأظلُّ هكذا، أم سأعود إلى ما كنتُ عليه؟

نظرتُ من حولي، رأيتُ كتباً كثيرةً على الرفوف التي تواجه الرف الذي أقفُ فوقه تنظر إليّ باستغراب، قال الكتابُ الذي يقفُ إلى يساري ويشبه غلافه الأمامي وجهاً مصاباً بالجُدَريّ:

- كان عليك أن تتحول إلى كتاب عن نجم رياضي أو مغنٍّ أو إلى روايةٍ بوليسية أو قصةٍ مصورةٍ للأطفال.

أردف كتابٌ كبيرٌ ألصقت جوانب غلافه بشريطٍ عريضٍ بنّي اللون:

- تلك هي الكتب التي لا يُكف القرّاء عن استعارتها.

وقال كتابٌ آخر ظلَّ ينتفض طوال الوقت ليزيح البراغيثَ التي كانت تختبئ بين صفحاته:

- كنتُ ستتمتّع بالخروج من السجن الذي حُكم علينا بالبقاء فيه، وتنزلق فوق الحزام السحري مرةً أو مرتين أسبوعياً.

استمرت الحواراتُ بيننا بعد ذلك، سمعتُ كلاماً كثيراً، بعضه منطقي وذو معنى، وبعضه الآخر لغوٌ أو مجرد كلمات تذهب مع الريح، لم يكن لدينا ما نفعله سوى الكلام، يعيدُ كل منا ما يوجد على صفحاته من كلماتٍ وجمل، أدركتُ آنذاك أن الكتب فيها أفكار ورؤى لكنها لا تفكر، إنها مخلوقاتٌ محددةٌ بصفحاتها، كما أنها تشبه البشر في أشياء كثيرة فبينها حكماء وحمقى وأشرار وأدعياء.

ثم فُتح الباب بعد وقتٍ لا أعرف أكان طويلاً أم قصيراً، ودخل أربعة أشخاص يرتدون ملابس بيضاء فضفاضة ويضعون على وجوههم أقنعةً، لا تظهر منها سوى أعينهم، بدؤوا برفع الكتب عن الرفوف ووضعها في صندوق كبير يشبه التابوت، التقطتني إحدى الأيدي وخاطبني صوتٌ يشبه صوت المرأة التي جعلتني أتحوّل إلى كتاب:

- يا للأسى، لن تستطيع البقاء على هذا الرف إلى الأبد.

ثم وضعتني بين كتب أخرى داخل الصندوق الذي تداخلت الآهات والتنهدات بالبكاء والصراخ في ظلامه.

قال كتابٌ فيه مختارات من قصص خورخي لويس بورخيس:

- سيتخلصون منا، سيُلقون بنا في حاويات القمامة.

وقال كتابٌ آخر بلا غلافٍ يضم شرحاً لكتاب التاو:

- بل سيُلقون بنا إلى موقعٍ كبير، فتتحول أفكارنا إلى رمادٍ ودخان.

وغمغم مجلدٌ يحتوي على ترجمة سويدية لكتاب الموتى المصري:

- أو ربما سيقطعون صفحاتنا إلى شرائط ومزقٍ، ويصنعون منها ورقاً جديداً.

لكن كتاب فن الحب لأوفيد قال وهو يمسح عينيه الدامعتين:

- سيحولوننا إلى كتبٍ رقمية، ستتحول صفحاتنا إلى إشاراتٍ وأرقام ورموز، سنصبحُ بلا أجساد، بلا ورق، بلا كتابة، سنتحولُ إلى أشباحٍ نُقرأ ونُرى، ولكن لا وجود لنا.

* أسبو/فنلندا، العراق

شذرات

ليلٌ متّهمٌ بالخيال

ڤينسنْت: ليليّةٌ ذهبيّةٌ وسوداء: سقوطُ نيزك (زيت على قماش، 1872-1877).

أوس حاتم*

تأمّل ليلاً؛ فأُضيفَتْ للخيالِ باحةٌ جديدةٌ.

■■■

انطقْ ولو كلمةً لتنقذَ أعماقَك من الانفجار.

■■■

يعاسيبُ اللغةِ تنسابُ من كيانٍ يجهلُ ماهيّتَهُ.

■■■

كانَ يحمّلُ الليلَ تُهمةَ الخيال.

■■■

حينما يدخلُ الخيالُ الذهنَ؛ يستحيلُ لغةً.

■■■

أعطِ الورْدةَ ذهناً؛ ليضطربَ مفهومِ الجمال.

■■■

في الجهةِ الأخرى من الليل؛ يقطنُ ليلٌ آخر.

■■■

لكلِ شخصٍ طريقتُه في قطفِ الورود؛ حتى لو كان يفتقدُها.

■■■

لا تكترثْ للأفكارِ أيها الذهنُ؛ يقولُ الفراغُ.

■■■

كلُ شيءٍ هنا يُصغي إلى المجاز.

■■■

من ثقبٍ في خاصرةِ الليل؛ أرى العالم.

■■■

لم يكنْ يدري بأنّ الليلَ ذاكرةٌ يحفظُ بها غرقاه.

■■■

الليلُ والوردةُ، كلاهما يظنُّ بأنّ ذاكرتي مرآةٌ.

■■■

اللغةُ إرضاءٌ للشّعر، والشعرُ إرضاءٌ للخيالْ.

■■■

اثقبْ ليلَك؛ ليتلطّخَ نهارُك بالمجاز.

* اللاذقيّة

تاريخ

كريم جمال يقتفي أثر «أمّ كلثوم وسنوات المجهود الحربيّ»

خليل صويلح

يهدينا كريم جمال في كتابه «أمّ كلثوم وسنوات المجهود الحربي» (مكتبة تنمية ـ القاهرة) أرشيفاً ضخماً عن الفترة التي وضعت أم كلثوم في مهبّ العمل الوطني، قبيل وبعد هزيمة حزيران (يونيو) 1967 التي انتهت بإعلان جمال عبد الناصر قراره بالتنحي عن السلطة في خطابه المشهور، ورفض الشارع المصري والعربي هذا القرار، لتنتصر العاطفة على العقل، فيما ستسرف أم كلثوم في الدفاع عن السلطة من موقعها كسلطة فنية موازية، متجاهلة أسى الهزيمة وخيبة الشارع، سواء في الأغاني الحماسية أو الدعاء اليومي في الإذاعة لاستعادة الثقة بالجيش المهزوم. داخل أحد المعسكرات الحدودية، وصولاً إلى انضمامها إلى أسرته كصديقة مقرّبة من العائلة، أو أن تقابل عبد الحكيم عامر برفقة محمد حسنين هيكل للاطّلاع عن كثب على أحوال الجيش. كأنها معسكر موازٍ. فكل حفلة تقيمها، كانت بمثابة معركة نظراً إلى حال الاستنفار والجيش الجرّار الذي يرافق الحدث، في الإذاعة والصحافة، وأهاب الجمهور في المسرح. هكذا كانت تتبادل الأدوار مع عبد الناصر، فأغنيتها توازي خطابه في قوة التأثير، وكلاهما يُبث على الهواء مباشرة!

وحين مات عبد الناصر، أعلنت أم كلثوم اعتزالها الغناء، فصوتها وحده لم يعد كافياً لاجتياز الهزيمة، أو لم يعد الغناء مجدياً بغياب الملهم. ربما كان علينا أن نلتفت إلى الغناء المعادلة. خطاب ثوري بلا رصيد فعلي من جهة، وأغاني عشق وتنهّدات وارتباكات عاطفية لم تعد مقنعة من حنجرة متعبة، فكان على أم كلثوم أن تسدل الستارة على تاريخ طويل من المجد الشخصي، فالفتاة التي كانت ترتدي العقال أثناء مغادرتها قرية طماي الزهايرة، وترتجل على حمار من نجع إلى آخر، لم تتخلّ عن «ذكوريتها» فعلياً لجهة السطوة، كان ذكوريتها هذه جزء من سطوة صوتها وحضورها، إلى درجة توارت فيها الأنوثة إلى منطقة سرية مبهمة، خاصة بها وحدها، وتالياً الثأر من ذلك السجلّ القديم باستبداد مضاد يتجاوز جمال الصوت إلى السلطة المطلقة بما يوازي استبداد عبد الناصر نفسه، من موقع آخر. مواجهة رحلة «كوكب الشرق» إلى باريس والغناء في مسرح «الأولمبيا»، تنطوي على سطوة من نوع آخر، إذ يشرح ثروت عكاشة لكوكاتريكس مدير المسرح الفرنسي أهمية أم كلثوم: «إنها مطربة عظيمة... إنها من نسل النبي محمد، وتغني أول خميس من كل شهر، وإن العرب يحجزون تذاكر حفلاتها قبل موعدها بسنتين، فالمسلمون يذهبون للحج إلى مكة، ويأتون إلى سماع أم كلثوم في القاهرة». هنا تتجاوز الصورة الإطار الضيّق نحو فضاء روحاني يضع صاحبته في مقام القدّيسين، ما يذهل كوكاتريكس ويجعله يوافق على الشروط الصارمة لهذه المغنّية التي سيثبته الفرنسيون بعد سماع صوتها، بصوت أديث بياف. هنا ستكتمل عمارة الأسطورة، بزحف الآلاف إلى شباك التذاكر بقوة الحنين إلى هذه المعجزة، حتى إنّ أحد المعجبين صعد إلى الخشبة وقبّل قدميها، ما أدى إلى وقوع أم كلثوم على الأرض، وتدخّل البوليس لإبعاد هذا المجنون. لم تكن حفلة غنائية إذاً، بقدر ما كانت خطاباً سياسياً مضاداً للحضور الصهيوني في فرنسا، وتصحيحاً لصورة العرب ما بعد الهزيمة.

وعلى المقلب الآخر أفردت الصحف المصرية عشرات المقالات التمجيدية عن تلك الرحلة التاريخية لسفيرة عبد الناصر إلى العالم، ونجاحها في تظهير صورة جديدة عن بلادها. في المغرب، سيتكرر المشهد بالعنف البصري نفسه، سواء بزحف الحشود إلى المطار، أو الرعاية الملكية للحفلات، إلى بثّ الحفلات على هواء التلفزيون المغربي، ومنح موظفي المؤسسات الحكومية إجازة رسمية من أجل حضور الحفلة، و«محال مصفّفي الشعر فتحت أبوابها من الخامسة صباحاً حتى تنعم سيدات المغرب بلقاء أم كلثوم في أبهى حلّة، حُجزت جميع الطائرات القادمة إلى الرباط قبل الحفل بأسبوع». وسيحدث الدوي نفسه في الكويت وتونس والسودان وليبيا وبعلبك. في مطار بيروت، ستُعلن حالة الطوارئ نظراً إلى ازدحام المطار بالطائرات التي نقلت معجبي الأبقونة من كلّ أنحاء العالم العربي لحضور حفلتها في مدينة بعلبك «على طول الطريق من بيروت إلى بعلبك، نُصبت أكثر من مئتي صورة ضخمة للسيدة أم كلثوم ترحيباً بها، وكذلك وُضعت الميكروفونات حول الهياكل التاريخية حتى يتسنّى لكل لبناني لم يقدر على شراء تذكرة أن يسمع صوتها تماماً مثل من حالفهم الحظ وتمكنوا من الحصول على التذاكر». وأثناء وجودها في موسكو، بلغها نبأ موت جمال عبد الناصر عام 1970، فاعتزلت في غرفتها حتى يوم الجنازة، ثم علّقت بقولها: «لقد أصبحنا أيتاماً من بعده». هكذا عاشت مجنة قاسية لا تقل ثقلاً عن محنة الهزيمة، وقرّرت أن تعتزل الغناء، في صورة موازية لتنحي عبد الناصر، وسيقنعها الآخرون بخطأ قراراها كي لا ينطفئ الأمل الذي ناضل من أجله الزعيم الراحل. لعل أهمية هذا الجهد الاستقصائي تكمن في إتاحة مادة خام لكل من يسعى إلى تفكيك هذا اللغز أو اللغم، وقراءة سنوات اليأس والخذلان والحلم بمنظار سيسيولوجي في المقام الأول.

طافت بين المدن المصرية في حفلات متتالية، يعود ريعها للجيش

رواية

بسمة عبد العزيز: الفرع الذي يسقط شجرةً كاملةً

مهند عبد العظيم

في أول رواية واقعية بعد روايات عدّة تُصنّف بالسياسيّة مثل «الطابور» (دار التنوير ـ 2013)، و«هنا بدن» (دار المحروسة ـ 2018)، تعرض بسمة عبد العزيز في «أعوام التوتة» (دار المحروسة) فكرة تحرّر أبطالها من المصائر المقرّرة عليهم سلفاً. تختلف مصائر أبطال الرواية، لكن يجمعهم شيء واحد هو التحرر. تبدأ الرواية بسرد أحداث خادمة تُسمى «ناجحة» هي بطلة العمل التي تدور بقية الشخصيات حولها. كان كل من حولها فقط رواية قائمة على فكرة الخيال، بل تشتبك مع الواقع. تعرض صاحبة «الطابور» تفاصيل الملابس التي يرتديها كل الأشخاص المذكورين أو طريقة تعاملهم مع «ناجحة» الخادمة، كأنها مرآة تعكس لنا كيف يفكر من حولها بها، كأن المرآة وظيفتها التحليل النفسي للأشخاص. لكنّ دورها لا ينحصر في ذلك، إذ إنّها أيضاً تدفعهم للتحرّر خلال عملية تحررها. يراها الجميع بطلةً ويحسدونها لأنها انفكّت من قبضة المرأة التي تعمل عندها، كأنّها بما فعلته تضعهم أمام رغباتهم في التحرر أيضاً. منهم من يريد أن يتحرر من المكانة الاجتماعية التي ولد فيها، ومنهم من يريد أن يترك عمله ليشعر بالتحرر. وهناك من يريد أن يتحرر من سلطة الأبوّة، ومن يريد أن يتحرر من سلطة الأمومة. كأن كل مصائر الأبطال تريد أن تتحرر من سلطة لا تظهر لمن يقرأ الآلية التي تعمل بها، لكنها حاضرة. لكنّ مصير «ناجحة» يشبه رحلة بطل فيلم «أبيض» للمخرج البولندي كريستوف كيسلوفسكي (1941-1996). كلاهما يتحرر عن طريق واحد هو الحب، لكن في الرحلة نفسها ثمة تشابهات. كلاهما لا يعثر على اللغة المناسبة التي تساعده في الإعلان عن نفسه.

يبدأ تحرر بطل كيسلوفسكي عندما يبدأ يحبّ نفسه بعد خروجه من علاقة عاطفية فاشلة. أما بالنسبة إلى «ناجحة»، فلم تزِ التحرّر إلا عبر عينَي حبيبها. الحب كان عاملاً مشتركاً لفكرة التحرر بالنسبة إلى الاثنين، لكن في نهاية قصة فيلم كيسلوفسكي، في المسافة الثالثة، أمام المرايا، وهو الذي كما سبق وذكرنا يحاول، ومحاولاته هنا مرتبطة بكل ما يقلق المثقّف الحقيقي، حامل الهموم الحقيقية، فتكون البلاد والنفس وخباياها مواضيع لمرايا، وهنا لا بدّ من إيراد ما لا يدهشنا، لأنك حين تقرأ للرفاعي لن تستغرب بحثه الدائم، لكن ليؤكّد شكوكك، وشكوكه حين يقول: «بحرٌ يفتّش عن مداهُ/ صوتٌ يفتّش عن صداهُ/ كلُّ يفتّش عن أناهُ/ وأنا أفتّش مثلَ دوريٍّ عجوزٍ عن إله». يؤكّد لك هذا المثقّف بأنّ الرفض إنجيله، على حدّ قول أدونيس. فتأتي قصيدة الـ«تهويمة» لتؤكّد اعترافه بأنه ما زال فتى يبحث، رافضاً «اليقين» المتوارث: «سيمرُّ كونٌ فوضويٌّ في مخيّلة الفتى فتُشيرُ لي: رتّبهُ... إزرعْ موجَتين بجانبِ البئرِ القديمةِ/ ضعْ قليلاً من بُذورِ الشكِّ في خلدِ السؤالِ/ وعلّقِ القمرَ الشريدَ على جدارِ الـ(ما يُرام)».

في مسافة «فوضى» التي يبدو بأنها كُتبت في زمن ثورة تشرين، تقرأ الكثير مما تخلّته فوضى لكنها الفوضى المنظّمة من قِبَل شاعرنا، والفوضى التي نظّمها مَن تمّت الثورة ضدّهم، حتى استوعبوها ورَوّضوها. ولعلّ أبرز النصوص توهّجاً في ديوانه هو الـ «لا» وطن ومنه هذا المقطع: «مرَّ الجياعُ على الجياعِ إلى الجياعِ/ ليَنهشوا ما قد تبقّى فوقَ صدرِ الأرضِ من عُشبٍ وماءٍ/ جلسَ الطُّغاةُ مع الطُّغاةِ تصافحوا وتصالحوا/ هذي بلادٌ من بغاءٍ/ هذي بلادٌ من كراماتٍ تُباعُ/ وطنٌ تحاصرهُ الضَّباعُ/ .../ ماذا إذنْ؟/ ما أوحَشَ المكانَ/ ما أرخصَ الإنسانْ».

تتوالى المسافات، «إلى الطفّ»، «قبل أن يأتي النهر»، «نقرٌ سريع على سقف البال»، فتكون النقرات التسع عميقة تؤكّد محاولة الشاعر القلقة للوصول إلى ما لم يعرفه ولم نعرفه، على الأسلوب نفسه، والمواضيع الملتزمة نفسها، وينهي ديوانه بالمسافة الأخيرة «خطوة أخيرة، وما قبلها»، وتكون القصيدة الأخيرة في هذه المسافة «مَن يغلق الآنَ هذا القلقَ» تتويجاً لمحاولة الشاعر الجديدة في ديوانه، ليحمّلها عُصارة ما وصلت إليه تجربته، ويؤكّد على قلقه الذي لا يعرف له نهاية: «كنصفِ إلهٍ يوصِّدُ نصفَ الوجودِ ويشدو: تباركتِ اللحظةُ الزائلةُ/ أوصِّدُ، حينَ أحاولُ إنهاء هذي القصيدة، صمتي/ وصوتاً غريباً/ فمن يُغلِقُ الآن هذا القلقَ؟».

وقبل الختام، لا بدّ من الرجوع لصاحب الجائزة التي فاز فيها الديوان، أنطون سعاده الذي قال «الأدب هو حصول ثورة روحية مادية، اجتماعية، سياسية، تغيّر حياة شعب بأسره». أما الختام هنا، فسيكون بمقطع صغير من ديوان الشاعر، فيه دعوة لعدم الاستسلام مهما توالت الخيبات في بلادنا: «وإذا فقدتَ الدربَ يوماً/ لا تُفكّرْ بالوراءْ/ فلا دروبَ إلى الوراءْ/ كُنِ الأمامْ».

من ملامح الرواية ارتباط التحرر بشعور الحب

شعر

علي الرفاعي على قلق

منير الحايك

يقول جاكوبسون «إن الموضوع الرئيسي للشعرية هو تمايز الفنّ اللغويّ واختلافه عن غيره من الفنون الأخرى، وعمّا سواه من السلوك القولي، وهذا ما يجعلها مؤهّلة لموضوع الصدارة في الدراسات الأدبية». ونحن عندما نقرأ الشعر، نبحث عن الجديد، عن الدهشة والمُدهِش، عن التمايز، لغةً وسلوكاً قولياً كما يقول جاكوبسون، ولكن أيضاً نبحث عن التأثير بنا نحن المتلقّين.

وديوان «من مسافة صفر – محاولة أخرى» (دار فكر . فائز بجائزة أنطون سعادة الأدبية بدورتها الأولى 2022) للشاعر اللبناني علي الرفاعي حمل ذلك الجديد، والكثير من المدهش. لكن الأهمّ، بالنسبة إلى المتلقّي العادي في زمن يفقد الشعر دوره ومكانته، أنّه حمل تأثيراً كان له الدور الأبرز، جعل الديوان قطعةً «شعرية» تحتاجها في زمن الشحّ الثقافي والفكريّ والشعريّ. علي الرفاعي، ثائر بطبعه، رافضٌ للتقليد الأعمى والولاية المطلقة والسنن المفروضة، طامحٌ ببلادٍ تحتويه ومن معه من حاملي همومها، الثقافية والاجتماعية والفنية، والسياسية والاقتصادية بطبيعة الحال، وقد كان الشعر مساحته الخاصة للتعبير عن ذلك الهمّ.

قسّم الشاعر ديوانه بحسب موضوعات قصائده: «من مسافة صفر إليها» و«من مسافة صفر جنوباً»، و«من مسافة صفر أمام المرايا» وصولاً إلى «من مسافة صفر خطوة أخيرة وما قبلها»، لكنه عندما اختار العنوان الفرعيّ للديوان ككلّ، لم يختزّ واحداً من تلك العناوين. بل اختار «محاولة أخرى»، وهنا مكمن الجدية التي تميّز بها الشاعر الشابّ، وهي اعترافه بأنه ما زال يحاول، ولم يدّع الوصول إلى أسلوب جديد أو ابتكار من ناحية الشعرية، لغةً وتمايزاً وأسلوباً قولياً. تقسيم المسافات لم يكن عبثياً، فهو يبدأه بمسافة الصفر بينه وبين الحبيبة.

تبدأ بالقراءة لتبحث عن الجديد، فتقرأ ما تظنّه عادياً بإعادة فكرة «حافية القدمين». يقول: «وحين عبرتِ – حافيةً – زجاجَ الخافقِ المكسورِ/ راقصةً على إيقاع موتٍ ما/ تُرى، أوذيتِ؟ هل علقت شظايا القلب في قدميك؟ هل أعيدَتك بي مزّقي؟ إذاً عذراً»، لتجدَ نفسك فعلاً أمام «محاولة أخرى» تأتي بالجديد المبنيّ على فكرة معروفة، فتعترف له به بوصفه جديداً حين تردّد مع الجاحظ «الأسلوب هو الرجُل».

في المسافة الثانية، جنوباً، لا يفاجئك العنوان، من شاعر همّ الوطن عنده من الأولويات، فتتجه وإياه جنوباً باحثاً عن الجديد، تقصدكَ القصيدة الأولى، بأنها قصيدة على الوزن العموديّ التقليديّ، على البحر البسيط، اختار أن تكون على قافية رويّها الحاء المكسورة، وهو رويّ ليس بالسهل، فتسأل نفسك: التقليدُ هو محاولة جديدة؟ تتبحّر في النصّ، فتجد نفسك أمام الشاعر نفسه بأفكاره نفسها، وهنا تفهم لماذا أرادَ ذلك. لقد أراد أن يثبت، في زمن ازدحم فيه القاعُ بمدّعي كتابة الشعر، الذين يدّعون، إلى جانب ادعائهم بأنّ ما يصفّونه من كلام إلى جانب آخر شعراً، بأنهم لا يكتبون الشعر العموديّ إيماناً منهم بضرورة الحداثة، وهم في الحقيقة لا يفقهون من موسيقى الشعر العربيّ العريقة شيئاً، ليأتي ردّ الرفاعي، محاولتي الجديدة هنا هي التقليد المفقود في زمنٍ فُقد فيه الكثير من الأصالة والتجذّر والارتباط بتاريخ بلادنا.

قلقُ الذات الحائرة يظهر لدى الشاعر في المسافة الثالثة، أمام المرايا، وهو الذي كما سبق وذكرنا يحاول، ومحاولاته هنا مرتبطة بكل ما يقلق المثقّف الحقيقيّ، حامل الهموم الحقيقية، فتكون البلاد والنفس وخباياها مواضيع لمرايا، وهنا لا بدّ من إيراد ما لا يدهشنا، لأنك حين تقرأ للرفاعي لن تستغرب بحثه الدائم، لكن ليؤكّد شكوكك، وشكوكه حين يقول: «بحرٌ يفتّش عن مداهُ/ صوتٌ يفتّش عن صداهُ/ كلُّ يفتّش عن أناهُ/ وأنا أفتّش مثلَ دوريٍّ عجوزٍ عن إله». يؤكّد لك هذا المثقّف بأنّ الرفض إنجيله، على حدّ قول أدونيس. فتأتي قصيدة الـ«تهويمة» لتؤكّد اعترافه بأنه ما زال فتى يبحث، رافضاً «اليقين» المتوارث: «سيمرُّ كونٌ فوضويٌّ في مخيّلة الفتى فتُشيرُ لي: رتّبهُ... إزرعْ موجَتين بجانبِ البئرِ القديمةِ/ ضعْ قليلاً من بُذورِ الشكِّ في خلدِ السؤالِ/ وعلّقِ القمرَ الشريدَ على جدارِ الـ(ما يُرام)».

في مسافة «فوضى» التي يبدو بأنها كُتبت في زمن ثورة تشرين، تقرأ الكثير مما تخلّته فوضى لكنها الفوضى المنظّمة من قِبَل شاعرنا، والفوضى التي نظّمها مَن تمّت الثورة ضدّهم، حتى استوعبوها ورَوّضوها. ولعلّ أبرز النصوص توهّجاً في ديوانه هو الـ «لا» وطن ومنه هذا المقطع: «مرَّ الجياعُ على الجياعِ إلى الجياعِ/ ليَنهشوا ما قد تبقّى فوقَ صدرِ الأرضِ من عُشبٍ وماءٍ/ جلسَ الطُّغاةُ مع الطُّغاةِ تصافحوا وتصالحوا/ هذي بلادٌ من بغاءٍ/ هذي بلادٌ من كراماتٍ تُباعُ/ وطنٌ تحاصرهُ الضَّباعُ/ .../ ماذا إذنْ؟/ ما أوحَشَ المكانَ/ ما أرخصَ الإنسانْ».

تتوالى المسافات، «إلى الطفّ»، «قبل أن يأتي النهر»، «نقرٌ سريع على سقف البال»، فتكون النقرات التسع عميقة تؤكّد محاولة الشاعر القلقة للوصول إلى ما لم يعرفه ولم نعرفه، على الأسلوب نفسه، والمواضيع الملتزمة نفسها، وينهي ديوانه بالمسافة الأخيرة «خطوة أخيرة، وما قبلها»، وتكون القصيدة الأخيرة في هذه المسافة «مَن يغلق الآنَ هذا القلقَ» تتويجاً لمحاولة الشاعر الجديدة في ديوانه، ليحمّلها عُصارة ما وصلت إليه تجربته، ويؤكّد على قلقه الذي لا يعرف له نهاية: «كنصفِ إلهٍ يوصِّدُ نصفَ الوجودِ ويشدو: تباركتِ اللحظةُ الزائلةُ/ أوصِّدُ، حينَ أحاولُ إنهاء هذي القصيدة، صمتي/ وصوتاً غريباً/ فمن يُغلِقُ الآن هذا القلقَ؟».

وقبل الختام، لا بدّ من الرجوع لصاحب الجائزة التي فاز فيها الديوان، أنطون سعاده الذي قال «الأدب هو حصول ثورة روحية مادية، اجتماعية، سياسية، تغيّر حياة شعب بأسره». أما الختام هنا، فسيكون بمقطع صغير من ديوان الشاعر، فيه دعوة لعدم الاستسلام مهما توالت الخيبات في بلادنا: «وإذا فقدتَ الدربَ يوماً/ لا تُفكّرْ بالوراءْ/ فلا دروبَ إلى الوراءْ/ كُنِ الأمامْ».

فاز الديوان بجائزة أنطون سعادة الأدبية

لمحات

عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني

في «إشكاليات تأريخ الأدب العربي: دراسة نقدية في فلسفة الأدب وتاريخه» (مركز دراسات الوحدة العربية)، اهتم الباحث العُماني عيسى بن سعيد بن عيسى الحوقاني بدراسة إشكاليّات تأريخ الأدب العربيّ، إذ يتناول قضايا النشأة والمفهوم، ويكشف عن حظّ الأدب العربيّ من التأريخ في كتب التراث العربيّ، وجهود كلٍّ من العرب والمستشرقين في تأريخ الأدب العربيّ، وهو يدرس المنطلقات الفلسفيّة والأسس النظريّة التي يقوم عليها تاريخ الأدب. يكشف الكتاب عن ست نظريّات فلسفيّة اتّكأت عليها مناهج تأريخ الأدب العربيّ ويتناول الإشكاليّات المتعلّقة بمناهج التاريخ الأدبيّ، كإشكاليّات التقسيم الزمنيّ وإشكاليّات التقسيم الفنيّ كما إشكاليّات التقسيم الإقليميّ. ويولي الكتاب عناية بالإشكاليّات المتعلّقة بأطراف الخطاب: مؤرّخ الأدب، والمادة المؤرّخة، والمتلقّي.

بسمة بن سليمان

تناقش روايةَ «للحب مجيء ثان» (دار خريّف للنشر) للكاتبة التونسية بسمة بن سليمان فكرة البحث عن الهويّة، وتطرح أسئلة لا تموت عن ثنائيات الظلم والمعرفة والجهل. تسعى المؤلفة لتحويل الكتابة إلى فعل مقاومة، والمقاومة هنا ليست بالضرورة مقاومة معنوية ومادية، بل مقاومة للشكل التقليدي لكتابة الرواية، ومقاومة للجمود الفكري ولنخبوية حصرت الدراسات ومواضيع الجسد والهوية والبحث عن الذات في بوتقة فلسفية. تحتفي رواية «للحب مجيء ثان» بالحياة، فكل أبطالها مهما اختلفت مشاربهم وثقافاتهم ولهجاتهم ومستوياتهم الدراسية وطبقاتهم الاجتماعية، التقوا في بحثهم عن هوّيتهم، والتقوا في النهاية عند نقطة جامعة. المفارقة هنا أن هذه النقطة الجامعة كانت الموت. لكن حتى الموت جعلت منه الكاتبة مبعثاً للحياة ومفتاحاً لفرصة ثانية، إذ مات البطل جابر ليحيا بقية الأبطال، وليحيا الوطن.

جويل غورون

تُقدّم الكاتبة والمخرجة والممثلة الفرنسية جويل غورون في كتابها «أهلاً بالعمر الجميل» (2021) الصادر أخيراً عن «دار الساقي» بترجمة أنطوان سركيس، معلومات ونصائح وفكاهات كل امرأة بلغت منتصف العمر لتفخر بنفسها وتستقبل النصف الثاني من حياةٍ جميلة تنتظرها بكل سعادة. تريد الكاتبة من كل امرأة أن تشعر بأنّها جذابة ومدهشة ومنتجة حتى لو تجاوزت الخمسين والستين من العمر. لذا تقدم للنساء هذا الكتاب «الدليل المليء» بمعلومات ونصائح قيّمة وقصص مسلّية. تناقش جويل غورون في هذا الكتاب مواضيع مختلفة تهمّ كل النساء بأسلوب مشوق وملمي، بحس الدعابة كالحبّ، الجنس، الاكتئاب، المظهر الخارجي، الزواج الثاني، الصحة، الصديقات والأولاد. كما تشارك الكاتبة تجاربها الشخصية مع القراء، لكي تزيل عنهم القلق وإحساس الرعب من التقدم في السّن.

باسم خندقجي

تنقلنا رواية «قناع بلون السماء» (دار الآداب) للكاتب والأسير الفلسطيني باسم خندقجي من شوارع مخيم رام الله وأزقّته إلى مدينة القدس. تحكي الرواية قصة عالم آثار يُدعى نور يجد بالمصادفة بطاقة هوية لشاب يهودي يُدعى أور شابيرا في جيب معطف اشتراه من سوق العتق في مدينة يافا المحتلة. يقرر نور انتحال شخصية أور شابيرا للدخول إلى مدينة القدس بهدف كتابة رواية عن مريم المجدلية التي تؤرخ سيرتها لسيرة فلسطين كلها. تضع هذه المغامرة نور أمام أسئلة وجوديّة عن معنى الهوية الفلسطينية، والواجب تجاه الأسرى وعائلاتهم والموقف من المحرقة ومن أحقية سردية الفلسطيني المهمّشة في مقابل تضخيم الرواية الصهيونية لتشريع سلب حق الفلسطيني في أرضه. تتصاعد الرواية حتى لحظة الكشف عن الآثار التي تخبئها «أرض مجدو» التي أصبحت مستعمرة إسرائيلية لتتراءى للعيان صدقية ودقّة الرواية الفلسطينية في مقابل هشاشة وكذب السرديات الصهيونية.

جميل عطية إبراهيم

يحكي «صك المؤامرة» (دار الكرمة) للكاتب المصري جميل عطية إبراهيم قصة وعد بلفور (1917) من وجهة نظر ممثلين سياسيين لأطراف المتعددين. يروي الكاتب قصة صدور هذا الوعد الذي منحت بموجبه بريطانيا حقاً لليهود في تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، وينقل شهادة آرثر مكماهون المعتمد البريطاني في القاهرة الذي أعدّ الساحة العربية لكي تُنفذ فيها خطة التقسيم الاستعمارية. كما تولى عملية خداع الشريف حسين قائد الثورة العربية من خلال وعود كاذبة بإنشاء دولة عربية قومية واحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية. ينقل الكاتب شهادة الوزير البريطاني اليهودي مونتاجو الذي عارض إقامة دولة صهيونية في فلسطين. الشهادة الثالثة هي شهادة حاييم وايزمن الذي كذب وخادع وراوغ لتحقيق أهدافه. أما شهادة الشريف حسين فتُظهر كيف وقع في الفخ الذي نصبه له مكماهون. وأخيراً الشهادة الخامسة هي لفلسطين التي كانت الضحية الأولى لوعد بلفور.

فوزية بنت سيف الفهدي

يضيء كتاب «صانع الكلام: بحث في السيرة الأدبية لابن رشيق» (دار الرافدين بالاشتراك مع «الجمعية العُمانية للكتّاب والأدباء») للباحثة العُمانية فوزية بنت سيف الفهدي على سيرة الشاعر والأديب والناقد القيرواني أبي علي الحسن بن رشيق (999 - 1070م).

ولد الأخير الذي عاش في القرنين الرابع والخامس الهجريين، في مدينة المسيلة في المغرب العربي ونشأ فيها وتعلم هناك، ثم ارتحل إلى القيروان واشتهر فيها ومدح صاحبها واتصل بخدمته. وقد عرف اسم الشاعر ابن رشيق تداولاً كبيراً من دون أن يحظى بدراسة وافية لرؤيته في كتاباته النقدية، إذ لم يصل منها إلينا كاملاً إلّا مُؤلّف «العمدة» الذي تحدّث فيه عن صناعة الشعر من خلال التركيز على محاسنه وعلى الجوانب الفنيّة، باعتبارها محدّداً أساسياً للمفاضلة بين الشعراء، بعد تبيان الانتحالات والتكرار على مرّ التاريخ العربي.

السبت 25 شباط 2023 العدد 4858
الأخبار al-akhbar
www.al-akhbar.com
كلمات

أوراق

نقش هوبر على صخرة المكتّبة

زكريا محمد *

في رحلته الشهيرة إلى الجزيرة العربية، وفي طريقه إلى حائل، مرّ الرحّالة الفرنسي شارل هوبر على «غدير المكتّبة» وصخرته في منطقة تيماء في آذار (مارس) 1884 ووصفها لنا كما ينقل «فريق الصحراء» عنه:

«نقوش المكتّبة موجودة على الجدران الشرقية والغربية لصخرتين تمتدان من الشمال إلى الجنوب، الفاصل بينهما 30 متراً، على شكل شارع. لذلك، فإن الجدران ذات النقوش يواجه بعضُها بعضاً. تلك الموجودة في الغرب احتفظت بوضوحها بشكل أفضل من تلك التي تواجه الشرق، وهي أكثر عدداً. يقع الغدير بين الاثنين أسفل الهضبة الشرقي ويبلغ عرضه 3 أمتار وطوله حوالي 10 أمتار... تكثر رسوم الإبل بالحجم الطبيعي، حيث وجد أن بعضها يحتوي على حدبة يزيد ارتفاعها عن متر واحد فوق النقطة التي يمكن للمرء أن يصل إليها بيده، وخلص رفاقي البدو إلى أن هذه الرسومات تعود لبني هلال».

ورسم لنا هوبر حفراً على الصخرة كأنه يمثل إلهاً بقرنين، كما رسم ثلاثة نقوش حوله اعتقد في ما يبدو أنها على علاقة بهذا الإله. ويعتقد كثيرون أن هذا الإله هو الإله «صلم» الذي عرفنا عنه من مسلّة تيماء الشهيرة.

وبعد ما يقرب من 150 سنة، أعاد «فريق الصحراء» السعودي اكتشاف المشهد الذي رسمه هوبر، وصوّره مشكوراً لنا. وبذا صار بإمكاننا أن نقارن بين رسم هوبر وبين صورة النقش الأصلي. وأدناه إلى اليسار رسم هوبر وبجانبه تتبعي لصورة الإله والنقوش التي حوله.

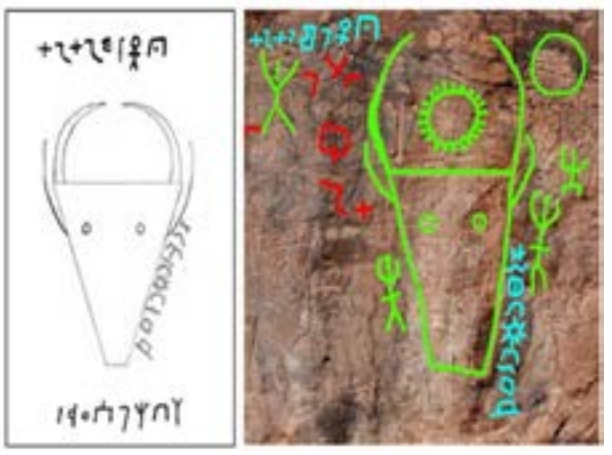

ويتضح من المقارنة بين الصورتين ثلاثة أمور:

أولاً: أن النقش الذي يظهر في أسفل وجه الإله امَّحى ولم يظهر في صورة «فريق الصحراء». لكن يمكن عبر التدقيق في صورة «فريق الصحراء» رؤية ظلال لبعض حروفه. بذا يمكن الاستنتاج أنّ النقش قد طُمس بسبب قربه من مستوى الأرض، الذي يعرّضه لتخريب الإنسان والحيوان والتعرية الطبيعية.

ثانياً: أنّ هوبر أزاح النقش في أعلى يسار الوجه قليلاً من مكانه، ووضعه فوق قرني الثور. ولسنا ندري لِمَ فعل ذلك. لكن ربما كان ذلك لضيق مساحة الورقة التي رُسم عليها لا غير.

ثالثاً: أن هوبر لم ينتبه للشمس الكبيرة بين قرني الثور. وربما حدث هذا لأن الإضاءة في وقت الرسم لم تساعده على رؤيتها.

النقوش الثلاثة

النقش الأيمن:

وهو ملتصق بصورة الثور- الإله، ومكوّن من تسعة أحرف. واحد من هذه الأحرف لم يرسمه لنا هوبر بشكل سليم. فهو في الحقيقة حرف الواو المكوّن من شبه دائرة يقطعها خط. ويُقرأ النقش كله على النحو التالي:

«زن وبش بن ود».

وبش يجب أن يُقرأ وابش. ووابش اسم شهير في الجاهلية حسب المصادر العربية. كما أن ود أيضاً اسم شهير. وقد يبدو أن هذا النقش اللصيق بالثور- الإله من توقيع حافر الوجه. إلا أنني لا أميل إلى ذلك بقوة. إذاً يبدو لي أن النقش الأسفل الذي امَّحى هو توقيع الحفّار.

النقش الأسفل:

وما دام هذا النقش قد مُحي، فلا مفر سوى الاستناد إلى رسم هوبر له.

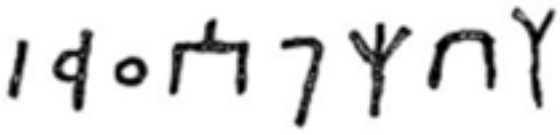

وهو يُقرأ هكذا: هـ بك لسعدن

أي: هذا البك لسعدان.

أو: البك لسعدان.

فالهاء قد تكون عديل «أل» التعريف أو اسم إشارة بمعنى: هذا. ويبدو لي أن النقش يشير إلى صورة الإله ذي القرنين على الصخرة. لكن هذا ليس مؤكداً بالطبع، إذ يمكن لكلمة «بك» أن تشير إلى النقش الذي كتبه سعدان. لكن في الحالتين، يبدو أن الكلمة تشير إلى الحفر نقشاً أو رسماً.

والحق أن هناك في القواميس ما يؤكد أن البك هو الحفر، إذ إن باك الشيء: «حفر فيهِ وَنقش... وَعين المَاء أثار ماءها بعُود وَنَحْوه ليخرج» (المعجم الوسيط). يضيف اللسان: «البَوْك تَثْويرُ الماء، وفي التهذيب: تَثْوير العين يعني عين الماء. يقال: باكَ العينَ يبُوكها. وفي الحديث: أن بعض المنافقين باكَ عَيْناً كان النبي، صلى الله عليه وسلم، وضع فيها سهماً» (لسان العرب). ثم يزيد الماتريدي: «البوك كالنقش والحفر في الشيء» (الماتريدي، تأويل أهل السنة). ويردّد هذا ابن هشام: «البوك كالنقش والحفر في الشيء» (سيرة ابن هشام).

وإذا صحّ هذا، فهو سيجبرنا على إعادة قراءة عشرات النقوش الثمودية التي ترد فيها كلمة «بك»، والتي فُهمت فيها هذه الكلمة على أنها تعني «بكَ»، أي بواسطتك. وما ساعد على هذا الفهم المشكوك فيه هو ورود كلمة «هرضو» أو «هرض» قبل كلمة «بك» في عدد كبير من النقوش التي نتحدث عنها. إذا فُهم أن هذه الكلمة مكوّنة من هاء نداء ومن اسم الإله رضو بعدها. أي «يا رضو بك كذا وكذا». غير أن نقشنا يشكك بشدة في هذا الفهم، ويطرح احتمال أن يكون «الرضو» شيئاً يحفر. ومن المحتمل أنه حفرة تجتمع فيها المياه. أو أنه هو «الروض»، وهو منخفض تتجمّع فيه المياه، وتنبت في النباتات بقوة. ولدينا نقوش تدعم هذا مثل النقش أدناه الذي يقول: «هرضو وهنفيوت لمعدو».

وواقع عطف «رضو» على «نفيوت» يشير إلى أن رضو ليس اسم إله. وربما كان طرازاً من «الروض». وأغلب الظن أن نفيوت صيغة من «النفيّة» التي يبدو أنها مكان لتجمع ماء المطر، أو آلة لسحب الماء من تجمع لماء المطر. قال الشعار الأخيل:

كأن متنيَ من النفيِّ
من طول إشرافي على الطويِّ
مواقع الطير على الصفيِّ

النقش الأعلى:

وهو النقش الأصعب من بين الثلاثة. ذلك أنه يحوي في ما يبدو كلمة «صلم» التي استند إليها للافتراض أنه الإله الشهير الذي عرفناه من مسلّة تيماء. ويبدو لي أن هوبر لم يرسم الحرفين الثالث والخامس بشكل سليم. أما الثالث فهو حرف اللام لكنه مقلوب عند هوبر، كما يتضح مقارنة برسمي له في الصورة أدناه.

لكن قلبه لا يمثل مشكلة، فهو الحرف ذاته. المشكلة تقع في الحرف الخامس. فهو نون أو أشبه بالنون عند هوبر، لكنه لام عندي.

بناءً عليه، ولو أبعدنا الحرف الأول الذي يبدو لي وجوده ملغزاً وقرأنا ما تبقّى بناءً على رسم هوبر، فسيكون النقش هكذا:

«صلم نتنت»

والجملة توحي بأن «صلم» هنا تعني: تمثال أو صورة. أي أننا لسنا مع الإله «صلم» الشهير لكن مع تمثال لإله أو إلهة يدعى/ تدعى «نتنت». لكن المشكلة أننا لا نعرف إلهاً بهذا الاسم. وهذا ما يدفعني لتجريب قراءتي للحرف الخامس على أنه لام وليس نوناً. وبناءً على هذا فالنقش يقول:

«صلم لـ تنت»

وهذا في الحقيقة مفاجئ جداً. فنحن هنا مع الإلهة الفينيقية «تانيت» في ما يبدو. فهل من المعقول أن نعثر على الإلهة تانيت الفينيقية في نقش في منطقة تيماء؟ على أي حال، هناك ما يؤيد أن الأمر يتعلق بالإلهة تانيت لا بالإله صلم. فهناك رمزان على يسار صورة الثور ذي القرنين ويمينها، لم يهتم بهما هوبر، وهما شبيهان برموز الإلهة تانيت كما رأيناها في قرطاج في شمال أفريقيا. ورمز تانيت يتكوّن من مثلث تعلوه دائرة يفصل بينهما خط مستقيم، لكي يبدو كما لو أنه رسم لبشري مؤسلب. وقد شبّه بعضهم الرمز بعلامة عنخ المصرية.

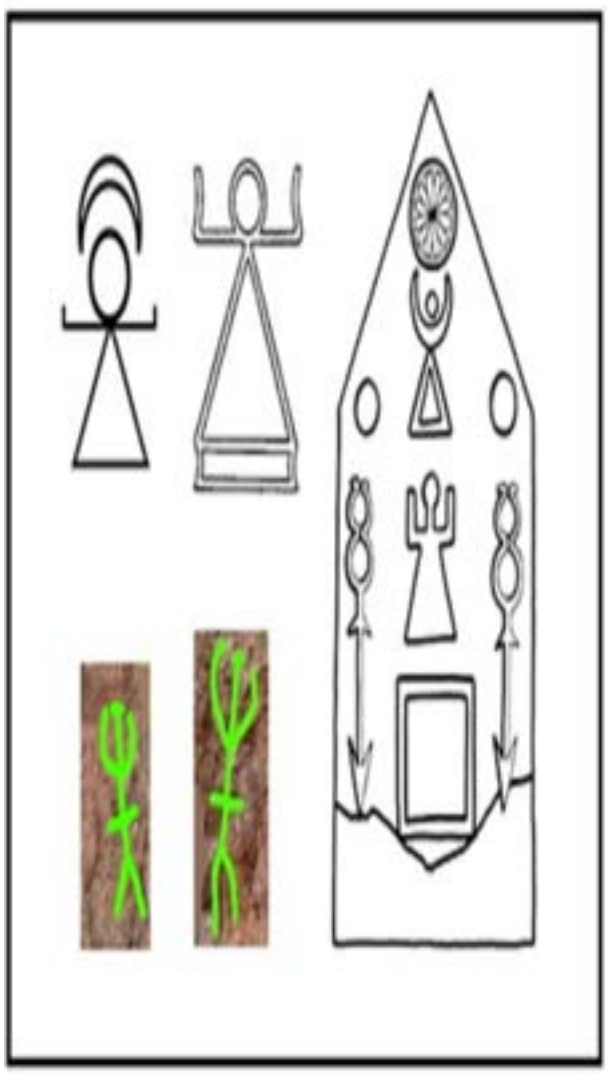

ويمكن للمرء أن يلاحظ كيف أن الرمزين بالأخضر يتكونان عملياً من مثلث غير مقفل في الأسفل ثم شبه دائرة يفصلهما عن الآخر خط أفقي. وهما يشبهان إلى حد بعيد الشكل المركزي في وسط المسلة إلى يميننا، والشكل الذي فوقه أيضاً. بل إنه يبدي شبهاً مع الرمزين يساراً ويميناً في المسلّة.

وكل هذا يدعم أننا ربما نكون مع الإلهة «تانيت». وإذا صح هذا، فإن صورة البقرة على الصخرة هي صورة الإلهة تانيت. وهو ما يعني أن الإلهة تانيت كانت تتمثل ببقرة، رغم أنه ليس لدينا تمثيلات لها بهذا الشكل.

نأتي الآن إلى الحرف الأول الذي أبعدناه مؤقتاً. وهو يشبه حرف الباء في أبجديات شمال الجزيرة العربية وجنوبها. لكن المختلف أن في حضنه نقطة. لكننا لا نستطيع التأكد مما إذا كانت هذه النقطة أصلية أو أنها ناتجة عن تلف في الحجر. وفي أي حال، كنا قد بيّنا في ورقة سابقة أن أسماء الآلهة في النقوش الثمودية يسبقها في حالات كثيرة حرف باء لكي يشير إلى أن ما بعدها يمثل اسم إله. أي أنه ليس حرفاً، وليس له قيمة صوتية، باء هو علامة تخصيص للآلهة. وقلنا إن هذا التقليد متابعة لتقليد في نقوش مقطعية جبيل حيث تكون الباء اختصاراً للاسم «بعل». لكننا نجد أن هناك نقطة داخل الباء في نقشنا ربما لتفريقها عن الباء العادية. وربما تشير كتابة الباء بهذه الطريقة إلى أن هذا النقش هو الأقدم بين نقوش الباء الزائدة. ووجود الاسم «تانيت» يدعم هذا.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 25 Fevrier 2023 no56
السبت 25 شباط 2023 العدد 56

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

أوّل الضحايا

[3 - 2]

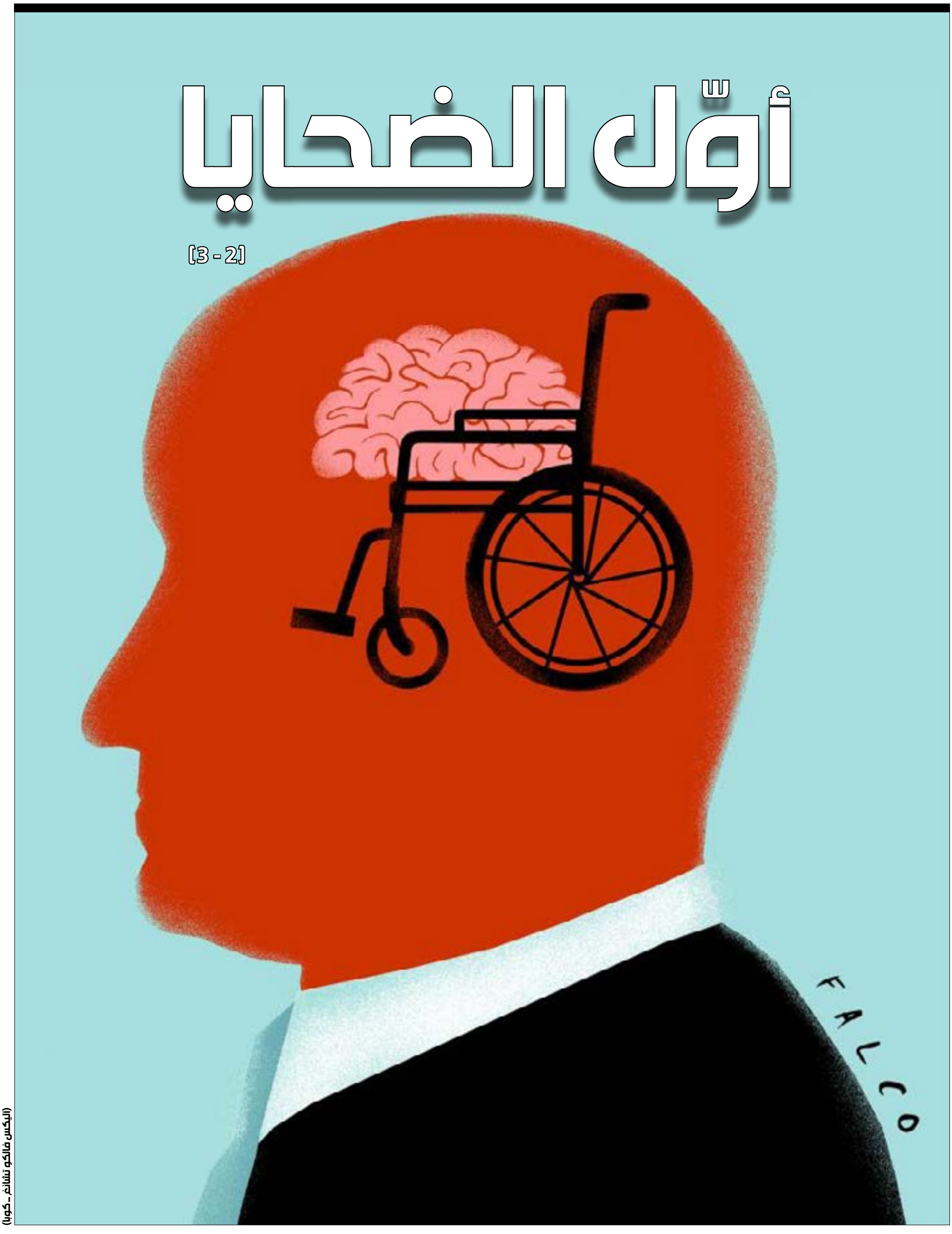

(اليكس فالكو تشانغ ـ كوبا)

في العمق

الاعتداء على ذوي الاحتياجات الإضافية يبدو وباء صامتاً يتم تجاهله، إذ يصعب كشفه في الواقع، خصوصاً إذا كان اعتداء جنسياً في مجتمع يعتبر رفع الصوت في مثل هذه الجرائم من الـ«تابوهات»، ونظرا لخصائص الأشخاص ذوي الإعاقات التي تجعلهم عرضة للاستغلال اكثر من غيرهم بسبب اضطراب في القدرات العقلية او الجسدية الذي يحول دون القدرة على منع الاعتداء او الإفصاح عنه. إضافة إلى الانتهاكات الاخرى التي تطاول جميع حقوقهم الإنسانية. نسعى في هذا الملف إلى رفع صوت من لا صوت لهم، والبحث عن خطوات لتقليك مخاطر استغلالهم ولخلق بيئة آمنة ومحترمة لهم، وللتذكير بحق الضحايا في الوصول إلى تحقيقات سرية وفي الوقت المناسب، وإلى حقهم بالمساعدة والدعم الفعّال والآمن

ذوي الاحتياجات الخاصة أوّل الضحايا

بسّام زهوة

«أخذني معه بالسيارة.. خط إيده هون.. وأنا حطيت إيدي هون.. بردّد ابني ذو الـ11 ربيعاً هذه الجُمل المتقطّعة طوال اليوم ويقوم بحركات تدل على إيحاءات جنسية، عندها أدركتُ أنه تعرّض لاعتداء جنسي»، تستذكر خديجة الحادثة التي استُغلّ فيها ابنها الذي يعاني من تأخّر عقلي من قِبل قريب يكبره بـ 15 سنة.

في تلك الأماكن التي يُفترض أنها تمثّل الأمان والطمأنينة كالبيت والمدرسة وأماكن العبادة، ومع أشخاص يجسّدون الحماية والثقة كالعائلة والأقارب والمعلّمين ورجال الدين، قد يتعرّض الأطفال ذوو الإعاقة إلى العنف الجنسي. تشير بعض الدراسات إلى أن 90% من الأشخاص الذين يعانون من إعاقات في النمو معرّضون لخطر الاعتداء الجنسي في مرحلة ما من حياتهم. قد تبدو هذه الأرقام مبالغاً فيها، إلّا أن هنالك أسباباً عديدة لارتفاعها. فمن جهة، يضطر الأشخاص ذوو الإعاقة، وبحسب احتياجاتهم، للاتكال والاعتماد دوماً على الآخرين، مما يعرّضهم أكثر للاستغلال. ومن جهة أخرى، «يستسهل» الجناة الاعتداء على الأفراد الذين لا صوت لهم. غير القادرين على الإبلاغ عن إساءة معاملتهم وتعرّضهم للاعتداء، أو حتى في حالات التبليغ قد لا يصدقهم أحد، فيمثّل الأشخاص ذوو الإعاقات العقلية في هذه الحالة «الضحية المثالية».

عدالة موجّلة

خديجة، بمساعدة المركز الخاص الذي يُعنى بطفلها، رفعت كتاباً لـوزارة الشؤون الاجتماعية للتحقيق في الحادثة. الوزارة بدورها رفعت الأمر إلى محكمة الأحداث. جرى التحقيق مع الأهل مرتين، بعدها «نام» الملف في الأدراج. في هذا الوقت، لم تغفل الأم ولا المركز عن متابعة حالة الطفل النفسية والتأهيلية إلى أن استقر وضعه وأصبح سلوكه أكثر انضباطاً. «هلّأ بعد كل هالوقت بيحكوني من المحكمة كرمال حرّك القضية؟ مش كانه بكير؟». رفضت خديجة زجّ ابنها من جديد في تفاصيل هذه الحادثة قائلة: «ما صدقت ابني تخطى الصدمة وصار شاب بيحبّني، لحتى إرجع رَجّعُه لورا وعيشُه تروما جديدة؟ أكيد لاء».

«عم نواجه مشاكل دايماً مع القضاء بتأخّره للبتّ بمثل هيدي القضايا»، تقول الأخصائية في العلاج النفسي العيادي وإدارة حالات حماية الأطفال عبير جواد، وتُضيف: «في حالات الاعتداء الجنسي للأطفال ذوي الإعاقة، فإن أي خطوة نقوم بها يجب أن يكون أساسها المصلحة الفضلى للطفل».

وحول رد فعل الأم خديجة، تشرح جواد: «في حالات الاغتصاب وأخذ القرار بالادعاء على الجاني، يؤخذ في الاعتبار العديد من المعايير لفتح القضية من جديد ومنها: حالة الطفل، ونوع التأخر العقلي لديه، ودرجه وعيه للشيء الذي تعرّض له، وإن كان ما زال يذكر تفاصيل الحادثة، أو انه ما زال على احتكاك مع الشخص المعتدي، أو يصادفه في البيئة التي يعيش فيها».

وماذا لو أصرّت خديجة على أخذ حق ابنها، ووافقت على فتح القضية من جديد؟ تُجيب جواد: «في حالات الاغتصاب وأخذ القرار بالادعاء على الجاني، يؤخذ في الاعتبار العديد من المعايير لفتح القضية من جديد ومنها: حالة الطفل، ونوع التأخر العقلي لديه، ودرجه وعيه للشيء الذي تعرّض له، وإن كان ما زال يذكر تفاصيل الحادثة، أو انه ما زال على احتكاك مع الشخص المعتدي، أو يصادفه في البيئة التي يعيش فيها».

يستسهل الجناة الاعتداء على الافراد الذين لا صوت لهم، فيمثّل الاشخاص ذوو الإعاقات العقلية في هذه الحالة الضحية المثالية

جواد: «باتي هنا دور الأخصائية النفسية للطفل ومندوبة الأحداث، بتأمين الرعاية والتأهيل للطفل قبل المحاكمة Preparation phase، وأثناءها، على أن يُشرح له -بحسب قدراته الاستيعابية- عن الأمر الذي سيواجهه.

وفي حالة التخوّف من تدهور صحة الطفل النفسية، تشرح جواد أنه «لدواع نفسية، من الممكن طلب عدم مواجهة الطفل مع المعتدي في المحكمة، وهنا ينظر قاضي الأحداث في القضية نظراً لحساسية الأمر وخطورته على صحة الطفل، وقد تقتصر مواجهة المعتدي حصراً مع الأهل. امّا الطفل فيمكن الحديث معه على انفراد مع قاضي الأحداث وبوجود مندوبة الأحداث وبعيداً من قوس المحكمة، مراعاةً للوضع».

وفي حالات أخرى، حيث يكون فيها الطفل من ذوي الإعاقة العقلية قادراً على فهم مجريات الأمور بشكل أكبر، تُضيف جواد: «من العدل والإنصاف أن يعلم هذا الطفل وغيره من الأطفال ذوي الاحتياجات الإضافية الذين تعرّضوا لأي اعتداء، أن حقّهم لن يضيع، وأن أي شخص سيقدم على أذيتهم سيعاقب، حتى ولو بعد حين».

استغلال جنسي بدل إيجار غرفة

«دق علبي جاري الدكّنجي وقال لي: عم بدقولك على رقمي من المخفر»، تقول نجوى، (57 سنة) لبنانية الجنسية، التي تسكن في غرفة تنعدم فيها مقوّمات العيش في إحدى ضواحي بيروت، تعاني من ميلان بالحوض ناجم عن قصر قدمها اليسرى الأمر الذي يمنعها من العمل. وهي تحمل بطاقة معوّق لكنها لا تجني منها شيئاً. امّا ابنها احمد (17 سنة)، فهو يحمل الجنسية السورية ويعاني من تأخّر عقلي وغير مسجّل في وزارة الشؤون الاجتماعية لأنه «أجنبي». واضطر، بعد وفاة والده قبل سنتين، إلى العمل لدفع إيجار الغرفة وتأمين قوت اليوم. كل ما كانت تعرفه نجوى أن ابنها يعمل بائعاً متجوّلاً لمصلحة شخص لديه محل تجاري قريب من المنزل. إلى أن جاءها خبر إلقاء القبض على ابنها بتهمة إقامة علاقات جنسية بما «يخالف الطبيعة» وتعاطي المخدرات. وبحسب أم احمد، اعترف الرجل (48 سنة) الذي ضُبط معه والذي هو نفسه صاحب المحل، باستغلاله لإعاقة أحمد العقلية، والاعتداء عليه جنسياً وإجباره على تعاطي المخدرات مقابل دفع إيجار الغرفة وتقديم بعض الحاجيات من طعام وشراب وأدوية. شارحاً له بأنها الطريقة الوحيدة لكسب المال السريع والوفير لإعالة أمّه. استطاعت نجوى إخراج ابنها من الحجز بوساطة أحد أقاربها، فهي لا تتحمّل الابتعاد عنه، لكنها لم تستطع حمايته من الاستغلال، تبكي وتقول: «متأكدة إنه الصبي راح خلّص، هيدا الطريق ما في منّه رجعة، لا قادرة حطّه بمركز وما عندي ولا أي معيل».

«من الضروري إنزال أشد العقوبات بالشخص المُغتصب أو المُعتدي على ذوي الإعاقة، لما يشتمل جرمه على قمة الاستغلال والّلا إنسانية» تقول جواد، «بخاصة أن المتحرّشين أو المغتصبين، يملكون الكثير من الحيل والوسائل للوصول إلى ضحاياهم، فكيف إذا كان الضحية حلقة أضعف؟».

عدم تقبّل الاهل لطفلهم المعوّق

ج. (16 سنة) طفل مُصاب بمتلازمة داون (تثلث الصبغي 21)، يسكن مع عمّته منذ كان في السادسة من العمر، بعد أن تخلّى عنه والداه إثر انفصالهما بسببه، بحسب ما تذكر العمّة، فطوال ست سنوات لم يتقبلا إنجابهما لطفل معوّق، فادارت الأم ظهرها، وتزوج الأب وأنجب أطفالاً، مكتفياً بالرعاية المادية المتواضعة لابنه، ومتجاهلاً الرعاية العاطفية والنفسية.

تقول الاختصاصية الصحيّة الاجتماعية في «مركز مُصان لذوي الاحتياجات الخاصة» وفاء أخضر «نشهد بعض الحالات حتى اليوم، حيث العائلة الكبيرة ترفض وجود شخص معوّق، مثل الخالات والعمات اللواتي يمنعن أطفالهن من اللعب أو التواصل مع قريبهم من ذوي الإعاقة». وتُضيف أنه «يُلحظ أيضاً عدم تقبّل للطفل من ذوي الإعاقة من قبل الأهل الجُدد، الذين لم يتجاوز عمر ابنهم السنتين، وما يزالون تحت تأثير الصدمة وحالة الرفض». ومن هنا تؤكد على مهمة ودور المركز الرعائي على احتضان الأهل وبخاصة الأم، «بعض الأمهات بيجوا عالمركز ومفكرين إنه ابنهم هو الوحيد يلي عنده حالة خاصة، وإنهن الوحيدات يلي عم يعانوا، وبس نشرحلهم أكتر ويكرروا زيارتهم للمركز بيصيروا يحمدوا الله بس يلاقوا حالات أصعب من ابنهم، ووقتها بيتقبّلوا».

كما تُشير أخضر إلى أن نسبة تقبّل الأمهات لأولادهن من ذوي الاحتياجات الإضافية أعلى من نسبة تقبّل الآباء. مما يشكّل ضغطاً كبيراً على الأم، ويحمّلها عبء الرعاية بمفردها.

معاناة متزايدة

في ظل الأوضاع الاقتصادية الصعبة وازدياد السرقات وحالات النشل، يُخشى على ذوي الإعاقة، كونهم أكثر عرضة للسرقات وهدفاً سهلاً للمجرمين. وهذا ما تؤكده أسماء (43 سنة) التي أصيبت بشلل نصفي جرّاء حادث، جعلها تلازم كرسيها المتحرّك منذ أكثر من 20 سنة. وبعد فقدانها الأمل بإيجاد فرصة عمل لجأت إلى النسّول المقنّع على مفترق الطرق، فهي تبيع ما تيسّر لها شراؤه «حسب ما إقدر، أوقات بشتري محارم وأوقات سكاكر، المهم بيع وطلّع قرشين لإشتري دوايي». تعرّضت أسماء للسرقة عشرات المرّات، لم تستطع خلالها أن تلحق بالسارق ولا أن تدافع عن نفسها، فالشارع «مليان وحوش، ما حدا بيساعدك ولا بيسأل عنك من دون مقابل»، وتُضيف: «لو مجمعة المصاري لسرقولي باهن كنت اشتريت كرسي على بطارية».

يفترض تشديد عقوبة الاعتداء أو الاستغلال الجنسي للأشخاص ذوي الإعاقة عندما تكون الإعاقة مانعاً للدفاع عن النفس أو مانعاً لإدراك المعوّق بحدوث الاعتداء

تضحك أسماء وتُردف قائلة بقلق: «دخيلك هلّأ إذا خبّرتوا عنّي بيفكروني ملاني مصاري ويصير فريسة إلهم»، رافضة ذكر اسمها الحقيقي وموقعها الجغرافي.

(من الويب)

سياسة حماية الطفل

تُشير أخضر لـ«القوس» إلى أنّ «أي شخص يتقدم للعمل داخل المركز، تحت أي توصيف وظيفي، عامل، أو مربٍ، او مساعد مربّي أو أي شخص يكون على علاقة مباشرة وتواصل مع الطلاب من ذوي الإعاقة، يخضع لفترة تدريب للتأكد من أهليته، مع مراقبة دورية مستمرة لعمله وسلوكياته مع الأطفال. لضمان عدم تعرّض الأطفال لأي نوع من الانتهاكات». وتُضيف: «وثيقة سياسة حماية الطفل بلي شاركنا بورش عمل ومشاورات تمهيداً لولادتها، كانت وثيقة جداً مهمة، ساعدتنا كتير في ما يختص بهذا الجانب». فوفقاً لـ«وثيقة سياسة حماية الطفل الموحّدة الخاصة بالمؤسسات والجمعيات الأهلية العاملة مع الأطفال في لبنان» التي نُشرت عام 2015، فإنّ أي فرد أو شخصية معنوية ضمن مؤسسات المجتمع المدني، يعدّ ملزماً بالتوقيع على إعلان التزام بالمبادئ الخاصة بسياسة حماية الطفل. «أعضاء الهيئة الإدارية، وكل موظف أو متطوّع أو متدرّب بالمركز، لازم يوقّع على هيدي الوثيقة»، الأمر الذي يحمّله مسؤولية الالتزام بها، والأخذ في الاعتبار أنّ أي خرق لأحد بنودها يعرّضه للمساءلة ويُتابع ملف قضيّته مع وزارة الشؤون الاجتماعية التي بدورها ستأخذ الإجراءات المناسبة بحقه.

ووفق الوثيقة نفسها، فُصلت سميرة من عملها كمساعدة مربٍ في أحد المراكز الخاصة في بيروت، بعد أن نعتت طالبة مصابة بشلل دماغي بلفظ نابٍ أمام المربية والصف الذي ضم 10 طلاب آخرين لديهم إعاقات مختلفة. فكان رد المعنيين في المؤسسة بحسب ما ذكرت سميرة لـ«القوس»: «إذا الطفلة ما قادرة تاخد حقها منّك وتجاوب وتحكي، نحن دورنا نعطيها حقها». وعلى الرغم من ذلك، تحاول سميرة التخفيف من وطأة سلوكها قائلة: «يعني أنا قلت كلمة وبس، وكنت معصبة والبنت ما وقّفت طرطقة، مش مستاهلة يطردوني»، متجاهلة أن سلوكها يُصنّف تحت خانة العنف، والذي يعني «كافة أشكال العنف أو الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية، والإهمال أو المعاملة المنطوية على إهمال أو إساءة معاملة أو استغلال، بما في ذلك الإساءة الجنسية» (الفقرة الأولى من المادة 19 من اتفاقية حقوق الطفل). كما يُعدّ خرقاً للفقرة الأولى من المادة 15 من «اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة»، التي تنص على أن «لا يُعرّض أي شخص للتعذيب أو المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة».

للتكافل الاجتماعي

قبل أن تتوالى الأزمات على لبنان، شهدت المؤسسات الرعائية والتعليمية لذوي الاحتياجات الإضافية أزمات مالية وصعوبات في تحصيل حقوقهم. فإلى أين وصل بها الحال اليوم مع ازدياد الوضع سوءاً؟

تُشير أخضر إلى أن هناك صعوبة في توقيع العقود مع الوزارة، لا سيّما أن عدداً من المؤسسات الخاصة قد أغلقت أبوابها بعد كفّ الدعم الكلّي لوزارة الشؤون الاجتماعية، بما في ذلك المستحقات التي من المفترض أن تدفعها للمؤسسات على سعر صرف 1517 ل.ل. وهي ما يعادل 20 ألف ل.ل. للطفل الواحد مقابل كل يوم دراسي -وهذا إن أقرّوا بدفعها. «تقصير الدولة حدّث ولا حرج! فحتى اليوم، لم تتسلم سوى جزء بسيط من المستحقات، ونعمل بكل طاقاتنا على عدم الانتقاص من حقوق هؤلاء الطلاب، ضمن الإمكانيات المتاحة داخل المركز وموارد الدعم الخارجية».

ومن هنا تؤكد أخضر على أهمية التكافل الاجتماعي والدور الذي يلعبه «كل من مؤسسات المجتمع المحلي والأحزاب والمنظمات الدولية لدعم المركز بالموارد وأهالي الطلاب بتغطية جزء من النفقات».

كشفت وزارة التربية والتعليم العالي في الشهر الأخير من العام الفائت، أن العدد التقديري للأولاد ذوي الاحتياجات الإضافية بلغ نحو 300 ألف، وأنّ 1% فقط من هؤلاء مسجّل في المدارس الرسمية الدامجة. ومع الإضراب المستمر لهذه المدارس، يُسلب هؤلاء الأولاد حقّهم في التعلّم، ويتخبّط الأهالي غير القادرين على دفع الأقساط المرتفعة للمدارس والمراكز الخاصة.

وثيقة سياسة حماية الطفل الموحّدة الخاصة بالمؤسسات والجمعيات الاهلية العاملة مع الاطفال في لبنان

حبر على ورق

أُعدّ مشروع القانون رقم 2020/171، الرامي إلى استبدال كلمة «المعوقين» بعبارة «ذوي الاحتياجات الإضافية» أينما وردت في النصوص القانونية والمراسلات كافة، لا سيّما وأن تسمية «معوّق» تطرح إشكالية تتعلّق بفئة كبيرة تشكّل جزءاً من المجتمع اللبناني، وبما أنها عبارة تعني أن الشخص مصاب بعائق يُعيق تطوّره وإنتاجه، وبما أن التمييز ضد أي شخص على أساس الإعاقة يمثّل خرقاً لمبدأ المساواة الذي كفله الدستور اللبناني (الفقرة ج من مقدمته، والمادة 7، والمادة 12)، وكذلك المواثيق الدولية المُصادق عليها. أتت هذه الخطوة والتي تُعدّ مهمة من حيث تكريس مبدأ حقوق الإنسان والمساواة، كما تُظهر البُعد الإنساني، إلّا أنّها تبقى حبراً على ورق كحال القانون 2000/220. فلم يجنِ الأشخاص المعوقون حتى اليوم شيئاً.

(راجع «القوس»، عدد 19 آذار 2022، "العيش الكريم لذوي الاحتياجات الإضافية")

المنسيّون: ذوو الإعاقة في الأزمات الإنسانية

يكثر الحديث في الآونة الأخيرة بسبب انتشار حدوث هزّات أرضية وزلازل، حول الإجراءات الوقائية الواجب اتباعها قبل، وأثناء، وبعد حدوث الكارثة، من دون الالتفات والمراعاة لوجود أشخاص من ذوي الاحتياجات الإضافية، لا يستطيعون تطبيق تلك الإجراءات. وبعد إبرام لبنان لاتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة (بموجب المرسوم رقم 2023/10966)، أصبح من الدول الأطراف التي تتعهد في حالات الخطر والطوارئ الإنسانية "باتخاذ كافة التدابير الممكنة لضمان حماية وسلامة الأشخاص ذوي الإعاقة الذين يوجدون في حالات تتّسم بالخطورة، بما في ذلك حالات النزاع المسلّح والطوارئ الإنسانية والكوارث الطبيعية" (المادة 11). وحتى اليوم لم نسمع عن توصيات حول الإجراءات الوقائية التي تخصّ هذه الفئة، والتي تُواجه مخاطر إضافية أثناء الكوارث مثل الهجر والإهمال وتجاهل احتياجاتهم. وفي هذه الأزمات الإنسانية تحديداً، من المفترض أن يكون ضمان حقوق ذوي الإعاقة في التوعية والإغاثة من أولويات الحكومة والجمعيات الأهلية. ولنفترض أنّ هناك صفارات إنذار تحذّر من وقوع كارثة ما، فإن ذوي الإعاقة السمعية كشخص أصمّ لا يمكنه سماعها. وذوي الإعاقة الحركية كمستخدم لكرسي متحرك، سيكون من الصعب عليهم الوصول بسرعة إلى منطقة آمنة. وقد لا يتمكن ذوو الإعاقة العقلية من الاستجابة لحدث طارئ وخطير بالسرعة الكافية التي تمكنّهم من الفرار.

من المفترض أن تحدث الدولة تغييرات قائمة على فهم الإعاقة كجزء من التجربة البشرية، وليست مرضاً يحتاج إلى العلاج الدوائي فقط. وأن لا يقتصر دور المجتمع على النهج الطبي والخيري تجاه الإعاقة، بل يتحمل أيضاً المسؤولية لإزالة الحواجز التي يواجهها الأشخاص ذوو الإعاقة في أوقات الكوارث، كما يفعلون أيضاً في أوقات السِلم.

وبالحديث عن الأزمات الإنسانية، لا بد من ذكر الكسر الحاصل لميزان العدل والإنصاف، إذ إن القانون رقم 2000/220 «حقوق الأشخاص المعوّقين» لا يسري على الفلسطينيين والسوريين من ذوي الإعاقة، المقيمين في لبنان، فهم محرومون من الخدمات الصحية والرعائية الرسمية المناسبة - إن وُجدَت - باعتبارهم «أجانب» أو «لاجئين».

(هيثم الموسوي)

في العمق

تتزايد المؤشرات التي تدل إلى ارتفاع نسبة مدمني المخدرات والكحول في لبنان. ولا يمكن تحديد اعداد المدمنين والمتعاطين، بينما تبيّن لنا ان بعض دوافع تناول المخدرات مرتبط بالاوضاع المعيشية الخانقة وبالتوتر الساند على جميع المستويات وفي معظم القطاعات الحيوية. تنتشر المخدرات بكثرة بين الناس وخصوصاً بين الشباب والمراهقين وهي في متناول اليد وغبّ الطلب (من خلال "الدليفري"). إضافة إلى رداءة نوعيتها، يضاف إليها "ادوية الاعصاب" التي تباع في الصيدليات لاغراض طبية ويساء استخدامها. اما المخدرات "الشرعية" كالحكول والتنر والبنزين فحدّث ولا حرج.. كل ذلك في ظل نقص حاد في العلاج الذي لا يُعد حاجة للمدمن فحسب بل حق من حقوقه التي كفلها القانون والتشريعات الدولية التي تعنى بحقوق الإنسان. وبكل اسف، إن اعداد مراكز التاهيل لا تتعدى عدد اصابع اليد. حوالي 1000 مريض (مدمن سابقاً) يستفيد من العلاج بالادوية البديلة من وزارة الصحة، في ما يقبع 2750 سجيناً وموقوفاً في السجون والنظارات بتهم ودعاوى مخدرات (تعاطي، اتجار، ترويج). وهناك اعداد كبيرة من المدمنين والمتعاطين لا نعرف عنهم شيئاً ومن بينهم الاكثر ضعفاً.. اولئك الذين يريدون ان يتخلّصوا من المخدرات والكحول و"ادوية الاعصاب" ولا يتوفر العلاج لهم..

ارتفاع نسبة مدمني المخدرات العلاج بـ «الفريش»؟

(freepik.com/ premium lisce)

فاطمة خشاب درويش

يشدد الطبيب المتخصص بالصحة النفسية والعقلية والاختصاصي في علاج الإدمان الدكتور داني خلف على "ضرورة أن يخضع المدمن لعملية تأهيل بعد عملية تنظيف الجسم (detox)، فهي خطوة أساسية لإتمام العلاج والتخلص نهائياً من المخدرات". إلا أن المشكلة تكمن في قلة مراكز التأهيل مقارنة بأعداد المدمنين، وارتفاع كلفة العلاج في المستشفيات، يضاف إلى ذلك الحرج الاجتماعي الذي يمنع البعض من الدخول إلى المراكز العلاجية، عندما يفشل العلاج، تكون الخطوة الأخيرة اعتماد العلاج البديل للتخلص من المخدرات".

"لاحظت إنه تصرفاتها غريبة وهي عم تطلب مني طول الوقت مصاري. حاولت إسأل شو عم بصير، وعرفت لاحقاً إنها عم تتعاطى حبوب مخدرة مع رفقاتها. صدمتي كانت كبيرة بس الحمد لله اقتنعت معي بالعلاج وبلشنا مشوار سوا وبقيت جنبها. اليوم هي أحسن بس بدها وقت حتى ترجع متل ما كانت"، تشرح إحدى الأمهات تجربتها مع ابنتها (17 سنة) التي تخوض اليوم تجربة العلاج من الإدمان على المخدرات. واكبت الأم علاج ابنتها بشكل يومي ولا شك أن ذلك زاد من فرص نجاح علاجها. لكن ماذا ينفع حرص الأم مع عدم توفر مركز للعلاج واختصاصيين في إعادة التأهيل، أو عدم قدرة المراكز الموجودة على استيعاب العدد المتزايد من طالبي العلاج؟ وماذا ينفع حرص الأهل إذا كانوا غير قادرين على تسديد كلفة العلاج في ظل الأوضاع المعيشية الضاغطة؟

"صعبة تلاقي ابنك غرقان بالإدمان، مش قادر تساعده حتى يخلص منه، ما معك مصاري تكفي العلاج، ولا قادران تامّن مكان يتعالج فيه، كل يوم عن يوم بشعر انه حالته أسوأ. قبل كان بستحي يقول إنه بيتعاطى، بس هلّق ما عاد تفرق معه، صار بيعد عن الناس، ما عاد عنده سبب للحياة، ترك درسه وما عاد بدو يعمل شي"، يشكي والد أحد المدمنين تجربته المريرة، بينما تمرّ الأيام وهو يشاهد ابنه العشريني يذبل وينهار أمامه.

حلا (25 سنة) حامل في الشهر الثامن، تتعاطى مادة الهيروين بمعدل مرتين يومياً، بدأت تتعاطى المخدرات منذ سنتين «من أجل أن تنسى همومها» هكذا أقنعها زوجها المدمن وأرغمها على التعاطي لـ«تخفيف التوتر». تقول حلا "زوجي اليوم في السجن بتهمة تعاطي والاتجار بالمخدرات. أعيش مع والدتي المسنة وأنتظر بعد أقل من شهر مولودي الأول. أنتظره بخوف لا أعرف إذا كان سيولد بصحة جيدة، حاولت أن أتعالج مرات عديدة ولكني فشلت، لا أملك المال لتكرار العلاج وأشعر بالحرج الشديد من الدخول إلى مركز للتأهيل".

محمد (33 سنة) أب لطفلين، مدمن مخدرات، يتعاطى حبوب الكبتاغون منذ أكثر من 10 سنوات، يقول "أنا ما بتعاطى كميات كبيرة، بس باخد شوي حتى شيل حالي" (مصطلح يبدو متعارف عليه بين المدمنين). وحول التكلفة المادية التي يسددها للحصول على المخدرات، يقول "قد ما معي مصاري بجيب، بضل فيك تزبّط الوضع، بجيب بـ 300 ألف كيس صغير".

تجربة سمر(45 سنة) مختلفة فهي مدمنة من نوع آخر. تجاهر وتقول "ما حدن بيطالني"، فهي مدمنة كحول. تشرب سمر الكحول منذ كان عشرين عاماً، وتعتبرها ملاذها لـ"هروب من ضغط الحياة ومشاغلها". وتتابع "عادة بشرب بالليل حتى أقدر نام نوم عميق، ما حدن إلو علبي، أقل شي بهيدا البلد نشرب حتى ننسى".

العلاج ليس سهلاً

"المخدرات لم تعد حكراً على الكبار، إذ بات الأطفال أيضاً والمراهقون يتعاطون المخدرات، إناثاً وذكوراً، ومن مختلف طبقات المجتمع" يوضح الدكتور داني خلف. فتعاطي المخدرات أصبح ظاهرة منتشرة بشكل واسع في مجتمعاتنا ولا بد من تحديد الأسباب التي تساعد في تفشي هذه الظاهرة، في مقدّمها الضغوطات النفسية والتفكك الاجتماعي والوضع الإقتصادي الصعب. يلفت خلف إلى أن "هناك أطفال بعمر 14 سنة يتردّدون إلى العيادات الخاصة للعلاج، يصطحبهم أهلهم بعد ملاحظة تغييرات واضحة في تصرفاتهم في البيت وازدياد طلبهم للمال بطريقة غير مفهومة". وتختلف برأي خلف أسباب الإدمان بين الصغار والكبار، "فالصغار غالباً، يخوضون ذلك بدافع الحشرية والتجربة، أما الكبار، فبهدف تحصيل المتعة واللذة والهروب من الواقع". الاكتئاب، بحسب خلف، قد يكون حجة للتعاطي والإدمان أو قد يصاب به المدمن خلال العلاج وبعده. يشرح الطبيب المتخصص بالصحة النفسية وعلاج الإدمان الدكتور فضل شحيمي، طبيعة المواد المخدرة الأكثر رواجاً اليوم في لبنان، وأهمها: القنب الهندي (الحشيش)، الهيروين، حبوب الكبتاغون، الكوكايين، الفري بَيْز. مشيراً إلى أن "أنواع المخدرات لا تعمل جميعها بنفس الطريقة، منها ما هو مثبط للجهاز العصبي مثل: الهيروين، ومنها ما هو منشّط للجهاز العصبي مثل: الكوكايين والكبتاغون. أما الحبوب (تعرف بـ"ادوية الاعصاب") الأكثر رواجاً والمتوفرة في الصيدليات والتي يؤدي تعاطيها إلى الإدمان فهي: ريفوتريل وترامادول وبنزكسول وبريغابالين".

2750

هو عدد المحكومين والموقوفين في قضايا المخدرات (تعاطي، ترويج، اتجار) في السجون اللبنانية من أصل حوالي 8300 محتجز، مما يعني أن أكثر من ثلث الموجودين في السجون هم على علاقة بالمخدرات بشكل أو بآخر.

بحسب رئيس لجنة السجون في نقابة المحامين جوزيف عيد، فإن هذه الأعداد في ازدياد، "هناك تشديد على قضاة التحقيق لعدم توقيف الشباب في حال التعاطي، يتم التواصل مع أهلهم وإذا كان الأمر مقتصراً على التعاطي يُعالج الأمر من خلال تعهد ولا يتم توقيفهم".

$60

الحد الأدنى لكلفة ليلة واحدة في المستشفيات لتلقي العلاج، وقد تبلغ $600 في المستشفيات الخاصة

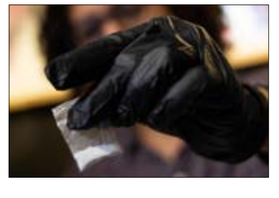

وحول العلاج الذي يتلقاه المدمن، يشير شحيمي إلى أن "العلاج ينقسم إلى قسمين، القسم الأول يطلق عليه فترة تنظيف الجسم (ديتوكس Detox) على مدى 10 أيام، تكون غالباً في مراكز مختصة بالعلاج، حيث يتمّ تنقية الجسم من المواد المخدرة، ويصاحبها عوارض انسحاب (سد الشهية، توتر، ألم وأوجاع). ويوصف الطبيب خلال هذه الفترة من العلاج مسكن يخفف من العوارض والآلام.

بعد انتهاء فترة الـ"ديتوكس"، تبدأ عملية تأهيل المدمن من خلال جلسات مع معالجين نفسيين وأطباء متخصصين بعلاج الإدمان. ويتابع شحيمي: "هناك مراكز تعنى بعملية التأهيل ولكن أعدادها قليلة مقارنة بعدد المدمنين، ويُعدّ احتضان المدمن من قبل عائلته ومحيطه جزءاً أساسياً من العلاج". ويختم بالإشارة إلى أن: "كل شي ارتفع سعره بشكل كبير إلاّ أسعار المخدرات، فهي لا تزال في متناول اليد، وهناك نوعيات رديئة ورخيصة من المخدرات متوفرة بكثرة وسهلة الوصول رغم كل الموانع القانونية".

تخفيض نسبة دعم العلاج

يُعرّف العلاج البديل للمخدرات بأنه الإعطاء تحت إشراف طبي لمادة ذات تأثير نفسي موصوف، مرتبطة دوائياً بالمادة المنتجة للاعتماد، للأشخاص الذين يعانون من إدمان المواد، لتحقيق أهداف علاجية محددة، هو شكل من أشكال الرعاية الصحية لمدمني الهيروين والأشخاص الآخرين المعتمدين على الأفيون، إذ يستخدمون ناهضات أفيونية موصوفة، والتي لها خصائص مماثلة أو متطابقة للهيروين والمورفين على الدماغ والتي تخفف من أعراض الانسحاب وتمنع الرغبة في تناول المواد الأفيونية غير المشروعة.

بالأرقام وبحسب المعلومات المتوافرة، إن عدد المرضى (المدمنين) الذين يتعالجون بالعلاج البديل، بلغ نحو 1000 شخص تقريباً في لبنان، يتوجهون أسبوعياً بموجب وصفة طبية (من قبل الطبيب المعالج في إحدى الجمعيات أو في عيادته الخاصة) إلى المستشفيات الحكومية (مستشفى ضهر الباشق، مستشفى رفيق الحريري، مستشفى الهراوي في زحلة)، حيث يستلمون الدواء

تبلغ القيمة التي يدفعها كفرق لشراء الدواء البديل 700 الف ليرة لبنانية اي 100 الف عن كل حبة يتناولها يومياً

وهو عبارة عن ظرف يحوي 7 حبات، بمعدل حبة يومياً لمدة أسبوع واحد. على مدى 10 سنوات كانت وزارة الصحة تؤمن الدواء بشكل مجاني، إلى أنه ومنذ فترة بدأت الوزارة بتخفيض نسبة دعمها لهذه الأدوية، وهي لغاية إعداد هذا المقال تدعم تكلفة الدواء بنسبة 65%، وبحسب أحد المستفيدين من العلاج "تبلغ القيمة التي يدفعها كفرق لشراء الدواء البديل 700 ألف ليرة لبنانية أي 100 ألف عن كل حبة يتناولها يومياً".

وهناك تخوف جدي من رفع الدعم نهائياً عن أدوية العلاج البديل، إذ يشاع في أوساط وزارة الصحة العامة أن هذه الخطوة ستكون تدريجية على مدى الأشهر الأربعة القادمة بهدف تسهيل استيراد الأدوية البديلة. فالوزارة لم تعد قادرة على دعم الدواء في ظل الارتفاع الجنوني للدولار، وما بين "رفع الدعم عن الدواء" أو "عدم توفر الدواء"، قد تختار الوزارة أن ترفع الدعم وتعمل على تامينه للمرضى القادرين على تسديد ثمنه بدل من فقدانه نهائياً. خاصة بعد سلسلة الاجتماعات التي عقدتها الوزارة مع الجمعية اللبنانية للطب النفسي، التي رفعت كتاباً للوزارة يتضمّن في أحد بنوده رفع الدعم عن الدواء البديل من أجل ضمان استيراد الكميات الكافية للمرضى، مع العلم أن هذه الأدوية لا يمكن الحصول عليها من خلال الهبات بل عبر طرق مقوننة، وتتم عملية الاستيراد من خلال عقد تبرمه الوزارة سنوياً مع وكيل وفق أطر ومعايير دولية.

إذا كانت أدوية العلاج البديل تهدف إلى الحد من فرص الانتكاس لدى من كان مدمناً على المخدرات، وتساعده على تحسين أدائه الشخصي والاجتماعي والعائلي بشكل عام، فماذا سيحل بـ 1000 إنسان يتلقون العلاج البديل بعد رفع الدعم نهائياً عنه، هل سيضافوا إلى سجلات المدمنين مجدداً؟

عجز الجمعيات

تحت وطأة الوضع الاقتصادي المأزوم، تصبح الجمعيات التي تقدم خدماتها المجانية لعلاج الإدمان، وجهة لعدد كبير من المدمنين الذين يحتاجون إلى علاج وتأهيل ومتابعة، نتيجة عدم قدرتهم على دفع المال لتحصيل هذه الخدمات من المراكز والعيادات الخاصة. "المشكلة أن عدد المرضى المدمنين على المخدرات، أكبر بكثير من قدرة الجمعيات الاستيعابية، كما أن عدد الكادر الطبي من أطباء ومعالجين نفسيين وإداريين محدود في الجمعيات، الأمر الذي يجعل أعداد كبيرة تنتظر أشهر على لوائح الانتظار" تقول المديرة التنفيذية لجمعية سكون تاتيانا سليمان، مشيرةً إلى أن "الجمعية تستقبل في مراكزها الثلاثة في بيروت، بعلبك (دورس)، وطرابلس(أبي سمرا) نحو 600 مدمن مخدرات سنوياً، تقدم لهم العلاج النفسي والتأهيلي من خلال عياداتها الخارجية". وفي ما يتعلق بفترة العلاج تلفت سليمان إلى أنها "تتراوح بين ستة أشهر إلى سنة أو سنة ونصف حسب طبيعة المادة التي يدمنها المريض".

وحول استمرار الجمعية في عملها في ظل الوضع الاقتصادي الحالي، تشير إلى وجود "محاولات تقوم بها الجمعية لتامين منح ودعم للجمعية حتى تستمر" والمشكلة الأكبر برأيها: "النقص بالدواء الذي يعالج من الأفيونيات، إذا في دعم للدواء بس مش متوفر، وإذا أصبح متوفراً فلن يكون بمتناول المدمنين الراغبين بالعلاج والتخلص من المخدرات".

العلاج حق

يرصد المحامي عماد المصري تنامي أعداد المتورطين في قضايا المخدرات في الآونة الأخيرة، مشيراً إلى أن القانون رقم 1998/673 المتعلق بالمخدرات والمؤثرات العقلية والسلائف أعطى الحق "لكل مدمن على المخدرات قبل إجراء أي ملاحقة ضده أن يتقدم تلقائيا أمام لجنة مكافحة الإدمان على المخدرات المنصوص عليها في المادة 199 من هذا القانون، طالباً إخضاعه لتدابير العلاج الاجتماعي والنفساني من مرضى التعاطي. ويوقع تعهداً بذلك حيث يكون له الحق في هذه الحالة بإخفاء هويته إلا لأشخاص ملزمين بسر المهنة وعدم ملاحقته إذا تابع العلاج واستمر فيه حتى استحصاله على شهادة تثبت شفاءه التام من التسمم الإدماني والاعتياد الجسماني وتخلصه من الارتهان النفساني لعادة التعاطي (المادة 183 من القانون).

ويشير المصري إلى أن "للمحكمة تبعاً لظروف القضية أن تمنح المدمن وقف التنفيذ إذا لم يكن مكرراً أو تعليق وقف تنفيذ العقوبة على قبوله الملاحق بالخضوع للعلاج والسير بها، لو أدام النظر في صفحتها، وعلّق على جرائمه في التصدّي لشؤون القضاء، والقوس مشدود الوتر في شأن الحوكمة والمحكمة مكافحة الإدمان بشفائه التام من مرض التعاطي" (المادة 197 من القانون).

16 سنة على رحيل جوزيف سماحة
مستمرّون

عمر نشابة

ما الذي حلّ بنا؟ بعد رحيلك تفرّق الأصحاب والأحبّة. وبات كل منّا يدّعي أنه يعلم علم اليقين موقفك من الأحداث التي وقعت بعد رحيلك، كلٌ بحسب هواه.

بعد رحيلك تغيّر كل شيء، ولم يعد أحد يستمع إلى خطابات جمال عبد الناصر في آخر الليل.

بعد رحيلك غابت ساعات القراءة الطويلة واختفت أكوام التقارير والمقالات والكتب التي كنت تطالعها يومياً، وزالت حلقات النقاش واللقاءات مع من لا نعرفهم. بعد رحيلك أصبح التدخين ممنوعاً في المكاتب والممرات وانتقلنا إلى العالم الافتراضي.

لكننا ما زلنا هنا، وما زالت أحلامنا وقيمنا وطموحاتنا رغم كل شيء. فنحن لم نؤسس ملحقاً للأخبار مخصص للعدل والإنصاف، بل أطلقناه في موعد متأخر وهو استمرار وامتداد لما كنا قد تناولناه من أفكار وقيم، حين كنت تجمعنا في مبنى الكونكورد.

بعد رحيلك، نسعى إلى تقديم ما يمكن أن يساهم في زيادة المعرفة وتثبيت القيم وفتح آفاق الفكر والنقاش.

بعد رحيلك، نستمرّ ونتذكّرك كل يوم ومع كل عدد نصدره. نشتاق إلى خطك الأحمر وملاحظاتك بالقلم الأزرق على هوامش آخر أوراقنا قبل أن تتمكن الشاشة من ابتلاعها تماماً. بعد رحيلك، استعيد مشهد تحكّم أصابعك بالقلم وحركة تدوين الكلمات وكأن القلم يرقص على الأوراق ويرسم الموسيقى.

بعد رحيلك، ما زلنا على الخطّ، نتنشق عطر سترتك العسكرية يوم رافقت القائد الشهيد الحاج رضوان في جولة تفقّدية على بعض مواقع المقاومة مع الرفيق العزيز إبراهيم الأمين.

بعد 16 سنة على رحيلك، ما زلنا نصدر صحيفتنا على الرغم من كل المطبّات والتغييرات والتحدّيات. وما زال المشروع الذي طالما راهن البعض على زواله. صحيح أن أشياء كثيرة قد تغيّرت، لكننا مستمرّون بما لدينا. ونعد القرّاء أن في جعبتنا أفكار ومعلومات وقيم نعمل على جمعها وترتيبها وصياغتها لننطلق من جديد في نهاية كل أسبوع ونعرض بعضاً مما تعلمناه من جوزيف سماحة.

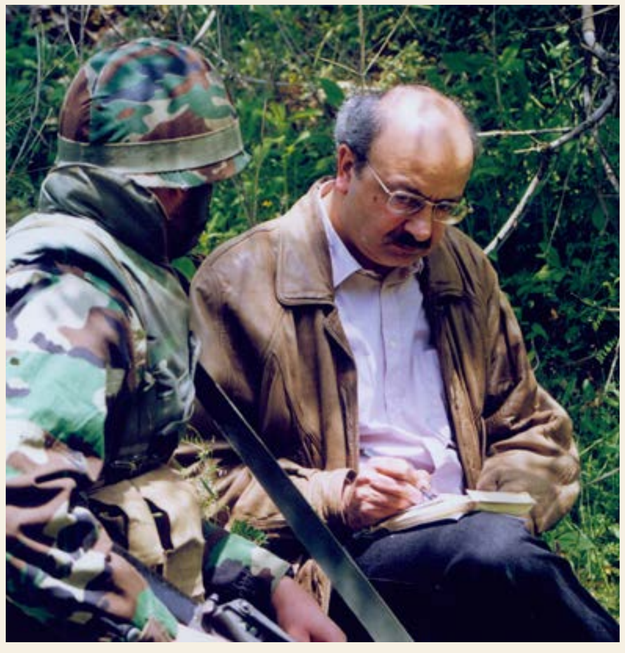

جوزيف والقوس

محمود شريح

جوزيف سماحة الذي غادرنا باكراً، و قبل أوانه، و هو في عزّ عطائه، مثالاً ساطعاً على كلمة الصحافة، صادقةً في التزامها، ومضيئةً في توجّهها، ماذا كان يقول في القوس، قرين الأخبار، رأياً وملزمة ملحقة بها، لو أدام النظر في صفحتها، وعلّق على جرائمه في التصدّي لشؤون القضاء، والقوس مشدود الوتر في شأن الحوكمة والمحكمة العدل والإنصاف، وما هذا أمرٌ هيّن وسط الإنهيار الحاصل في مسائل تتطلّب موقفاً حاسماً من اصلاح القضاء على قيم ثابتة تدعو إلى الاستقلالية وقرينة البراءة وحقوق الإدّعاء والدفاع ؟

لو أدام جوزيف سماحة النظر في صفحة القوس الصادرة عن الأخبار، مؤسّسها وراعيها، لأعلنَ ان القوس مُصيبٌ في توجّه سهمه إلى إحقاق المظلوم ودفع الغبن عنه وسط فوضى تطبيق القانون الآخذة رقعتها في الإتّساع في غياب العلمانية وتشظّي الفكر القومي، ما يحيلُ القوس إلى منبر دفاع لا غنى عنه، وإلى أداة فعّالة تطالب باستحالة تجاوز السلطة القضائية، فاستقلالية القضاء مصدرها معهد القضاء، خيمة اصلاح ومنارة تخضم.

جوزيف سماحة في الأخبار توأم القوس في غيابه، فالدعوة الصادقة نفسها والمسار العادل عينه في تاسيس عقد اجتماعي جديد ينصف المواطن بعيداً عن انتمائه السياسي وموقعه الاجتماعي في مناخ علماني.

من صلب روح الشرائع أن الصدق في العبارة أساس الحكم الصائب وهذه هي وجهة القوس في شدّ وتر الحوكمة.

حالة

الطفلة ريما بين فكّي القضاء الشرعي والقضاء المدني

في لبنان، الوصول إلى الحقوق امام السلطات القضائية لم يكن يوماً بالامر السهل لاسباب تختلف بين مرحلة واخرى، ووفقاً لكل مرحلة تتوشح مساحة الثقة بالقضاء او تضيق، لكن القاعدة الاساسية والمعتمدة في كل المراحل، سواء كانت ايام رخاء واستقرار او هزات امنية او اقتصادية او سياسية، هي ان النهج المتّبع لدى معظم الجسم القضائي، تطبيق النص بحرفيته وليس بروحه من خلال تغليب قاعدة العدل والإنصاف وفقاً لكل قضية، وبشكل خاص مع الفئات الأكثر ضعفاً في المجتمع، في الحلقة الاولى من سلسلة قضايا من ارض الواقع لاخذ العبر، سنتحدث عن مأساة طفلة من ذوي الاحتياجات الخاصة وقعت بين فكّي القضاء الشرعي والقضاء المدني، ولم يبقَ لها في هذا العالم سوى حضن امّ متعبة لم تعد تقوى على المواجهة.

تزوجت جنى الشاب الذي أحبّته لسنوات، وبنت معه مؤسستها العائلية بتعب وجهد مشتركين، ورزقا بطفلة سمّياها ريما، وتبيّن بعد أشهر من ولادتها أنها مصابة بشلل دماغي. لم يكن وقع الخبر سهلاً في بداية الأمر، لكنهما قررا أن يسخّرا كل إمكاناتهما لتأمين الرعاية الكاملة لريما. شاء القدر بعد 14 عاماً على ولادتها أن تبقى ريما مع امّها تصارعان الحياة وحيدتين من دون أي سند أو معيل، فالأب رحل باكراً جرّاء ذبحة قلبية، ولم يترك لهما سوى راتبه التقاعدي وأرض صغيرة والمنزل الذي بناه بجوار أهله.

سارع أهل الزوج إلى إصدار قرار حجر على الطفلة واحتجزوا نصف راتبها الذي تتقاسمه مع والدتها، كما وضعوا يدهم على الأرض والمنزل وضيّقوا على جنى بشتى الطرق، إلى أن وصلت بها الحال إلى الاستسلام لإرادتهم. حملت ابنتها وبعضاً من أغراضها وتركت لهم القرية بما فيها. استأجرت منزلاً صغيراً في طبقة أرضية في بيروت، لتتمكن من إدخال ريما إلى مدرسة خاصة تناسب وضعها الصحي، وإخراج كرسي ابنتها المدولب. تابعت حياتها التي سخّرتها لراحة ريما وتأمين تعليمها وكل احتياجاتها، من دون أن تطلب من أهل زوجها ليرة واحدة. كان طلبها الوحيد إعطاءها حق الوصاية على ريما ورفع الحجر عنها لتسهيل الإجراءات المتعلقة بها، ولياخذوا في المقابل البيت والأرض وكل ما لزوجها الراحل حصة فيه، لكن كل محاولاتها باءت بالفشل.

في المحاكم الشرعية

بدأت الأم صراعها مع المحكمة الشرعية السنية في إحدى قرى الجبل، في كل مرة تحتاج فيها إلى سحب حصة ابنتها من مرتّب والدها أو أي تعويضات تعود لها، لأنه بموجب قرار الحجر لا تستطيع الأم أن تتصرف بأيّ أمر مرتبط بابنتها، إلا بناءً على قرار من المحكمة الشرعية التي أصدرت قرار الحجر عليها. وفي كل مرة كانت تجهد لإقناع القاضي الشرعي بأنها تحتاج شهرياً إلى مبالغ أكثر بكثير مما يوافقون على سحبه من مرتّب ابنتها، وأن كلفة بدل النقل إلى المحكمة لتوقيع إذن الصرف بشكل شهري وصلت في السنتين الأخيرتين إلى قيمة كل الراتب التقاعدي لزوجها المتوفّى. فقررت ترك الراتب في البنك وعدم المطالبة به لأنها لم تعد قادرة على دفع بدل نقل من بيروت إلى مكان وجود المحكمة الشرعية لتقديم طلب إذن الصرف لمرتّب لا يكفي حتى أجرة التاكسي ذهاباً وإياباً.

لم يشفع للأم المنهكة أمام المحكمة الشرعية رعايتها لطفلة من ذوي الاحتياجات الخاصة، فهي من ربّت وعلّمت ريما بمفردها، من دون معيل آخر، بعدما تخلّى عنهما -عن سابق تصوّر وتصميم -أهل الوالد، وحُرمت ريما كذلك من حقها في الرعاية الاجتماعية من قبل نظام سياسي يشرّع القوانين الإنسانية إرضاءً للمجتمع الدولي فقط، من دون تطبيقها.

في القانون

أقر القانون 2000/220 المتعلق بحقوق الأشخاص المعوّقين وورد في أسبابه الموجبة أن لبنان من أولى الدول التي التزمت الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، وأن قوانينه هدفت إلى تأمين أكبر قسط ممكن من العدالة الاجتماعية والمساواة، وأنه

> **هل الفئات الأكثر تهميشاً وضعفاً محكومة وحدها بتطبيق النص بحرفيته، فيما الاقوياء المحظيّون تدوّر الزوايا لاجلهم؟**

عانى لسنوات طويلة من الحروب المدمّرة ما جعل من قضية الإعاقة في طليعة قضاياه الملحّة ومن أكبر مشاكله الاجتماعية والاقتصادية.

كل ما ورد في هذا القانون من عناوين تحدد حقوق المعوّق في بيئة مؤهلة ورعاية اجتماعية، والحقّ في التعلّم والعمل والسكن.. ما زالتْ حبراً على ورق، قضية ريما مثال صارخ على تجاهله من قبل القضاء الشرعي والمدني.

صرّحت جنى مراراً وتكراراً بأنها المعيل الوحيد لابنتها، بعدما سُلبت كل إرث زوجها بما في ذلك البيت الذي تشاركا في بنائه وتجهيزه. ورغم ذلك، قبلت المحكمة الشرعية طلب الحجر على ابنتها المقدّم من قبل أهل زوجها وهم يعرفون تماماً أن هذا القرار هو لإعاقة الأمّ والتضييق عليها وليس لحماية الطفلة. لم تنظر المحكمة إلى حالة ريما بعين العدل والإنصاف واختارت تطبيق النص بحرفيته في الحالات التي يتم فيها الحجر ويُحدد الأشخاص المخوّلون تقديم هذا الطلب.

لم تحاول المحكمة الشرعية أن تتحقق من دور الأم وأهل الزوج المتوفّى تجاه الطفلة المطلوب حمايتها، بحسب زعم مقدّمي طلب الحجر، فهل يستحق نصف راتب تقاعدي وقطعة أرض صغيرة كل هذا الالتفاف على مبدأ العدل والإنصاف في مثل هذه القضايا؟

وهل يحتاج إصدار قرار تسليمها كامل المرتب - الذي لا يتجاوز المئة دولار اليوم - لتتمكن جنى من متابعة حياتها مع ابنتها بشكل لائق، كل هذا العناء لإقناع المحكمة الشرعية فيه؟ في المقابل تقتنع بحرفية النص في تطبيق قرار الحجر؟

«العدل أساس الملك» هي الجملة التي تزيّن جدران قاعات المحاكم وقصور العدل، وثقافة حقوق الإنسان تترجم بالرعاية الاجتماعية للفئات الأكثر ضعفاً وتغليب مصلحتهم على أي مصالح أخرى، فالقاضي العادل هو القاضي الذي يحمي الطرف الأكثر ضعفاً.

في المحكمة المدنية

لم ينتهِ صراع ريما وأمها مع المحكمة الشرعية، بل دخلت في مواجهة جديدة مع المحكمة المدنية التي ظنّت للوهلة الأولى أنها قد تكون أكثر إنصافاً.

أنذر صاحب البيت الذي تسكنه جنى وابنتها بوجوب ترك المنزل، إذ لا يرغب في تجديد عقد الإيجار لها. حاولت جنى كثيراً إقناعه بالعدول عن رأيه، ذلك أن هذا البيت مناسب لهما، وعلى الرغم من أنه قليل التهوئة لندرة شبابيكه، إلا أنه قريب من مدرسة ريما ويقع مباشرة على الطريق العام، من دون أي أدراج أو عوائق، ما يسهّل حركة إدخال وإخراج ريما مع الكرسي المدولب. لكن طمع المالك طغى على ما يبدو على أي اعتبارات إنسانية.

لم تجد جنى بيتاً مناسباً خلال المهلة القصيرة التي أعطيت لها، وعندما استشارت إحدى الصديقات المحاميات نصحتها بأن تنتظر حتى يتقدّم بدعوى إخلاء، فتكسب بذلك بعض الوقت الإضافي لتتمكن من إيجاد منزل. تقدّم المالك بدعوى إخلاء أمام قاضي الأمور المستعجلة في بعبدا، فحضرت المحامية الصديقة الجلسة الأولى واستمهلت للجواب. فأمهلها القاضي أسبوعاً واحداً فقط، كونها قضية مستعجلة.

في الجلسة الثانية، تقدمت المحامية بلائحة جوابية ضمّنتها كل ما يجب الإضاءة عليه وخاصة لجهة الوضع الخاص لابنة المدعى عليها وأنه ليس بالإمكان إيجاد سكن ملائم لحالتها، وبأن المالك يطلب الإخلاء ليس للضرورة العائلية وإنما لإعادة تأجير السكن بسعر أعلى، وطلبت من القاضي إعطاءها مهلة ستة أشهر لترك المأجور، طالبة منه الاستناد إلى القانون 2000/220 لجهة حق المعوّقين بالسكن الملائم.

إلا أن الطرف الأضعف في هذا الملف - والذي يجب أن ترجح كفّته لناحية تطبيق قاعدة العدل والإنصاف وليس النص القانوني بحرفيته - كان صاحب الشقة وليس ريما وأمها، إذ أصدر القاضي قراراً بالإخلاء فوراً.

ما هو المعيار الذي يحكم على أساسه القضاة في لبنان، سواء كانوا شرعيين أو مدنيين أو عسكريين؟ وهل الفئات الأكثر تهميشاً وضعفاً محكومة وحدها بتطبيق النص بحرفيته، فيما الاقوياء المحظيّون تدوّر الزوايا لأجلهم؟

(ألف باء القانون)

(هيثم الموسوي)

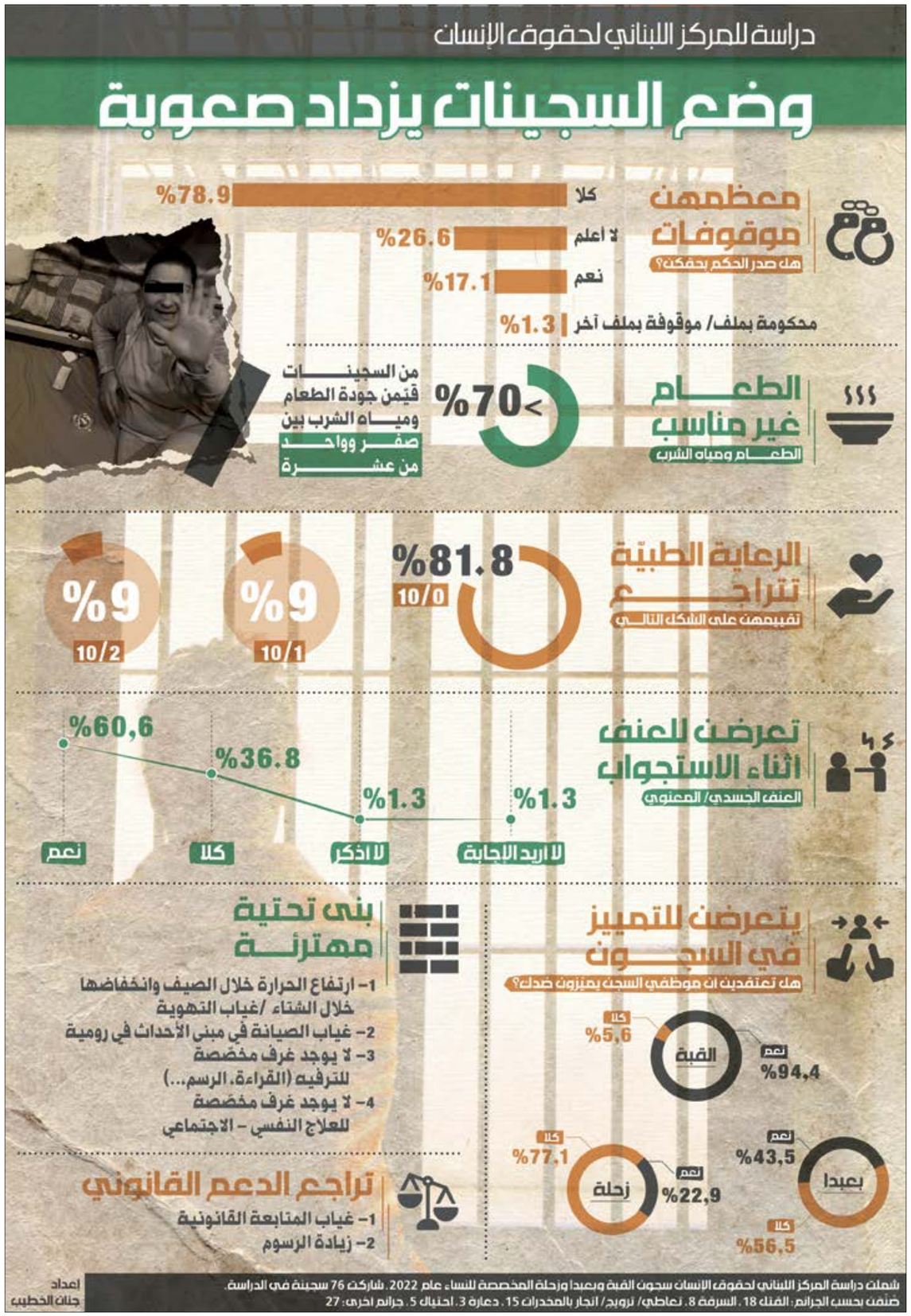

القوس

■ فريق التحرير: **عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون**
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: **رامي عليّان**

alqaous al_qaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54
info@alqaous.com www.alqaous.com